

حقيقته وأثره في النفس والمجتمع
أصوله وفروعه
مقتضياته ونواقضه

تأليف
الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي
أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان المساعد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

دار الجيل
بيروت

مكتبة الزهراء
بحرم جامعة القاهرة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.





مقدمة المؤلف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ،

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ... ثم أما بعد :

فلا غرو أن من أجل ما ينتفع المرء بتعلمه وتعليمه ، ودرسه وتدريسه ، أصول (العقيدة الالهية الايمانية) بما لها من مزايا وفضائل ، وما تحققه من آثار عظام فى النفوس المؤمنة والمجتمعات المتدينة ؛ فى الأولى والآخرة .

وعلى أهمية هذه العقيدة ، ورفعة شأنها ، وسمو مكانتها - فهى أصل الدين الاسلامى ومحوره ومرتكزه ومنطلقه وغايته ، فان التاليف فيها - فى معظم الأحيان - لم يرتفع الى مقامها ، ولم يسم سموها ، ولم يصف صفاءها ، ولم يسر على استقامة نهجها ، واستواء صراطها ، بل تعرجت به الطرق ، وتوزعت به السبل ، فلم يرق رقيها ، فكان مما أثمره من مؤلفات فى العقيدة : ما (شوش) على العقيدة ذاتها ، وما قصر فى تصويرها ، وما ضلل السائرين اليها ، ومنها ما بذر الخلاف وسقى شجرته حتى آتت أكلها المر ، فأضعف الأمة وأنهكها ، وفت عضدها ، وكسر صلابتها ، ومكن من رقبتها ؛ وما كان ذلك الا بسبب اختلال المنهج الذى نهجت عليه أكثر هذه المؤلفات .

فالعقيدة : عقيدة القرآن والسنة ، لا سبيل الى عرضها ، أو سوقها وتقريرها ، أو البرهنة عليها بمعزل عن الكتاب والسنة ؛ نصا وروحا ، ومنطلقا وهدفا ، وابتداء وانتهاء .

وتأسيسا على ذلك ، فاننا لم نأخذ مادة هذا الكتاب من تراث (علم الكلام) أو من كتب (الردود) على علماء الكلام والعراك معهم ، بل حرصت - كل الحرص - واجتهدت - غاية الاجتهاد - وبذلت - علم الله - قصارى الجهد فى عرض (العقيدة الاسلامية) متكاملة ، وتقريرها واضحة ، وتصويرها جلية بهية ، والاستدلال عليها ، والاقناع بها ، والدعوة اليها ، كما جاءت فى مصدرها الوحيد - الذى لا مصدر لها سواه - ؛ الا وهو الوحى : القرآن والسنة المطهرة .

لذلك تجدنى قد أكثرت من ايراد الشواهد من الآيات الكريمات

والأحاديث الصحاح ، حتى يتحقق ما رجوناه واستهدفناه . كما وقد ابتعدت عن تقديم العقيدة أو تقريرها فى جو العراك والخصومة والردود والجدل ؛ ومن ثم لم أشر الى أى من تلك المراجع التى تثير العراك ، وتبعث النزاع ، وتصور ما كان من خصام وشقاق — أكثر من تصوير العقيدة ذاتها — الا على مضض وكره واضطرار ، بصرف النظر عن مكانة من كتبوها ، وعما كان لهم من صدارة وامامة .

ويعجبنى — فى ذلك — ما كتبه الأستاذ الشيخ (محمد الغزالى) ، فقد كان مما قال (١) :

من الغفلة أن نحسب أن تكوين العقيدة يتم فى مجلس مناظرة ، تتصيد فيها النصوص ، وينشد فيها الغلب ، ويلعب فيها بالألفاظ ، ويستعمل منطق (أرسطو) فى المخاتلة وايقاع الخصم أمام العامة ! .... ، وفى ضجيج الخصومة السافرة يعسر البحث عن الحقيقة ! ، ولو أمكن الوصول اليها ، فانه يصعب الاقتناع بها :

وعفا الله عن أجدادنا ، فقد أولعوا بذلك ، وأعانهم عليه أن الدولة الاسلامية كانت سيدة العالم . (وكأنه) لا بأس على رجالها أن يشتغلوا بالترف العقلى ، وأن يحولوا فراغهم من الجهاد فى سبيل الله الى جهاد فى هذا الميدان الخطر ، فانشغلوا بأنفسهم عن أعدائهم ، **ثم ذهب الرجال وبقى الجدال ... بقى الى اليوم يهدد وحدة الأمة ، ويهز كيانها .**

ومع أن الدولة الاسلامية جثت على قدميها أمام أعدائها ، واقترب الخطر من صميم العقيدة ذاتها ، فان الريح النتنة لهذا الجدل ما تزال تهب من بعض الجماعات التى تحترف — للأسف الشديد — خدمة الاسلام . وقد استقرت رواسب هذا الخلاف الطائش فى اذهان العامة ، ثم سيطرت على سلوكهم بعد ما أخذوا أسوأ ما فيه ، ورفضوا أفضل ما فيه !!

فهل على وجه الأرض أمة تجتر ماضيها السحيق لتلوك منه خلافات قاسية كهذه الأمة ؟! ان اعراض المرض لا تزال تعرو الأمة المنهوكة ، وما تزال بحاجة الى عناية الراشدين المخلصين ، ... ولا احسب أمة تحتاج الى وحدة الأفكار والمشاعر ، مثل هذه الأمة الاسلامية ، وانها لتملك اصل ذلك ومصدره . الا انه عقيدة الكتاب والسنة .

وكما حرصت على تصوير العقيدة من القرآن والسنة ، قصدت الى ابراز الأثر الهائل الذى تحدثه هذه العقيدة فى نفس المؤمن بها : من

---

(١) عقيدة المسلم ، المقدمة ، طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

ايجابية ، وفعالية ، وتوازن ، واتساق ، واطمئنان ، وأمن ، ورضى ، وأمل ، واستبشار ، وتفاؤل ، وقدرة على الجب الصادق ، وما تغرسه من مشاعر عميقة بالعزة والكرامة ، والحرية ... الخ . وما تحدثه فى المجتمع من مثالية وإخلاقية ، وتراحم وتآلف ، وعدل وتآخى .. الخ . وباختصار فان الايمان بالله تعالى هو : الشفاء الناجع ـ الذى لا شفاء غيره ـ لكل أمراض النفس ، وما أكثرها !، وهو الحل لكل مشكلات المجتمع ، أى مجتمع .

وركزت على تجلية الصلة الوثقى ، والارتباط الحميم ، بين الايمان والعمل ؛ فلا ايمان كاملا بلا عمل صالح ، ولا عمل صحيحا مقبولا بغير اعتقاد ويقين .

وقد أسلمنا هذا الى مناقشة مسألة تكفير المؤمنين ببعض آثامهم ، وبينا وجه الحق فيها : معتمدين على النصوص الواضحة ، وعلى فهم علمائنا الثقات لهذه النصوص ، وأوردنا نصين مهمين فى ذلك ، للامام الحليمى والامام أبى عبيد القاسم بن سلام رحمهما الله .

ثم عرضت أصول الايمان الستة أصلا أصلا ، مركزا على البرهنة على كل ذلك ، بما استدل به القرآن الكريم ، من براهين شرعية وعقلية ، ومن خلال النظر فى آيات الله فى الآفاق والأنفس ، وقراءة ما أبدعته القدرة الالهية وإحكمته وأتقنته .

ولم يفتنا الاشارة الى عقائد بعض الأديان الوضعية ، والكتابية التى انحرفت وتوجهت وجهة وثنية خالصة ، مع التعريف بأصولها الوثنية ومصادرها الحقيقية ، وبعدها عن الوحى والحق .. وليس بعد الحق الا الضلال .

وقد أوجزت القول فى بعض النقاط ، وفصلته فى نقاط أخر ، وكنت ـ حين أوجز ـ أحرص على حشد المراجع حشدا ، لمن أراد التوسع والاستزادة .
وان كان لى أن أصف عملى هذا ، قلت :

انه كتاب يقرر أصول الايمان وثمرته ، بمنهج القرآن والسنة ، ويستدل عليها بدلائل الوحى ، ويستثمر حقائق العلم المنبثقة عن النظر فى الآفاق والأنفس بغية تثبيت العقائد فى النفوس ، وترسيخها ، والتمكين لها ، والدعوة اليها .

هذا ، وانى لأرجو الله ان اكون قد وفقت الى ما سعيت اليه ، واساله سبحانه ـ أن يرزقنى الاخلاص فى القول والعمل ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

محمد الشرقاوى

المعادى فى ١٨/٤/ ١٤٠٩ هـ
١٩٨٨/١١/٢٨ م

القسم الأول

بحوث تمهيدية تتعلق بالايمان والاعتقاد ، وتشمل:

١ ـ نظرة عامة الى خريطة العقائد فى العالم المعاصر .

٢ ـ كلمة عن نشأة الدين ، وهل هو ظاهرة اجتماعية ، وهل تطور من الوثنية الى التوحيد ؟!

٣ ـ ضرورة العقيدة للفرد والمجتمع .

٤ ـ مصدر العقيدة وبيان قصور الميتافيزيقا فى مجال الألوهية .

٥ ـ كتب العقيدة فى التراث الاسلامى : نظرة تقويمية عامة .

٦ ـ من خصائص العقيدة الاسلامية وميزاتها .

٧ ـ حقيقة الايمان والاعتقاد .

٨ ـ ملحق حول : عدم تكفير المؤمن بالمعصية أو الذنب .

نظرة عامة الى خريطة العقائد الدينية فى العالم المعاصر

هناك ملاحظة جديرة بالتأمل والاعتبار تبرز بشدة أمام الناظر لحال الانسان فى نهاية هذا القرن العشرين ، تتمثل فى ذلك الوضع الشاذ بين ما حققه من تقدم علمى وفنى وصناعى هائل مذهل ، وما اصابه من فقر روحى وخواء ايمانى يعانى بسببه أشد معاناة وانكاها .

وبنظرة سريعة الى خريطة العقائد فى العالم المعاصر نرى ان الكتلة الشيوعية ـ فيما تعلن ـ قد تركت الايمان ظهرياً وولته دبرها (١) ، وفرغت من قضيته ، وقالت ان (الدين خرافة) ، وأنه (أفيون الشعوب) ، و (لا اله والحياة مادة) : ومن يقرأ كتابات ماركس ، وانجلز ، ولينين وستالين ، وماو ، وكيم سونج وغيرهم يدرك الأمر على جليته ، ومن يتابع الممارسات الرسمية للدول الشيوعية مع الأقليات المؤمنة ، يتحقق من أن هذه الكتلة ـ التى تضم تحت جناحها اكثر من ربع سكان المعمورة ـ قد اتخذت الالحاد شرعة والكفر بالله منهاجاً .

واذا يممنا شطر آسيا الجنوبية الشرقية (وهى من أعلى المناطق

---

(١) انظر كتاب لينين الجامع لفكر ماركس وانجلز ولينين بعنوان : (المختارات) أصدرته دار التقدم فى موسكو (فى خمسة مجلدات) بالعربية ١٩٧١ .

وانظر : سدنى هوك : (التراث الغامض : ماركس والماركسيون) ترجمة سيد كامل زهران ، نشر الهيئة المصرية العامة ، ١٩٨٦ ، وانظر : نيقولاى لوسكى : (تاريخ الفلسفة الروسية) ترجمة فؤاد كامل ، نشر المعارف بمصر ، وانظر : برديائيف : (الاتجاه العام للفلسفة السوفيتية الالحادية المحاربة) باريس ١٩٣٣ م وانظر : هانز كلسن : (النظرية البلشفية) ترجمة د . حسين نصار ، الحلبى ١٩٥٤ م . وانظر : جورج بوليتزر : (أصول الفلسفة الماركسية) ، تعريب شعبان بركات . طبع بيروت . وانظر كتابات كل من : د . محمد أبو ريان (موقف الاسلام من الماركسية) و د. سعيد رمضان (نقض أوهام المادية الجدلية) وطارق حجى : (أفكار ماركسية فى الميزان) و (الشيوعية والأديان) والاستاذ محمد قطب : (اتجاهات فكرية معاصرة) .

واقرأ الفصل الذى كتبناه بعنوان : (الفلسفة الماركسية) فى كتابنا (مدخل نقدى لدراسة الفلسفة) ص ١٧٧ ـ ٢١٦ .

اكتظاظاً بالسكان - مثل الهند واليابان وكوريا والفلبين وتايلاند الخ)
وجدنا معظم سكانها يدينون بالوثنيات : فيعبدون الأبقار أو الأحجار أو الأشجار أو الأنهار أو غير ذلك ٠ وهؤلاء يشكلون نسبة كبيرة من سكان المعمورة ، ولا يعبدون الله الخالق البارىء ٠ ويحمل عليهم أصحاب العقائد الوضعية الوثنية فى شتى بقاع العالم شرقه وغربه ٠ ولو اتخذنا الأرقام مقياساً لقلنا اكثر من نصف سكان العالم اليوم ملحدون او وثنيون !!

واذا انتقلنا الى أصحاب الديانات السماوية أو الكتابية رأينا أولا - فى الديانة المسيحية - ان الكتاب الذى أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام قد بدل وحرف وغير وزيف ، ووضع الكتاب الهواة والمحترفون عوضا عنه أكثر من مائتين من الأناجيل المزيفة ، واختارت الكنيسة من بينها هذه المجموعة المعروفة باسم (العهد الجديد) New Testament
واستبدلوا بعقيدة التوحيد التى دعاهم اليها عيسى عليه السلام ، تلك المنظومة من العقائد الوثنية للأمم السابقة عليهم ٠ وقد فرغ العلماء النصارى المتخصصون من الاستدلال العلمى على ذلك ، وانتهوا - بالحجج القاطعة والأدلة الداحضة - الى أن عقائد التثليث ، والتجسد أو الاتحاد ، والصلب ، والفداء ٠٠٠ الخ عقائد وثنية كانت تدين بها الأمم السابقة ؛ مثل قدماء المصريين واليونان والرومان والهنود وغيرهم (١) ، وعدد النصارى يشكل نسبة عظيمة من سكان المعمورة ٠

(١) للتحقق والتوسع انظر : كتابنا : (فى مقارنة الأديان) طبعة ١٩٨٦ ، ومقدمتنا وتعليقنا على كتاب الطاهر البيروتى (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) نشر دار الصحوة بالقاهرة ٠ وانظر للأساتذة اللاهوتيين الغربيين هذه النماذج فقط :

1 - The Myth of God Incarnate, Edited by John Hick, SCM London 7th Ed. 1985.

(وهذا الكتاب قد الفه سبعة من أساتذة الكليات اللاهوتية وأحدث ضجة علمية كبرى عند نشره لأول مرة) ٠

2 - Eden Spence : Early Christianity and Paganism, Hoo - Vince.

3 - J. M, Robertson, Pagan Chrits, Univrsity Books, Inc., New Hyde Park, N. Y.

أما اليهود فقد تنكبوا طريق الوحى ورسولهم موسى عليه السلام بين ظهرانيهم ، وكتبهم تسجل عليهم ذلك فيما بقى فيها من آثار وحى ونبوة . انهم غيروا (التوراة) التى أنزل الله ، وكتبوا بدلا منها كتبا كثيرة أسموها : (العهد القديم Old Testament) ؛ ووضعوا فيها من وثنيات الأمم السابقة ومما أوحاه لهم الهوى والتعصب ما يطول ذكره (١) . فالمسيحية واليهودية ديانتان اصولهما سماوية كتابية قد انحرف بهما اتباعهما الى الوثنية .

واذا انتقلنا الى المسلمين وجدنا أمرهم عجبا من العجب ، فتعدادهم قد يصل الى ألف مليون نسمة . وان كان الله تعالى قد حفظ كتابه (القرآن

=

4 - RoBen Lane Fox, Pagans and Christians. U.s.A. 1986. Great Britain By Viking 1987 (Twice).

5 - Edwyn Bevan, Hellenism and Christianity, London (Firist Published in 1921).

6 - Emil Schiirer. The History of the Jewis People in the age of Jesus Chirst, Tand T Clark, (Revised English Editkion) 1979.

7 - Jesus of the Early Christians : A Study in Christian Origins, by : G. A. Welles. G. Britain 1971.

(١) للتوسع انظر كتابنا (فى مقارنة الأديان) وانظر للفليسوف اليهودى باروخ سبنوزا : (رسالة فى اللاهوت والسياسة) ترجمة د . حسن حنفى ، نشر الهيئة المصرية للكتاب . وانظر :

1 - Otto Eissfeldt, The Old Testament : An Introduction Oxford 1974.

2 - John H. Hayes, An Introduction to Old testment Study SCM London 1979.

3 - Martin Hengel, Judaism And Hellenism 2Vol. SCM. 1974.

وانظر ما كتبه ابن حزم فى الفصل ، وما كتبه الحبر السموال بن يحيى المغربى فى (افحام اليهود) بتحقيقنا نشرة ١٩٨٥ م (وكان السموال يهوديا فاسلم ، . واقرأ طبعة دار المشرق البيروتية للعهد القديم بموافقة للنائب الرسولى للاتين بولس باسيم .

الكريم) من العبث والتحريف والتبديل - ولم يكل هذه المهمة للمسلمين أو لغيرهم - فان معظم المسلمين لم يفهموا كتابهم حق الفهم ، ولم يعقلوا عن ربهم كما أمرهم ؛ فانهم وان كان الحق معهم ، والوحى الالهى بين ايديهم ، فان غالبيتهم يرسفون فى اغلال الجهل ، والتقليد والتبعية لغيرهم من أهل العقائد المحرفة . واقلهم على الدين الحق فهماً واعتقاداً وعملا .

على كل حال ينبغى ان ننظر الى الاسلام ممثلا فى كتابه المنزل الموحى به من الله المحفوظ من التحريف بحفظ الله تعالى ، والى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة - لنرى أن الايمان او الاعتقاد الحق الذى أوحى الله به الى رسوله ليبلغه للناس كافة لم يزل كما أنزله الله ، وحجته قائمة على الناس جميعا . فالاسلام وسط هذه العقائد المتعددة التى تعج بها خريطة العالم المعاصر - فى نهاية القرن العشرين - هو الدين الوحيد الذى يدعو الى الايمان بالله تعالى وتوحيده وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله وعظيم سلطانه ، والايمان بالرسل جميعا ، والكتب التى انزلها الله ، والملائكة ، واليوم الآخر ، والقدر ، وينظم للناس شئون حياتهم وعلائقهم ويضع لهم قيمهم ومثلهم الخ .

وهكذا نرى أن معظم البشر اليوم اما ملاحدة معطلون كفار اوثنيون او يدينون بديانات أصولها سماوية موحى بها لكن يد التحريف والتغيير ذهبت بها كل مذهب فحولتها الى قوالب او هياكل ثم عباتها بالعقائد الوثنية الوضعية . وصدق الله القائل فى محكم التنزيل :

« وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » (١) .

« وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ؛ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » (٢) .

ولا ريب أن قارىء التاريخ الدينى للبشر تهوله كثرة عدد الملحدين نفاة الألوهية منكرى الغيب فى القرن العشرين كثرة غريبة عجيبة !! ....

(١) سورة يوسف آية ١٠٣ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٠ .

يحدث هذا فى قرن تقدم العلم الطبيعى ، وفى عصر التقدم الصناعى والتقنى العظيم الذى ليس للبشرية به سابق عهد ، بل لم تكن تصبو اليه أو تحلم به ٠

ويستطيع الباحث المنصف أن يقطع بأن الحضارة المادية الغربية قد هيأت المناخ ، وساعدت بفلسفتها التى تنظر الى الانسان على أنه كيان مادى أى جسم فقط ؛ فتعمل بعبقرية ـ تحسد عليها ـ على أن تشبع حاجته المادية ؛ ومن ثم كدست له الشىء الكثير من الأدوات والوسائل والأشياء ، ولم تأبه الى حاجته المعنوية الروحية ، فتعمل على ارضائها واشباعها ٠٠٠ ، وهل حاجة الروح شىء غير الايمان والعقيدة !! وان شئنا نظرة أعمق قلنا : ان الكنيسة فى العصور الوسطى تتحمل وزر جنوح الحضارة الغربية بالانسان نحو المادة والانحياز لها على حساب حاجة روحه ، وهى الحاجة الحقيقية التى يهيىء أهمالها الفرصة للالحاد والكفر والتعطيل ٠ وهذا ما وقع بالفعل ٠

ولأن الالحاد والكفر والتعطيل لا ينسجم مع فطرة الانسان بل يصدمها ويقف منها على الطرف المناقض ، سقط انسان القرن العشرين رغم كل علومه الطبيعية وصناعاته وتقنيته المذهلة وتقدمه المادى العظيم فى وهدة البؤس النفسى والقلق والخوف والتوتر وفقدان الغاية والهدف ؛ وان أردت الاختصار ، انه وقع فى الشقاء والضنك بكل ما تحمل هذه الكلمة الجامعة من معنى ، فهو فى شقاء وضنك نفسى وسياسى وعسكرى واقتصادى واجتماعى (١) الخ ٠ الخ ٠ ، وصدق الله القائل :

---

(١) يراجع كتابنا : (مدخل نقدى لدراسة الفلسفة) ص ٢٢٩ ـ ٢٣٦ ، وراجع كتاب الفيلسوف الألمانى (شبنجلر) (Decline of the West) فى مجلدين طبعة نيويورك ١٩٢٦ ـ ١٩٢٨ م ٠

وانظر كتاب مؤرخ الحضارة الأمريكى المعاصر : ول ديورانت : (مباهج الفلسفة) ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، الأنجلو ١٩٥٦ ، وانظر كتابات كل من توينبى ، وأينشتاين ، واجنازيوسيلون ، وكوستلر ، وفورستر ، وكلارك ، وريك فروم ، وجان بول سارتر ، وكارل بوبر ، وبرتراند رسل ، وسدنى هوك ، وكارل ياسيرز ، وجاك مارتيان ، ورينولد نيبور ، وسار فيبالى كرشنان التى تشخص أزمة الانسان فى ظل =

« فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى - الآية » (١) ٠

لا ريب هذا حال الانسان - من حيث الاعتقاد والايمان - فى نهاية القرن العشرين ٠ ولا أحب أن يتوهم متوهم أن ثمة صلة أو رباط بين تقدم العلم الطبيعى وبين ذيوع الالحاد والكفر والتعطيل ٠ بل اننا نقرر واثقين - بكل ما لدينا من شواهد وبينات - أن تقدم العلم الطبيعى - على العكس من ذلك - سيؤدى - ضرورة - الى ايقاظ نزعة التدين فى النفوس وتفجير طاقاتها الايمانية ومكنوناتها الاعتقادية ولو بعد حين وان بوادر تدعو الى التفاؤل العظيم تلوح أمامنا مؤكدة ما نقطع به ، وتأسيسا على ذلك فانا نرى أن خريطة العقائد والأديان فى القرن الواحد والعشرين ستتغير وتتحسن وان نسبة كبيرة من الملحدين النفاة ستعود الى حظيرة الايمان بالله وتيمم شطر الدين ٠ ومما يساعد على ذلك - اضافة الى تقدم العلم الطبيعى - ما يرى من معالم اضمحلال وأفول الحضارة المادية الغربية ذات النظرة الفلسفية المنكرة للانسان والكون والحياة (٢) ؛

=
الحضارة الغربية ، وقد جمعت الأستاذة ادريين كوخ هذه الكتابات فى مجلد بعوان Philosophy for A time Crisis

وانظر ما كتبه كولن ولسون فى (سقوط الحضارة) والكسيس كاريل فى : (الانسان ذلك المجهول) وجارودى ، ومحمد أسد ، وسيد قطب ، واسماعيل الفاروقى ، وكتابات الوجودين عن الهم والقلق والخوف الذى يعانى منه انسان الحضارة المادية الغربية التى تنظر بعين واحدة (عوراء) ، والتى تمشى على ساق واحدة فهى (عرجاء) ٠

(١) سورة طه - آية ١٢٣ ٠

(٢) واليك قارئى العزيز بعض بيانات قادة العلم والفكر والسياسة فى الغرب ٠٠ يقول الدكتور ويلسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية : « ٠٠٠ وخلاصة المسألة أن حضارتنا ان لم تنقذ بالمعنويات ، فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ؛ وانها لا يمكن أن تنجو الا اذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها ٠٠٠ ذلك هو الأمر الذى يجب أن
=

الى جانب مقدمات صحوة من أصحاب العقيدة الالهية الصحيحة الصافية التى تكفل الله تعالى بحفظ كتابها (القرآن الكريم) من اى تبديل أو تحريف أو تغيير ؛ الى جانب يقظة موفقة من علماء اللاهوت المسيحى لدراسة نصوصهم وعقائدهم دراسة نقدية واعية مستنيرة تنفى عنها ما لحق بها من أو شاب وأوصاب اضرت ضرراً بليغا بالدين والايمان ، وأثرت سلبا على خريطة الاعتقاد فى العالم المعاصر .

=

تتنافس فيه معابدنا ، ومنظماتنا السياسية ، واصحاب رؤس اموالنا ، وكل فرد خائف من الله محب لبلده » نقلها لنا العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه القيم (الدين) ص ١٠٣ عن الصحف الفرنسية الصادرة فى ١٩٤٠/٦/٢٦ م .

ويقول (بيتان) عاهل الدولة الفرنسية فى خاتمة خطابه الذى أذاعه على أمته عقب توقيع الهدنة مع زعيم المانيا فى ١٩٤٠/٦/٢٥ : « اننى أدعوكم أول كل شىء الى نهوض أخلاقى » ويرى عالم الطبيعة الأمريكى روبرت ميللكان : « أن أهم أمر فى الحياة هو الايمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الايمان سببا للحرب العامة ، واذ لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة ، بل يصير العلم نكبة على البشرية » . عن (الدين والعلم) للمشير أحمد عزت باشا ، نشر لجنة التاليف سنة ١٩٤٨ (ص ١٠٣ : الدين) وفى خطبة المارشال مونتجومرى Montgomery امام الجيش الثامن فى ١٩٥١/٣/٤ قال : « ان أهم عوامل الانتصار هو العامل الأخلاقى ؛ ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده الى بذل اقصى جهودهم فى العمل الا اذا كانت ضمائرهم مرتاحة الى ما يعملونه ويقينى أن الجيش اذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى .

ان خطر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ؛ عن الصحف المصرية الصادرة فى ١٩٥١/٣/٥ (الدين : ص ١٠٤) .

كلمة عن نشاة الدين ، وهل هو ظاهرة اجتماعية ، ومناقشة من يرى تطور الدين وترقيه من الوثنية الى التوحيد

١ - هل التدين نزعة اصيلة فى الانسان ، أو فكرة عارضة طارئة ؟ وهل التدين خالد باق ما بقى الانسان ، او ان امره الى زوال ؟

لا مراء ان التدين ، أو الاعتقاد الايمانى ، أو الحاسة الدينية ، او غريزة الدين - على اختلاف مذاهب الناس فى تسميتها - امر **فطرى جبلى مركوز فى اعماق الانسان** ، هذا من ناحية ، كما ان تسليم الانسان **بضرورة قانونى السببية والغائية** ينبغى أن يسلمه الى التدين والاعتقاد فى الله والايمان بالغيب من ناحية اخرى . وتاسيسا على ذلك فيقال ان الاعتقاد الايمانى او فكرة التدين - فى جوهرها - قد صاحبت الانسان منذ أول وجوده على ظهر لأرض ، « وليس هناك دليل واحد على أنها تاخرت عن نشأة الانسان » (١) . وقد صرح كثير من ثقات العلماء بأصالة نزعة التدين فى الانسان (٢) لكن هنالك جماعة من الدارسين الغربيين من

---

(١) انظر العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه : « الدين »ص ٨٤ ، ويسرنى أن أشير هنا الى أنى أفدت منه - رحمه الله - فائدة عظيمة ، ونقلت عن كتابه نصوصا عديدة قيمة

(٢) جاء فى معجم (لاروس) للقرن العشرين : « ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، حتى أشدها همجية ، واقربها الى الحياة الحيوانية ... وان الاهتمام بالمعنى الالهى ، وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ... ، (وهذه الغريزة) لا تختفى ، بل لا تضعف ولا تذبل ، الا فى فترات الاسراف فى الحضارة (لعله يقصد الاسراف فى الترف والرفاهية) ، وعند عدد قليل جدا من الأفراد » .

أما (بارتيلمى سانت هيلير) فيقول : « هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من اين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الدنيا ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شىء بعد هذه =

كتاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا للثورة الفرنسية ، **دفعتهم ممارسات** الكنيسة الى التطرف فى الحكم بأن الدين ليس أصلا فى النفس البشرية ، ولكنه ظاهرة عارضة طارئة فى حياة البشر ، ومن هؤلاء (فولتير) الذى قال : « ان الانسانية لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصة ، قوامها الحرث ، والنحت ، والبناء ، والحدادة ، والنجارة ، قبل أن تفكر فى مسائل الديانات والروحانيات » **بل قال : أن فكرة التأليه انما اخترعها دهاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين نقوا من يصدقهم من الحمقى والسفهاء » (١) .**

=

الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟ .. هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ، ولا مجتمع ، الا وضع لها حلولا جيدة أو رديئة ، مقبولة او سخيفة ، ثابتة أو متحولة ... » .

(الدين ص ٨٤) B. St. Hilaire Mahomet et Le Coram P. xxxxIV.

ويقول (هنرى برجسون) : « لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة » (منبعا الدين والأخلاق) .

ويذكر (شاوشان Chachoin) : « مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر ... علميا ، وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، ومهما يكن اندفاعنا فى هذه الحركة العظيمة للحياة العملية ، وللجهاد والتنافس فى سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا ، فان عقلنا فى أوقات السكون والهدوء (عظما كنا أو متواضعين خيارا كنا او أشرارا) ، يعود الى التأمل فى هذه المسائل الأزلية لم ؟ وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ والى التفكير فى العلل الأولى أو الثانية ، وفى حقوقنا وواجباتنا » (تطور الفكر الدينى) (عن الدين ص ٨٥) .

(١) Voltaire, Essai Sur Les moeurs, p. 14.

ومما يذكر أن (جان جاك روسو) نظر الى القوانين نفس هذه النظرة فقال : « ان الأفراد الذين سبقوا الى وضع أيديهم على بعض مساحات من الأرض ، حدا بهم جشعهم ، وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم ، الى أن يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ، ليخدعوا بها الجمهور ، ويضللوا بها الفقراء » . (عن الدين ص ٨٥) . ومما يذكر هنا أن (فيتشه) نظر الى الأخلاق ذات النظرة .. راجع كتابنا : (الفكر الأخلاقى : دراسة مقارنة) .

ويعلق الدكتور محمد عبد الله دراز على ذلك قائلا

« هذه النظرة الساخرة الى الأديان - والقوانين - ليست مبتكرة ، وانما هى ترديد لصدى مجون قديم ، كان يتفكه به أهل السفسطة من اليونان وكانوا يروجونه فيما روجوه من المغالطات والتشكيكات فقديما زعم أهل السفسطة (أن الانسان كان فى أول نشـاته يعيش بغير رادع عن قانون ،

ولا وازع من خلق ، وأنه كان لا يخضع الا الى القوة الباطنة ... ثم كان أن وضعت القوانين ، فاختفت المظاهر العلنية من هذه الفوضى البدائية ، ولكن الجرائم السرية ما برحت سائدة منتشرة ... **فهنالك فكـر بعض العباقرة فى اقناع الجمهور بأن فى السماء قوة ازلية أبدية ترى كل شىء .. وهكذا لـم تكن القوانين والديانات فى تصويرهم الا ضربا مـن السياسـية المـاهرة التى تهـدف الى عـلاج امـراض المجتمع بكل حيلة ووسيلة » (١) .**

ويمكننا أن نقول باطمئنان أن تكهنات فولتير وغيره من أصحاب الفلسفة الماركسية ، والماديين عموما ، والسوفسطائيين مـن قبل ، هى الأفكار العارضة الطارئة ، ولا يغرنك كثرة صراخهم فان كثرة الصراخ ليست دليلا ، كما أن زيادة العدد أو نقصانه لا يؤخذ منه حجة .

ثم جاء (أوجست كونت) فخرج على الناس بما أسماه (قانون الحالات الثلاث التى مر بها العقل الانسانى فى تطوره) وما يهمنا منه هنا انه وان كان قد اقر بان الدين ظـاهرة عريقة فى القدم ، وأنهـا أول مراحل تطور الفكر الانسانى ، فانه لم ير أن تقدمها الزمانى يكسبها صفة الأصالة والثبات والاستمرار والخلود ، بل هو - على العكس - يطبعها بطابع الشيخوخة والهرم ، وينذر أن مصيرها الى اضمحلال وفناء ، ثم أجهد نفسه ، وأعيى فكره فى البرهنة على ذلك (٢) .

---

(١) الدين : ص ٨٢

(٢) راجع كتابه (محاضرات فى الفلسفة الوضعية) و « ليفى بريل » : (فلسفة أوجست كونت) ترجمة د . محمود قاسم ، الأنجلو سنة ١٣٧١ هـ =

وخلاصة رأى (كونت) : أن الانسان فى تطوره العقلى والفكرى قد مر بثلاث مراحل أو أدوار ؛ هى :

- دور الفلسفة الدينية .

- ودور الفلسفة التجريدية .

- ودور الفلسفة الواقعية . وهذا الدور الثالث - فى نظره - هو احر الأطوار وأسماها . فبعد أن كان الناس يعللون الظواهر الكونية بقوة او بقوى خارجة عنها ، انتقلوا الى تفسيرها بمعان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها ، كقوة النمو ، والمرونة ، والحيوية ، الخ ، ثم انتهوا الى رفض كل تفسير خارجى أو داخلى ، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هى ، ومعرفة ما بينها من ترابط وجودى ، بقطع النظر عن أسبابها وغاياتها .

وعلى هذا يكون (دور التفكير الدينى) **يمثل الحال البدائية التى تلهت بها الانسانية فى مرحلة طفولتها ، فلما كبرت عن الطوق خلعتها لتستبدل بها ثوبا وسطا فى دور مراهقتها ؛ حتى اذا بلغت اشدها ، واكتمل رشدها ، اخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية** (١) .

هذا كلام (كونت) وهو فى نظر العقل الرشيد « دعوى غير مسلمة ،

=

١٩٥٢ م . وانظر الفصل الذى كتبناه فى (مدخل لدراسة الفلسفة) عن الفلسفة الوضعية ص ١٥٢ - ١٦٢ .

وانظر : (منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية) وهو رسالة ماجستير قدمها محمد أمزيان الى قسم الفلسفة بدار العلوم ١٩٨٧ م . ص ١٩ - ٢٢ ومواضع أخر . وانظر تعليقات (أندريه كريسون) على (كونت) فى : (تيارات الفكر الفلسفى) ص ٣٣٣ ، ٣٨٤ من الترجمة العربية ، وتعليق (بييردو كاسيه) فى (الفلسفة الكبرى) ص ١٦٢ من الترجمة العربية . ويعتبر (كونت) ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ثالث ثلاثة أسسوا ورادوا (الفلسفة الوضعية) والآخران هما : (سان سيمون) ١٧٦٠ - ١٨٢٥ و (اميل دوركايم) ١٨٥٨ - ١٩١٧ م .

(١) Auguste Comte Cours de Philosophie Positive عن (الدين ص ٨٦) .

لأنها مجردة عن البرهان ، ولأنها تحرف التاريخ ، وتصادم العيان ٠
فنحن مازلنا نسمع ونـرى فى كـل عصر تقديســا للروحانيات ، وشغفا بالمعنويات والمعقولات الكلية ، عند فريق من الناس ، الى جانب الكلف بالحوادث والحقائق الجزئية ، عند فريق آخر ٠ وليس الحد الذى يفصل بين المعسكرين هو جهل أحدهما بالتجارب الكونية وخبرة الآخر بها ٠٠ ، كما أن « الحالات الثلاث » التى يصورهــا (كــونت) لا تمثل أدوارا تاريخية متعاقبة ، بل تصور نزعات وتيارات متعاصرة فى كل الشعوب ٠٠٠

« بل ان هذه النزعات الثلاث متعاصرة متجاورة فى نفس كل فرد ، وأن لها وظائف يكمل بعضها بعضا فى اقامة حياة الانسان على وجهها ، ولكل واحدة منها مجال يوائمها ٠

بل يذهب الدكتور دارز الى أبعد من ذلك فيقرر أن ترتيب (كونت) للحالات الثلاث معكوس منكوس يقف على رأسه لأن النظرة الوضعية تقع فى مبدأ الطريق لا فى نهايته ، وأنها تمثل مرحلة الطفولة النفسية لا مرحلة النضج والكمال ٠٠ اما ملكة التعليل بالمعانى العامة فانها تنبثق فى النفس على أثر ذلك ، متى استيقظت ملكتــا التجريد والتعميم فى التصـورات والأحكام ، فلا يكتفى الذهن بجمع الحوادث فى سلسلة ٠٠ بـل يحاول ربطها برباط معنوى تدور فى فلكه ٠٠ والمعارف الانسانية لا تستحق اسم (العلم) حتى تأخذ بنصيب من هذا التعميم والتجريد أما النظرة الروحية أو الدينية فهى أوسع النظرات مجالا وابعدها مطلبا ، فهى لا تتمكن من النفس الا حين يتسع افقها ٠٠٠ وتتجاوز حوادث الكون وظواهره الى مــا وراءه ٠٠

« وهكذا ينقلب الترتيب الذى تخيله (كونت) رأسا على عقب ، وتعود الحاجات النفسية الثلاثة الى أوضاعها الطبيعية المعقولة : حاجة الحس ، فحاجة العقل ، فحاجة الروح ، ٠٠ وكلها داخلة ومتعاصرة فى كيان النفس الانسانية ٠٠٠ وكما أننا لا نجد امارة واحدة تدل على قـرب زوال النزعة الاستقرائية التجريبية ، أو النزعة التعليلية الفلسفية كذلك

لا نرى امارة واحدة تشير الى أن فكرة التدين ستزول عن الأرض قبل أن يزول الانسان » (١) ٠

يقول الدكتور (ماكس نورده) : « هذا الاحساس (الشعور الدينى) أصيل يجده الانسان غير المتمدين ، كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا » ٠

ويذكر (أرنست رينان) فى تاريخ الأديان : « أن من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الانسان فى المضايق الدنيئة للحياة الأرضية » ٠

ويؤكد الأستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه : « نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين ، لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ، فنظرة التدين ستلاحق الانسان ما دام ذا عقل ٠٠٠ وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه » (٢) ٠

٢ ـ هل الدين ظاهرة اجتماعية ، نشأ أول ما نشأ وثنيا بدائيا ساذجا ، ثم ترقى وتطور الى التوحيد ؟

لا ريب عندنا أن الحل النهائى لهذه المسالة انما يكون عن طريق الوحى ، لأنها داخلة فى منطقة الغيب التى هى موضوع الايمان ، وليست من شان العلوم الاستقرائية ، ولا العلوم الاستنتاجية ٠

والحق أن نصوص القرآن والسنة ترشدنا الى أن عقيدة الانسان الأول فى الله كانت عقيدة التوحيد ، كانت العقيدة الراقية الصحيحة لأنها استجابة مباشرة للفطرة « **فطرة الله التى فطر الناس عليها** » (٣) ٠ وان الناس فى البدء كانوا مؤتلفين على الحق مستقيمين عليه ، ثم طرأ عليهم

---

(١) د ٠ دراز : الدين ص ٨٧ ـ ٨٨ ٠
(٢) عن كتاب الدين ص ٨٩ ٠
(٣) سورة الروم آية ٣٠ ٠

الانحراف وعرض لهم الاختلاف بعد ذلك : « **وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا** » (١) ، وان اتساع شقة الخلاف واستمراره انما كان بتاثير الوراثة والبيئة : « كل مولود يولد على الفطرة ، **فأبواه يهودانه** ، او ينصرانه ، أو يمجسانه » (٢) . **كما أن النصوص تدل على أن الانسان** الاول ، والجماعة البشرية الأولى لم تترك وشأنها تستلهم غرائزها وحدها ، بغير مرشد ومذكر ، بل تعهدتها السماء بنور الوحى من أول يوم ، فكان أبو البشر هو أول الأفداد الملهمين ، وأول المؤمنين الموحدين وأول المتضرعين الأولين (٣) **تلك هداية الوحى** .

اما أولئك الذين أثاروا مسألة (نشأة الدين) وراموا حلها ، فانهم لم يتجهوا الى المرجع الذى يملك كلمة الفصل فى ذلك ، أعنى نصوص الوحى ؛ بل سلكوا للوصول الى هذا المطلب طريقة التنقيب عن أديان الأمم القديمة ، أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، حتى اذا ما انتهى بهم السير فى تلك العصور المظلمة ، أو تلك الأقطار المنعزلة ، الى أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الدينى اعتبروه صورة مطابقة لما كان عليه الانسان الأول من اعتقاد .

وجاءت نتائج دراساتهم متعاكسة متناقضة ؛ فقال (فريق منهم) ان **الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وأن الانسان أخذ يترقى فى دينه على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد ، كما** تدرج فى علومه وصناعاته ؛ حتى زعم بعضهم أن عقيدة « الاله الأحد » عقيدة جد حديثة ، وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامى .

هذه نظرية (التطور) التى سادت فى القرن التاسع عشر فى أكثر من فرع من فروع العلم - وحاول تطبيقها على الأديان بعض العلماء مثل كونت وسبنسر Spencer ، وتايلور Tailor ، وجيمس فريزر

---

(١) سورة يونس آية ١٩ .
(٢) متفق عليه .
(٣) اقرأ عن آدم عليه السلام فى سورة البقرة ، الآيات ٣٣ : ٥٣٨ وفى سورة طه ، الآيات ١١٥ : ١٢٣ .

G .Frazer ، واميل دور كايم E. Durkheim وغيرهم . **وليس من شك فى أن رؤيتهم للدين على أنه (ظاهرة اجتماعية) أو (وضع بشرى) جعلهم يقيسونه فى نفس كفة الميزان التى وضعوا فيها معطيات الانسان الأخرى مثل الصناعات والفنون وغيرها** (١) . فكما كانت صناعات الانسان الأول وعلومه ساذجة بدائية ، كذلك كانت ديانته وثنية ساذجة تتعدد فيها الالهة وتتصارع ، ثم ترقت - كما ترقت صناعاته وعلومه - الى أن بلغت درجة التوحيد (٢) .

أما الفريق الآخر فيقرر - بنفس المنهج - بطلان مذهب الفريق الأول ، ويثبت **أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر ، مستدلا بأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم فى القديم والحديث ، فتكون**

---

(١) ولقد وافقهم على ذلك الأستاذ عباس العقاد رحمه الله ، اذ يقول فى صدر كتابه : (الله) : « ترقى الانسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات ؛ فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الاولى ، وكذلك علومه وصناعاته . فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات ، وليست عناصر الحقيقة فى واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة فى الأخرى . وينبغى أن تكون محاولات الانسان فى سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته فى سبيل العلوم والصناعات ، لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلبا ، وأطول طريقا من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التى يعالجها العلم تارة ، والصناعة تارة أخرى . كتاب : (الله) ص ٥ دار المعارف ١٩٤٧ م ، وراجع مقالة الأستاذ حماد الصقلى عن (النبوة والحاجة اليها) فى مجلة (هذه سبيلى) الحولية الصادرة عن كلية الدعوة والاعلام بالرياض ١٤٠٤ هـ باشرافنا .

(٢) ونحن نقول لو كان الدين وضعا بشريا ، أى ظاهرة اجتماعية ، بمعنى أن المجتمع هو الذى يخترعه وينشئه لربما كان هذا القول سديدا . لكن أما وأن الدين (وضع الهى) فان سنة النشوء والتطور والترقى - التى قد تنطبق على صناعات الانسان ومعارفه - لا تنطبق على الدين . فهو (وضع الهى) كامل تام .. بدأ بدعوة التوحيد ، ثم حرف الانسان وغير وبدل ، وجدد لله له الدعوة حينا بعد حين على ألسنة رسله الكرام عليهم السلام .

الوثنيات ان هى الا أعراض طارئة ، أو أمراض متطفلة ، بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة .

وهذه هى نظرية (فطرية التوحيد وأصالته) التى انتصر لها جمهور من علماء الأجناس ، وعلماء الانسان (الأنثروبولوجى) ، وعلماء النفس . ومن أشهر مشاهيرهم لانج Lang الذى أثبت وجود عقيدة (الاله الأعلى) عند القبائل الهمجية فى أستراليا ، وافريقيا ، وأمريكا . ومنهم شريدر Schraeder الذى اثبتها عند الأجناس الآرية القديمة ، وبروكلمان Brockilman الذى وجدها عند الساميين قبل الاسلام ، ولروى Laroy ، وكاترفاج Quatrefages عند اقزام أواسط افريقيا ، وشميدت Schmidt عند الأقذام وعند سكان استراليا الجنوبية الشرقية ، وانتهى شميدت هذا الى أن فكرة (الاله الأعظم) توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الانسانية (١) .

وفى الواقع ان تناقض نتائج البحث بين (التطوريين والتوحيديين) ، وموافقتنا لرأى التوحيديين ، لا تنسينا أن نقول : ان كليهما قد رام تحديد صورة العقيدة عند ابتدائها فى الجنس البشرى . أى **العقيدة البدائية الحقيقية** ، وأن كليهما قد توسل الى هذه الغاية بدارسة الشعوب المتاخرة والأمم الغابرة . وهذا خطأ فى الوسيلة كما سنرى .

والحق أن كل النظريات التى رامت تحديد ديانة الانسان الأول بالتطبيق على ديانات القرون الماضية ، أو الأمم الهمجية ، فصورتها لنا تارة سليمة ، وتارة سقيمة ، وتارة ملفقة ، انما هى افتراضات مبنية على افتراضات ، فهى لا تصف الحق الثابت ، الذى هو مطلب العلم الصحيح ، وانما تعرض احتمالات تشبه الحق قليلا أو كثيرا ، أو لا تشبهه البتة .

والخطأ الذى وقع فيه الفريقان معا هو أنهم حاولوا اقحام اسم العلم الوضعى التجريبى فى البحث عن عقيدة الانسان الأول ، وهى

---

(١) الدين ص ١١٢ .

منطقة حرام على هـذا العلم ، ولن يحقق فيها نتائج حقيقية ، وعلماء تاريخ الأديان يقرون بأنه يستحيل « أن ينجح العلم الوضعى فى حل مشكلة بروغ الدين فى النوع الانسانى ... لأن التاريخ لا يصور لنا هذه البداية الأولى فى موضع ما ، وكل ما نجده انما هو سلسلة من صـور مختلفة لديانات متقدمة قليلا أو كثيرا » .

كمـا انهم أخطأوا فى منهج الاستدلال على ديانة الانسانية الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب المدنية ، وهـذا وهم قائم على افتراض أن هذه الأمم كانت واستمرت على هذه الحالة من التخلف ، ولم تمر بأدوار مختلفة متقلبة ، تقترب فيها أو تبتعد عن المدنية ، والذى اثبته التاريخ بهذا الصدد ، واتفق عليه المنقبون عن آثار القرون الماضية ، ان فترات الركود والتقهقر التى سبقت مدنياتهـا الحاضرة كانت مسبوقة بمدنيات مزدهرة ، وأن هذه المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة ، قريبة أو بعيدة ، فى أدوار تتعاقب على البشرية ، كما تتعاقب الفصول السنوية على الوجود . بحيث يصبح من العسير أن نحكم بصفة قاطعة بأيهمـا بدأت دورة الزمان . وليس تعيين أحـد الأمرين للابتداء الحقيقى بأثبت تاريخيا من مقابله .

فكذلك يقال بشأن العقائد الدينية .

انه من الممكن أن تكون الخرافات القديمة بداية ديانات ، كما يمكن أن تكون نتيجة تحلل وتحريف لديانة صحيحة سابقة (١) .

ونود أن نقول ـ قبل أن ننهى هذه المناقشة ـ أن أكثر المتخصصين فى علم الاجتماع ، فى الشرق الاسلامى ، قد قبلوا فى تسليم وخضـوع ، بل وحماس مفتون مقولة (للتطوريين) الذين يرون ـ كما رأينا ـ **أن الدين ظاهرة اجتماعية ، وأن أصله الأسطورة والخرافة ، ثم تطور عنها وترقى ـ تبعا لسنة التطور ـ الى التوحيـد . ومعظمهم يردد أفكار (كونت) و (دوركايم) و (هربرت سبنسر) و (جيمس فريزر) و (تايلور) وغيرهم** ، دون وعى بان هـذه الأفكار مجرد افتراضات اقاموهـا على

---

(١) السـابق ص ١١٤ .

افتراضات ، لم يؤيدها العلم الصحيح ، ولم يشهد لها المنطق أو الواقع أو التاريخ . كما أنها تناقض مقررات الوحى الثابت عن الحق تعالى وتعظم .

وحق علينا — من أجل ذلك — أن نناقشهم ونحاورهم . وأن نقول مع العلامة دراز : « قد كان مقتضى الوضع السليم ، فى تعرف ما كانت عليه بداية الأديان فيما قبل التاريخ — أن نسترشد فى مقارنتها — لا بسير الفنون والصناعات — بل بسير الديانات المعروفة منذ طفولة التاريخ الى اليوم ، الا واننا نعرف بالاستقراء ان كل واحدة من هذه الديانات بدأت بعقيدة التوحيد النقية ، ثم خالطتها الشوائب والأباطيل على طول العهد . فالأشبه أن تكون هذه سنة التطور فى الديانات كلها : ان بدايتها دائما خير من نهايتها » (١) .

٣ — تصورات الباحثين الغربيين عن أسباب نشأة العقيدة الالهية :

ومهما يكن من أمر (التطوريين) فان الدين قد نشأ وظهر وقد اجهد الباحثون الغربيون أنفسهم فى وضع اجابة على سؤال طرحوه مؤداه :

ما الذى دفع الانسان للتدين والاعتقاد ؟

أو ماذا حفز الانسان ، واثاره نحو الاعتقاد الدينى ؟

أو — بعبارة أخرى — ما هى العوامل وراء اثارة الفكرة أو الحاسة الدينية فى نفس الانسان ؟

ولم تكن ثمة اجابة واحدة أو تصور واحد ، ولكن اجابات متعددة وتصورات كثيرة :

- **فهنالك تصور المذهب الطبيعى أو الكونى الذى يرى ان العامل الأول فى نشأة العقيدة الدينية كان هو النظر فى مشاهد الطبيعة ، وقد نسب اليها القول بأن العبادة الأولى كانت عبادة الطبيعة .**

---

(١) ص ١١٦ ويجدر أن نشير هنا الى أن كتاب الدكتور دراز بحث رائد ويتيم فى هذا المجال ، قد كتبه يرحمه الله سنة ١٩٥٢ م ، وقد عولنا عليه فى كتابة هذا البحث . ويمكن مراجعة رسالة محمد أمزيان المشار اليها آنفا للاطلاع على صدى هذه النظرية التطورية فى نشأة الدين عند أساتذة علم الاجتماع فى الشرق الاسلامى .

- وهنالك تصور المذاهب الروحية أو الحيوية ، وقد نسب اليها أن الأصل كان عبادة أرواح الموتى ثم الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر .

- وهنالك تصور المذهب النفسى ، الذى تتلخص فكرته العامة فى أنه لأجل الوصول الى العقيدة الالهية – واثارتها فى النفس الانسانية – لم يكن بالناس حاجة الى التأمل فى الطبيعة وجمالها ، ولا فى التقلبات الكونية وأهوالها ، ولا فى التجارب العجيبة فى عالم الأرواح وأسرارها ، بل ان تجارب الانسان النفسية ، فى حياته العادية المألوفة له فى كل يوم ، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة الى تلك الحقيقة العليا .

- وهنالك تصور المذهب الأخلاقى وصاحبه الفيلسوف عمانويل كانت ، وقد شرحه فى كتابه : نقد العقل العملى .

- وهنالك تصور المذهب الاجتماعى ، ورائده دوركايم Durkheim ، الذى يرى أن التدين وليد أسباب اجتماعية ، أى أن عقل الجماعة هو الذى يخلق الأديان ويبرزها الى الوجود .

هذه تصورات المفكرين الغربيين عن نشاة الدين ، وواضح أنها تشترك جميعها فى القول بأن العقيدة الالهية قد وصل اليها الانسان بنفسه عن طريق عوامل انسانية ، سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية ، أم من نوع جنس التأثيرات والضرورات الاجتماعية اللاشعورية ، الى غير ذلك .

ومما يلاحظ أن بعض هذه التصورات الخاطئة تشكل قاعدة خلفية لبعض دارسى علم الاجتماع الدينى عندنا ، ومن ثم وجب علينا التنبيه اليها فى اشارة وجيزة (١) .

---

(١) وقد ناقش الدكتور دراز هذه التصورات مناقشة علمية مستفيضة ثم علق عليها ، أنظر ص ١١٩ – ١٨٠ .

اثر العقيدة فى النفس والمجتمع

تمهيـد :

بداية اذكر أن هذا الموضوع طويل متشعب · ولا يمكننى أن أعالجه بصورة دقيقة وافية فى مثل هـذا المبحث الوجيز ، ولعل شعورى العميق بأهمية هذا الموضوع يغفر لى هذا الايجاز الذى هو أشبه ما يكون برشحة من بحر ، وشعاع من شمس ، مع التنويه بضرورة العودة اليـه فى مقام آخر (١) ان شـاء الله ·

والآن ·· لو اجتهدنا فى تلخيص أعـز مطلب يطمح كل فرد الى تحقيقه لنفسه ويسعى اليه كل مجتمع لقلنا فى كلمة واحدة : انه **السعادة** · فالسعادة هى جنة الأحلام التى ينشدها كل بشر ، من الفيلسوف فى قمـة تفكيره وتجريده ، الى العامى فى قاع سذاجته وبساطته ، من الملك ، الى الصعلوك ، ولا نحسب أحدا يبحث عن الشقاء لنفسه ، أو يرضى بتعاستها ·

ولكن كيف تتحقق هذه السعادة للفرد وللمجتمع ؟

لقد جرب الناس أن وفرة المـال ، وقوة السلطان والجاه ، وكثرة الأولاد ، وتحقيق المنافع ، والعلوم المـادية ، لم تستطع ـ وحدها ـ تحقيق السعادة للفرد والمجتمع ، وهل معنى ذلك أن لا مفر أمام البشر من الوقوع ضحايا الشقاء والبؤس والضنك بمختلف صنوفه وشتى أنواعه وما أكثرها ، وما أكثر تنوعها ؟ !!

نقول لا ·· فهذا هو الايمان ، الايمان وحده هو القادر على أن يفجر

---

(١) يحسن بالقـارىء أن يراجع كتاب الأستـاذ الدكتور يوسـف القرضاوى : (الايمان والحياة) طبعة مؤسسة الرسالة الثانية عشر سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، وقد أفدنا منه كثيرا فى كتابة هذا البحث ، وينظر كذلك رسالة (الرد على الدهريين) لجمال الدين الأفغانى ، وكتاب (الدين) للدكتور دراز ، و (خصائص التصور الاسلامى) لسيد قطب ، و (الانسان بين المـادية والاسلام) لمحمد قطب ، ومؤلفات محمد عبده ، ورشيد رضا ، ومحب الـدين الخطيب ، ومؤلفـات (ابن القيم) و (الغـزالى) ، و (البيهقى) ، و (الحليمى) ، و (العودة الى الايمان) لهنرى لنك ·

فى قلب الانسان المؤمن ينابيع وأنهارا من السعادة لا تفيض ، ويستحيل أن تتحقق السعادة بغيرها ، **تلك هى ينابيع السكينة ، والطمانينة ، والأمن** النفسى ، والأمل والبشر والتفاؤل ، والرضا ، والحب ، والعزة ، والحرية الخ . والايمان قادر على أن يفيض على نفس المؤمن هذه العناصر وغيرها مما يجعله سعيدا فى هذه الحياة الدنيا ، سعيدا فى حياته الآخرة كذلك .

فالعقيدة الايمانية لها امكانات هائلة فى تحقيق السعادة للفرد ، بل لا يمكن أن تتحقق للفرد سعادة بغيرها . ومعروف أن ما يؤثر فى الفرد يؤثر فى المجتمع ، فالحدود بين الفرد والمجتمع متداخلة متشابكة ، فما يحقق للفرد السعادة يحققها للمجتمع بالضرورة ، فالمجتمع الصالح السعيد ليس أكثر من أفراد صالحين سعداء .

أولا : أثر العقيدة فى الفرد :

١ ـ الايمان يحقق له سكينة النفس وطمانينة القلب :

قال تعالى :

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » (١) . « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٢) .

لامراء أن سكينة النفس ورضاها وطمانينة القلب تشكل ركنا هاما وأساسيا من أركان سعادة الانسان ، بل هى الينبوع الأول للسعادة . ولامراء كذلك أن السبيل اليها لا يكمن فى الذكاء ولا العلم ، ولا الصحة ، ولا القوة ، ولا المال والغنى ، ولا الشهرة والجاه ، ولا غير ذلك من نعم الحياة المادية وحدها .

ان للسكينة والطمانينة مصدرا واحدا هو الايمان بالله ايمانا صادقا عميقا لا يكدره شك ، ولا يفسده نفاق . وهذا ما يشهد به الواقع الماثل ، وما أيده التاريخ الحافل ، وما يلمسه كل انسان بصير منصف ، فى نفسه وفيمن حوله .

---

(١) سورة الفتح ٤ .   (٢) سورة الرعد ٢٨ .

لقد عرفنا أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطرابا ، وشعورا بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الايمان ، وبرد اليقين ٠

ان حياتهم لا طعم لها ولا مذاق ، وان حفلت باللذائذ والمرفهات ، انهم لا يدركون لحياتهم معنى ، ولا يعرفون لها هدفا ، ولا يفقهون لها سرا ، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس ، أو اطمئنان قلب ، أو انشراح صـــدر ؟

ان هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحــة الايمـــان ، وشجرة التوحيد الطيبة ، التى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ٠ فهى نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين ، ليثبتوا اذا اضطرب الناس ، ويرضوا اذا سخط الناس ، ويوقنوا اذا شك الناس ، ويصبروا اذا جزع الناس ، ويحلموا اذا طاش الناس ٠

هذه السكينة روح من الله ، ونور ؛ يسكن اليه الخائف ، ويطمئن عنده القلق ، ويتسلى به الحزين ، ويستروح به المتعب ، ويقوى به الضعيف ، ويهتدى به الحيران (١) ٠

اذن لا سكينة نفس ، ولا طمأنينة قلب ، ولا انشراح صدر ، بغير الايمان بالله واليوم الآخر ٠

ولكن كيف يحقق الايمان سكينة النفس المؤمنة ؟

(أ) لا ريب أن المؤمن ـ بايمانه ـ يســاير فطرته التى فطره الله عليها ، وينسجم معها ، فالمؤمن يعيش مع فطرته فى سلام ووئام ، لا فى حرب وخصام ، لأنه يستجيب لها ولا يعاندها ، يلبى حاجتها ، وينقع غلتهــا ، ذلك لأن « فى فطرة الانسان فراغا لا يملؤه علم ، ولا ثقافة ، ولا فلسفة ، **انما يملؤه الايمان بالله جل وعلا** ٠

وستظل الفطرة الانسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ ، حتى تجد الله ، وتؤمن به ، وتتوجه اليه ٠

---

(١) نقلنا هــذا التصوير الجميل عن الأستاذ الدكتور القرضــاوى (بتصرف) ص ٩٠ ـ ٩٤ من (الايمان والحياة) ٠

فاذا لم يجد الانسان ربه - وهو اقرب اليه من حبل الوريد - فلن يجد السعادة ، ولن يجد السكينة ، ولن يجد الحقيقة ... لن يجد نفسه ذاتها **« كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » (١) .**

وكيف يجد نفسه من لم يعرفها ؟ وكيف يعرفها من حجب عنها بالغرور والكبر ؟ أو شغل عنها باتباع الشهوات ، والاخلاد الى الأرض ، والغرق فى لذائذ الحس ، ومطالب الجسد والطين ؟

لقد اجتمع فى خلق الانسان قبضة من طين الأرض الى نفخة من روح الله ، فمن عرف جانب الطين ، ونسى الروح لم يعرف حقيقة الانسان . **ومن أعطى الجانب المادى حاجته ، ولم يعط الجانب الروحى غذاءه من الايمان ومعرفة الله ، فقد بخس الفطرة الانسانية حقها ، وجهل قدرها ، وحرمها ما به حياتها وقوامها ، ولم يتسق معها أو يسايرها .**

يقول ابن القيم - رحمه الله - :

« فى القلب **شعث** لا يلمه الا الاقبال على الله .

وفيه **وحشة** لا يزيلها الا الأنس بالله .

وفيه **حزن** لا يذهبه الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته .

وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه ، والفرار اليه .

وفيه **نيران** حسرات لا يطفئها الا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ، ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه .

وفيه **فاقة** لا يسدها الا محبته والانابة اليه ، ودوام ذكره ، وصدق الاخلاص له ، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا » (٢) .

وكذلك فالذى لا يعطى الجانب الروحى حاجته من الايمان والاعتقاد ومعرفة الله ، فانه يعانى الشعث ، والوحشة ، والحزن ، والقلق ، والحسرة ، والفاقة التى لا حدود لها ، وما ذلك الا لأنه لم يهتد الى فطرته التى فطره الله عليها ، ولم يعطها حقوقها .

---

(١) سورة الحشر ١٩ .

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين ، وانظر (الايمان والحياة) ص ٩٦ - ٩٨ بتصرف .

(ب) وهنالك أسئلة فطرية ضرورية ملحة تستكن فى أعمق أعماق الانسان وتهجم عليه تطلب اجابات حاسمة واضحة فاطعة تثمر اليقين ، وتقطع الشـك ، وتذهب بالقلق ٠

ما هـذا الوجود ؟ ما العالم ؟ ما الانسـان ؟ من أين جاءا ؟ من صنعها ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شىء بعد هذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟

هذه الأسئلة الحت على الانسان منذ خلق ، وستظل تلح عليه الى أن تطوى صفحة الحياة ، لا تنفك عنه ولا ينفك عنها ٠ ولم تجد هذه الأسئلة ولن تجد ـ لها أجوبة شافية الا فى الدين ٠

أجل ، الدين وحده (١) هو الذى يحل عقدة الوجود الكبرى ، وهو المرجع الوحيد الذى يستطيع أن يجيبنا عن هـذه الأسئلة اجابة ترضى الفطرة ، وتشفى الصدور ، وتثمر اليقين فى القلب ، وتزرع السكينة فى النفس ، وتقضى على الحيرة والشك والتخبط ٠

ان الذى أفنى الفلاسفة فيه أعمارهم ، وأذابوا فيه شموع حياتهم ، دون أن يجنوا ثمرة تشبع جوعهم الفكرى ، قد حصله المؤمن فى دعة وهدوء ، فعرف : من اين جاء ؟ ولم جاء ؟ والى أين يذهب ؟ ولم يحيا ؟ ولم يموت ؟ وماذا ينتظره هناك ؟ عرف ذلك من مصدره الذى لا يضل ولاينسى ،

---

(١) لقد تصدى العقل الانسانى ـ غير المسترشد بهداية الوحى ـ للاجابة عن هذه الأسئلة ، فتخبط ، واضطرب ، وتاه ، وزل وجاء بكلام متهافت سخيف ٠ انظر كتابنا ، (فى الفلسفة العـامة) مبحث قصـور الميتافيزيقا الفلسفية فى مجـال الالهيـات ، نشرة الزهراء بالقـاهرة ٠
يقول الفخر الرازى فى كتابه (أقسام اللذات) ـ بعد أن حصل أفكار المتقدمين والمتاخرين ، وطاف بدائرة المعارف الفلسفية والكلامية لعصره : « لقد تاملت الكتب الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رايتها تروى غليلا ، ولا تشفى عليلا ٠ ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن ٠٠٠ ومن جرب مثل تجربتى ، عرف مثل معرفتى » ٠ وانظر (خصائص التصور الاسلامى) لسيد قطب ، الفصل الأول ٠

ومن وحى الله عز وجل • ومن عرف حقيقة الوجود من رب الوجـود فقد هدى الى صراط مستقيم •

ان الوحى قد أراح الانسان من عناء البحث فيما يبدد طاقته دون الظفر بما يشبع ويغنى ، وقدم له ما ينبغى أن يعلمه - وما يستطيعه - عن مبدأ الوجـود ومصدره ، ومنتهاه وغايته ، وعلته وأسراره ، قدمها خالصة سائغة ، سالمة من جدل المجادلين ، وتعمقات المتفلسفين ، وتخرصات المتكلفين •

فالوحى وحده هو السبيل الفذة للوصول الى اليقين فى قضايا الوجود الكبرى وبغير الوحى لن يكون يقين ، وبغير اليقين لن تكون سكينة ، وبغير السكينة لن تكون سعادة •

(جـ) بهذا الايمان البسيط العميق الـذى جـاء به الوحى ، وايده العقل ، واقتضته الفطرة ، وشهد له كل سطر ، بل كل كلمة فى كتاب الوجود المفتوح - سلم المؤمن من الشك والاضطراب ، واستراح من البلبلة والحيرة الذهنية والنفسية التى يتجرع غصصها الجاحدون والمرتابون •

بهذا الايمان الواضح المريح ، حل المؤمن ألغاز الوجود الكبرى حين عرف مبداه ومصره ، وغايته ومهمته ، بل عرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه وغايته وهدفه ، فانحلت عقد الشـك من نفسه ، وزالت علامات الاستفهام الكبيرة من حياته •

لقد عرف أن له ربا - هو رب كل شىء ومليكه - هـو الذى خلقه فسـواه ، وكرمه وفضله ، وجعله فى الأرض خليفة ، وكفل له رزقه ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهره وباطنه ، فاطمأن الى ربه ، ولاذ بجواره ، واعتصم بحبله ، فاوى بهذا الايمان الى ركن شـديد ، ولاذ بقرار مكين ، واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصـام لها ...

وعرف أن هذه الحياة القصيرة التى يعيشها الناس ممزوجة الخير بالشر ، والعدل بالظلم ، والحق بالباطل ، واللذة بالألم ، ليست هى الغاية ، ولا اليها المنتهى • انما هى مزرعة لحياة أخرى هى خير وأبقى • تجزى

فيها كل نفس بما كسبت ، فاستراح المؤمن بذلك من التساؤل العريض عن الحياة والموت : ما سرهما ؟ ماذا بعدهما ؟ استراح المؤمن من ذلك حين علم وأيقن أنه خلق للخلود الأبدى ، وانما ينقله الموت من طور الى طور ، أو من دار الى دار ...

وعرف المؤمن أنه لم يخلق فى هذه الحياة عبثا ، ولم يترك سدى ، فبعث الله اليه رسله بالبينات هداة ومعلمين ، مبشرين ومنذرين ، ليهتدى الناس الى الحق ، ويستبينوا معالم الطريق ، ويعرفوا ما يرضى الله فيبتغوه ، وما يسخطه فيتقوه ، وليقيموا بين الناس موازين القسط ، ويحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وليكونوا أمثلة رفيعة - تحس وترى - يتخذها الناس أسوة حسنة لصوالح الأعمال ومكارم الأخلاق ...

وعرف المؤمن أنه ليس غريبا على الكون الكبير من حوله ، ولا معزولا عنه ، انه بايمانه لم يعد وحده ، ان الكون كله معه . ففطرة هـذا الكون هى الايمان ، هى التسبيح والسجود للرب الأعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى : **« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شىء الا يسبح بحمـده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا »** (١) .

مكاسب الايمان اذن مكاسب عظيمة هائلة ، فهو يقدم للمؤمن تصورا فذا متوازنا منضبطا ينجى المؤمن من عذاب الحيرة والشك ، فالجاحدون بالله ، أو المرتابون فيه ، الشاكون فى لقائه يوم الحساب ، يحيون حياة لا معنى لها ولا هدف ، ولا غاية ، ومن ثم فهى حياة لا طعم لها ولا راحة فيها ، حياة كلها قلق وحيرة .

انهم لا يوقنون بشىء يطمئنون اليـه ، ويستريحون لـه فى قضية وجودهم أنفسهم ، ووجود الكون كله من حولهم .

ان عقولهم المحـدودة لا تستطيع أن تجيبهم اجابة تشفى الصـدور ،

---

(١) سورة الاسراء آية ٤٤ .

وتحقق السكينة واليقين ، وتمحو ظلمات الشك والحيرة والاضطراب (١) ، **وهذا الشك الذى يعانيه الجاحدون الملحدون والمرتابون الشاكون ليس امرا يسيرا هينا ، انه عذاب اليم ، وكوة من جحيم فتحت عليهم ، تلفحهم بنارها ، وكلما خف لهيبها هبت عليهم عواصف الشك من جديد ، فاشتعلت النار ، ليذوقوا العذاب ... وهذا القلق أمر لا مناص منه .. ، يسلبهم السكينة والسعادة** ، وما أصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى ربطه بين الغم والحزن والسخط والشك ، وربطه الفرح والروح بالرضا واليقين ، حيث يقول : « ان الله عر وجل بقسطه جعل الفرح والروح فى الرضا واليقين ، وجعل الغم والحزن فى السخط والشك » ، وتامل ما يمور به قلب الشاعر المرتاب (ايليا أبو ماضى) فى مقطوعته (الطلاسم) من حيرة وشك وقلق واضطراب :

جئت ، لا أعلم من أين ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت
وسابقى سائرا ، ان شئت هذا ام أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟
لست أدرى !!

اجديد انا ام قديم انا فى هذا الوجود ؟ !!
هل أنا حر طليق ، أم أسير فى قيود ؟ !!
هل أنا قائد نفسى فى حياتى أم مقود ؟ !!
اتمنى أننى ادرى ، ولكن ...
لست أدرى !

وطريقى ، ما طريقى ؟ أطويل ام قصير ؟!
هل أنا اصعد ، ام اهبط فيه واغور ؟!
اانا السائر فى الدرب ، ام الدرب يسير ؟!
ام كلانا واقف ، والدهر يجرى ؟!
لست أدرى !!

---

(١) (الايمان والحياة) ص ١٠٩ ـ ١١٤ بتصرف ، وانظر النماذج الشعرية التى تعكس روح الحيرة والشك والقلق والاضطراب التى يعانيها الملحدون والنفاة والمرتابون .

أترانى قبلما أصبحت انسانا سويا
كنت محوا ومحالا ، أم ترانى كنت شيا ؟ !
ألهذا اللغز حل ، أم سيبقى أبديا ؟
لست أدرى ! ٠٠ ولماذا لست أدرى ؟!
لست أدرى !

فالمؤمن يمنحه ايمانه تصورا صحيحا ورؤية واضحة ، واجابة قاطعة تورثه اليقين والسكينة والاطمئنان ، وتنزع عنه كل قلق وحيرة وشك واضطراب ؛ فيعرف مصدره ومصدر هذا الوجود معه ، ومصيره ومصير كل شىء ، ومعناه وغايته ، ومركزه فى هذا الكون ، وعلاقته بالحياة والوجود باسره ٠

(د) ومما يبعث السكينة فى نفس المؤمن أن عقيدته لا تتركه نهبا للنزاع فى المسالك يميل مع هذه ، ثم يلوذ بتلك ، لكنها توضح له الغايه وترسم له السبيل الى بلوغ هذه الغاية ؛ فلا يتارجح ولا يتردد ، ولا يشك ولا يتوقف ٠

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١) « اهدنا الصراط المستقيم » (٢) ٠

فقد استراح المؤمن من توزع الغايات وتعدد السبل وتفرقها ، فحصر الغايات كلها فى غاية واحدة يحرص عليها ، ويسعى اليها ؛ وهى رضوان الله تعالى ، ولا يبالى معه برضا الناس أو سخطهم ٠

وبهذا الصراط المستقيم كان المؤمن فى أخلاقه وسلوكه مطمئنا غير قلق ، ثابتا غير متقلب ، واضحا غير متردد ، مستقيما غير متعرج ، بسيطا غير معقد ، لا يحيره تناقض الاتجاهات ، ولا يعذبه تنازع الرغبات ، ولا يحطم شخصيته الصراع الداخلى فى نفسه : أيفعل أم يترك ؟ أيفعل هذا أم ذاك ؟

---

(١) سورة الأنعام ـ ١٥٣ ٠
(٢) سورة فاتحة الكتاب ٠

ان له مبادىء واضحة ، ومعايير ثابتة يرجع اليها فى كل عمل وكل تصرف ، وهذا يمنحه سكينة وسلاما لا حدود لهما .

(هـ) كما يزود الايمان المؤمن بتصور رائع لهذا الوجود من حوله ، يجعله يحيى فى أنس وتواصل وارتباط ، وتناسق معه ، فليس هـذا الكون عدوا له ، ولا غريبا عنه ، انه مجال تفكره واعتباره ، ومسرح نظره وتأملاته ومظهر نعم الله وآثار رحمته .

فهذا الكون العظيم كله يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن ، ويسبح بحمد الله كما يسبح المؤمن . والمؤمن ينظر اليه نظرته الى دليل يهديه الى ربه ، والى صديق يؤنسه فى وحشته .

وبهذه النظرة الايمانية الودود الرحبة للوجود ، تتسع نفس المؤمن ، وتتسع حياته ، وتتسع دائرة الوجود الذى يعيش فيه .

فليس هناك أوسع من صدر المؤمن وقلبه الذى وسع العالمين : المنظور وغير المنظور ، عالم الشهادة وعالم الغيب ، ووسع الحياتين : الدنيا والآخرة ، حياة الفناء وحياة الخلود ، ووسع الوجودين : الوجود المحدث الفانى ، والوجود الواجب الباقى : وجود الله عز وجل .

وليس هناك أضيق من صدر الملحد والشاك فى الله والآخرة ، انه يعيش معزولا عن الأزل والأبد ، عن الأمس والغد ، لا يعرف الا يومه ، ولا يعرف من يومه الا لذاته المحسة ، وهو يعيش معزولا عن الوجود العريض ، لا يرى منه الا شخصه وشخوصا محدودة اخرى ، ولا يرى من شخصه الا جسمه المادى ، ودوافعه الحيوانية .

فالقلب يتسع وينفسح وينشرح بنور الايمان واليقين ، وقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن قول الله تعالى : « افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » (١) .

قال له : « ان النور اذا دخل القلب اتسع وانفسح » .

ويضيق القلب وينكمش بظلمة الالحاد والشك والنفاق : « فمن يرد

---

(١) سورة الزمر ٢٢ .

الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ٠ ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » (١) ٠

(و) ومن أعظم بواعث السكينة والطمانينة والرضا ـ التى يزرعها الايمان فى نفس المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ـ **ذلك الشعور الفذ بانه ليس فى هذا الوجود ـ وحده ؛ لأنه فى معية الله تعالى** ، « وان شعور المؤمن بأن يد الله فى يده ، وأن عنايته تسير بجانبه ، وانه ملحوظ بعينه التى لا تنام ٠ وأنه معه حيث كان ، يطرد عنه شبح الوحدة المخيف ، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج ٠

كيف يشعر بالوحدة من يقرأ فى كتاب ربه : « **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » (٢) ، « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعلمون بصير » (٣) ٠**

ولا ريب أن فرط احساس الانسان بالوحدة والعزلة لمن أهم العوامل الأساسية للاضطرابات العقلية والنفسية والبؤس ٠

(هـ) ومما يعمق شعور المؤمن بالسكينة والطمانينة الى جانب ذلك ـ شعوره بانه غير معزول عن اخوانه المؤمنين ، فهم يحيون فى ضميره وحسه ووجدانه ، وما اكرم شعور المؤمن بانه يعيش بايمانه وعمله الصالح مع انبياء الله ورسله المقربين ، ومع كل صديق وشهيد وصالح من المؤمنين فى كل عصر ٠

« ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » (٤) ٠

وأى مرافقة للانسان اسعد من مرافقة هؤلاء الأبرار الأطهار الأنقياء الأتقياء ٠

والانسان بهذه المعية الرفيعة يستشعر أن تاريخه طويل ممتد موصول ، وهو تاريخ الايمان والمؤمنين من لدن آدم عليه السلام الى يومه (٥) ٠

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥ ٠
(٢) البقرة / ١١٥ ٠
(٣) الحديد / ٤ ٠
(٤) النساء / ٦٩ ٠
(٥) المرجع السابق (بتصرف) ٠

(ز) ومعروف أن من أخطر بواعث القلق الذى يعصف بسكينة النفس وأمنها ورضاها هو تحسر الانسان وأسفه وندمه وبكاؤه على ما قد يكون وقع له فى ماضيه ، وسخطه على حاضره ، وخوفه من المستقبل ٠

فيحزن حزنا مؤلما على ماضيه ويأسى عليه ، ولا يفتر عن اجترار آلامه ، ومضغ ذكرياته الكئيبة ، الى جانب القلق على الحاضر ، والخوف من المستقبل ٠

اما النفس المؤمنة ، فان عقيدتها تحميها وتصونها من الاستسلام لمثل هذه المشاعر الأليمة ، والأفكار المظلمة ، والاسترسال فى الحزن والتحسر على ما فات ، بل تعتقد أن **كل شىء بقضاء الله ، وكل ما قضاه الله وقدره لابد أن ينفذ ، وما اصاب من قضاء الله لا يقابل بغير الرضا والتسليم ٠**

المؤمن لا يقول : لو فعلت كذا لكان كذا ، ولكن يرضى بقضاء الله ، ويقول قدر الله وما شاء فعل ٠ فان لو تفتح عمل الشيطان ، وهل السخط ، والقلق ، وشدة التحسر ، والتبرم الا من وسوسة الشيطان ٠

المؤمن يعقل عن ربه قوله :

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » (١) ٠

٢ ـ الايمان يحقق الرضا :

ان شعور الانسان **بالرضا** من أول أسباب السكينة النفسية التى هى سر السعادة ؛ والمؤمن وحده هو الذى يحس تلك الحالة النفسية الرائعة ؛ **فالرضا نعمة روحية جزيلة مبعثها الايمان بالله رب العالمين ، وهيهات أن يصل اليها جاحد بالله ، أو شاك فيه ، او مرتاب فى جزاء الآخرة ٠**

« فالمؤمن راض عن نفسه ، وعن وجوده ومكانه فى الكون لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة بلا غاية ، ولا كما مهملا بلا قيمة ، ولا شيئا تافها بلا معنى ، بل هو قبس من نور الله ، ونفخة من روح الله ، وخليفة فى أرض الله » ٠٠

---

(١) الحديد ٢٢ ـ ٢٣ ٠

« وهو راض عن ربه ، لأنه آمن بكماله وجلاله ، وأيقن بعدله ورحمته ، واطمان الى علمه وحكمته ، أحاط سبحانه بكل شىء علما ، واحصى كل شىء عددا ، ووسع كل شىء رحمة ، لم يخلق شيئا لهوا ، ولم يترك شيئا سدى ، لـه الملك وله الحمد ، نعمه عليه لا تعد ، وفضله عليه لا يحد ، فما به من نعمة فمن الله ، وما أصابه من حسنة فمن الله ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ، يثنى على الله بقوله : « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » (١) .

« والمؤمن موقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه ، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه بـه ، ينظر فى الآفـاق والأنفس فيرى آثار بره تعالى ورحمته ؛ فيناجى ربه : « بيدك الخير انك على كل شىء قدير » (٢) . فالخير بيديه ، والشر ليس اليه » .

والمؤمن راض عن الكون والحياة ، والمؤمن عميق الاحساس بنعم الله عليه ، والمؤمن يرى آثار رحمة الله ونعمته فى كل شىء حوله ، ويرى أن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى ، ولا يفقد المؤمن شعور الرضا الغامر هذا وان أصابته الباساء والضراء ، وهزته زلازل الحياة .

٣ ـ الايمان يورث الأمن النفسى :

لا امن لمن لا ايمان له ، وعلى قدر الايمان يكون الأمن والسلام النفسى ، يقول عز من قائل : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » (٢) .

وقال سبحانه : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (٣) .

---

(١) الشعراء : ٧٧ ـ ٨٢ .

(٢) فصلت : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة الأنعام : ٨٢ .

فايمان المؤمن مصدر أمنه ، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها ؛ **انه طمأنينة تتعلق بالمستقبل ، بكل ما يتوقعه الانسان ويخاف منه ، أو يخاف عليه** ، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسى وان **الناس يخافون من أشياء كثيرة وأمور شتى لكن المؤمن قد سد أبواب الخوف كلها ، فلم يعد يخاف الا الله وحده** ، يخافه أن يكون قد فرط فى حقه ، أو اعتدى على خلقه ، أما **الناس فلا يخافهم لأنهم لا يملكون له ضرا ، ولا نفعا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا** ٠

« ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (١) ٠

« وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » (٢) ٠

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » (٣) ٠

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وأياكم » (٤) ٠

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » (٥) ٠

ولا خوف من الموت وانقضاء الأجل :

« وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا كتاب » (٦) ٠

« فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (٧) ٠

« ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها » (٨) ٠

ولا ريب أن الخوف يستلب السعادة ، فلا أمن ، ولا طمأنينة ، ولا سلام ، ولا رضا ، ولا سعادة مع الخوف ، واقرأ هذه الصورة النفسية التى سجلها أحد الخائفين ، وتأمل : كيف يكون الخوف فى غيبة العقيدة الايمانية ؟

---

(١) سورة الذاريات (٥٨) ٠
(٢) سورة الذاريات (٢٢ ، ٢٣)
(٣) سورة هود (٦) ٠
(٤) سورة العنكبوت (٦٠) ٠
(٥) سوره طه (١٣٢) ٠
(٦) سورة فاطر (١١) ٠
(٧) سورة الاعراف (٣٤) ٠
(٨) سورة المنافقون (١١) ٠

« ... اننى أعيش فى خوف دائم ، فى رعب من الناس والأشياء ، ورعب من نفسى ، لا الثروة أعطتنى الطمانينة ، ولا المركز الممتاز أعطانيها ، ولا الصحة ، ولا الرجولة ، ولا المرأة ، ولا الحب ، ولا السهرات الحمراء ... ضقت بكل شىء ، بعد أن جربت كل شىء .

اننى أكره نفسى ، أخاف من نفسى ، ألا ترى الأشباح من حولى ؟ ألا تحس بالخوف يفتح فمه لكى يلتهمنى ! مم هذا ؟ ليست لى هموم ، ان همى الأكبر هو هذه الدنيا ... المال عندى ، المركز والجاه والصحة والمرأة والجمال ، .. و .. كل شىء بين يدى ، كل شىء ملكى ، لماذا أنا خائف اذن ممم أخاف ؟

من الله ؟ كلا ! ان الله لا وجود له فى حياتى ، مم اذن أخاف ؟ من الموت ؟ربما ، ولكنى لا أبالى به ، لا أشعر أننى أخافه ، انه عندى مجرد ظاهرة ، من أين يأتى الخوف اذن ؟

ربما كنت خائفا لأنه لا يوجد شىء أخاف منه ، ربما كنت خائفا لأن كل شىء بين يدى ، محضر لدى ، ان الامتلاء كالجوع كلاهما يخيف !! ، لو كان المال ليس حاضرا لدى لتمنيته وسعيت من أجله ... لو كان المركز المحترم بعيدا عنى لبذلت جهدى لكى أبلغه ، ولكن كل شى موجود : المال ، والمرأة ، والأصدقاء ، والاحترام .

كل ما يسعى الناس اليه ويفكرون فيه ميسر لى : ليس لى ما يشغلنى أو يتعبنى الحصول عليه .. حياتى فراغ .. همومى ؟ لا هموم لى ... اذن لا بد أن اخاف ، لأننى لا أجد ما أخاف منه ، لا بد أن أخاف من المجهول الذى لا أعرفه ...

اننى تائه فى الحياة ... ان الحياة الآن هى عدوى ... اننى أشعر أنها تسحر منى ، وتقف فى وجهى ، كالغول .... عرفت الآن مم أخاف ... » (١) .

---

(١) مقتبسة من يوميات الأستاذ محمد زكى عبد القادر على لسان صديق له : (عن الايمان والحياة ص ١٥٦ ـ ١٥٧) .

أى خوف هذا الذى ملأ على هذا المرتاب المسكين اقطار نفسه ؟! ، ان الملحدين الجاحدين والشاكين المرتابين يعانون الخوف المقق العاصف الذى يسلبهم نعمة الامن والسكينة والسلام النفسى .. انهم يخافون كل شىء ، ويخافون من اللا شىء ، يخافون الزمن ، والمحن ، والفقر ، والمرض ، والناس ، والموت ، يخافون مما يعلمون ، ومما يتوهمون .. وهم يخلقون ما يخافون .

٤ ـ الايمان يمنح الأمل والتفاؤل والاستبشار :

الأمل ، وما أدراك ما الأمل !!

انه أكسير الحياة ، ودافع نشاطها ، ومخفف ويلاتها ، وباعث البهجة والسعادة فيها ، به تنمو شجرة الحياة ، ويرتفع صرح العمران ، والأمل قوة دافعة تشرح الصدر للعمل ، وتخلق دواعى الكفاح من أجل الواجب ، وتبعث النشاط فى الروح والبدن ؛ وحيث يكون الأمل يكون الاستبشار والتفاؤل ، وينقشع اليأس والقنوط والتشاؤم والتبرم والضجر والسخط والتعاسة .

واذا تغلب اليأس على انسان ، أى انسان ، اسودت الدنيا فى وجهه ، وصاقت الحياة بما رحبت ، أمام عينيه ، وأوصدت الأبواب ، وتقطعت الأسباب ، فهو سم بطىء للروح والنفس والوجدان .

ولا مراء ان الياس قرين الكفر ، ولا غرو ان نرى ان الكافرين اياس الناس ، كما نجد اليائسين أكفر الناس ، فهناك تلازم بين الياس والكفر ؛ كلاهما سبب للآخر وثمرة له : الياس يلد الكفر ، والكفر يلد الياس والقنوط :

« انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (١) .

« ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » (٢) .

وأظهر ما يتجلى يأس اليائسين ، وقنوط القانطين عند نزول الشر والشدائد :

---

(١) يوسف / ٨٧ . (٢) الحجر / ٥٦ .

« واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يئوسا » (١) ٠

« وإن مسه الشر فيئوس قنوط » (٢) ٠

« ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور » (٣) ثم استثنى من ذلك : « الا الذين صبروا وعملوا الصالحات » (٣) ٠

وهكذا فكل من فقد اليقين الجازم بالله ولقائه ، وحكمته وعدله ، فقد حرم الأمل والنظرة المتفائلة للناس والكون والحياة ، وعاش ينظر الى الدنيا بمنظار أسود قاتم ، ويرى الأرض غابة ، والناس وحوشا ، والعيش عبئا لا يطاق ٠

أما الايمان والأمل فانهما متلازمان ، والمؤمن أوسع الناس أملا ، وأكثرهم تفاؤلا واستبشارا وابعدهم عن التشاؤم والتبرم والضجر واليأس والقنوط ؛ اذ الايمان معناه الاعتقاد باله عظيم يدبر الكون ، ولا يخفى عليه شيء ، ولا يعجز عن شيء ، قوته غير محصورة ، رحمته غير متناهية ، كرمه غير محدود ٠٠ اله قدير رحيم يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، يمنح الجزيل ، ويغفر الذنوب ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، اله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وابر بخلقه من انفسهم ٠ اله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ٠ اله يفرح بتوبة عبده ، اله يجزى الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف أو يزيد ، ويجزى السيئة بمثلها او يعفو ٠ اله يدعو المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل عليه من بعيد ٠

فالمؤمن الذى يعتصم بهذا الاله البر الرحيم ، العزيز الحكيم ، الغفور الودود ، ذى العرش المجيد ، الفعال لما يريد – يعيش على امل لا حد له ، ورجاء لا تنفصم عراه ، وتفاؤل واستبشار ٠

---

(١) الاسراء / ٨٣ ٠

(٢) فصلت / ٤٩ ٠ (٣) هود ٩ – ١١ ٠

٥ — الايمان يثمر الحب فى القلوب :

ما أروع الحب !

فانه اذا استقر فى القلب ، أحلى البغض والكره والشنآن والحقد والحسد ، وليس باعث على الحب الحقيقى النقى الصافى كالايمان ؛ فالحب والايمان قرناء .

ما أروع الحب !

« فانه يحول المر حلوا ، والتراب تبرا ، والكدر صفاء ، والألم شفاء ، والسجن روضة ، والسقم نعمة ، والقهر رحمة ، وهو الذى يلين الحديد ، ويذيب الحجر ، ويبعث الميت ، وينفخ فيه الحياة ..

« ان هذا الحب هو الجناح الذى يطير به الانسان المادى الثقيل فى الأجواء العليا ، ويصل من الثرى الى الثريا » ...

والايمان وحده هو ينبوع الحب المصفى ، والمؤمن وحده هو الذى يستطيع أن يحب .. يحب الوجود كله : بدايته ونهايته ، الموت فيه والحياة ... **والمؤمن يحب الله واهب** الحياة ومصدر الخلق والأمر ، والايجاد والامداد ، **ويحب الطبيعة** فهى أثر من آثار الله ، **ويحب الحياة** ، ولا يكره الموت ، **ويحب الناس** لأنهم اخوانه فى الآدمية ، وشركاؤه فى العبودية لله ، جمع بينه وبينهم رحم ونسب .

والمؤمن سليم الصدر لا يحسد ولا يحقد ، وما أجل قول رسولنا صلى الله عليه وسلم — وهو يربط بين الايمان والحب فى عروة واحدة ، فيقول :

« والذى نفسى بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا » (١) .

٦ — أثر العقيدة فى ارتفاع الروح المعنوية للمؤمن :

ان أشد الناس جزعا ، وأكثرهم هلعا ، وأسرعهم انهيارا أمام شدائد الحياة هم الملحدون والمرتابون وضعاف الايمان .

---

(١) الشاعر جلال الدين الرومى صاحب (المثنوى) عن الشيخ أبى الحسن الندوى فى كتابه : (رجال الفكر والدعوة فى الاسلام) ص ٢٨٨ (الايمان والحياة) ص ١٧٥ وما بعدها .

انهم لا يؤمنون بقدر فيرضوا به ، ولا بالله فيطمئنوا الى حكمته في خلقه ، ولا بأنبياء فيجدوا فى حياتهم القاسية قدوة وعبرة ، ولا بحياة أخرى فتهب عليهم نسماتها منعشة للنفس ، طاردة للكآبة ، باعثة للأمل . وقد كشف القرآن هذا النموذج من الناس فقال :

« وان مسه الشر فيئوس قنوط » (١) « واذا مسه الشر كان يئوسا » (٢) .

« ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » (٣) .

« ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور » (٤) .

اما المؤمنون فهم أصبر الناس على البلاء ، وأثبتهم فى الشدائد ، وأرضاهم نفسا فى الممات ؛ عرفوا قصر عمر الدنيا بالنسبة للخلود فلم يطعموا أن تكون دنياهم جنة قبل الجنة :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » (٥) ، « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (٦) .

« عرفوا أن ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عمياء ، ولا خبط عشواء ، ولكنه وفق قدر معلوم ، وقضاء مرسوم ، وحكمة أزلية ، وكتابة الهية ، فآمنوا بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ...

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسهم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير » (٧) .

« وعرفوا من لطف ربهم أن هذه الشدائد دروس قيمة ، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم ، تنضج نفوسهم ، وتصقل ايمانهم ، وتذهب صدأ قلوبهم :

---

(١) سورة فصلت / ٤٩ .
(٢) الاسراء ٨٣ .
(٣) الحج / ١١ .
(٤) هود / ٩ .
(٥) النساء / ٧٧ .
(٦) آل عمران / ١٨٥ .
(٧) الحديد / ٢٢ .

« مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء كمثل الحديدة تدخل النار ، فيذهب خبثها ، ويبقى طيبها » .

وان الالحاد والارتياب وما بنى عليهما من مذاهب وفلسفات مادية لا يستطيع أن تهب نظمها للناس الروح المعنوية العالية التى تهون عليهم الشدائد ، وتمدهم بالصبر والثبات فى الأزمات ؛ وعدم الخضوع أمام الشهوات والمحرمات .

٧ ـ العقيدة تغرس الشعور بالعزة والكرامة فى نفس المؤمن :

مكانة الانسان فى نظر الماديين :

لئن كان الانسان مطلقا ـ فى نظر الماديين ـ قطعة من تراب الأرض ، منها نشأ ، وعليها قامت حياته ، واليها يعود .

وهو ـ فى تصورهم ـ كتلة من اللحم والدم والعظام والأعصاب والأنسجة والغدد والخلايا ، وما العقل والتفكير الا مادة يفرزها المخ ، كما تفرز الكبد الصفراء ، أو كما تفرز الكلية البول !! على حد تعبير المفكر المادى (كارل فخت) .

انه كائن مثل غيره من الهوام والزواحف والبهائم والحشرات والقرود ، الا أنه (تطور) مع الزمن فأصبح هذا الانسان . ومن ثم فلا امتياز له ، ولا أهمية ، ، ولا تكريم ، ولا تفضيل ، ولا خلافة له ، ولا أمانة يحملها من دون الخلائق .. انه هيكل مادى ياكل ويشرب وينام ويستيقظ ، ويتقلب فى البلاد ، وقضى الأمر . وهو كائن صغير حقير اذا ما قيس حجمه الى حجم الجبال والكواكب والسيارات ، وهو حديث طارىء فى الزمان اذا ما قيس الى عمر الأرض التى يدب فوقها .

مكان الانسان فى نظر الاسلام :

قال تعالى :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١) .

---

(١) سورة الاسراء : ٧٠ .

« اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس »(١) ٠

« واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة » (٢) « وعلم آدم الأسماء كلها » (٣) ٠

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » (٤) « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك » (٥) ٠

لقد تفضل الله سبحانه ، فخلق الانسان بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها ، وعلمه البيان ، واسجد له ملائكته الأبرار الأطهار ، وسواه وعدله وفى أحسن تقويم وصورة ركبه ، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق ، وجعله خليفة له اعمار هذه الحياة الدنيا ، بما زوده من العقل والارادة ، ثم حمله الأمانة والمسئولية (٦) وخاطبه وارسل اليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وحفظه بملائكته ٠ واستعمله لنفسه سبحانه ثم سخر له هذا الكون ، وذلله له ، وجعله من أجله ؛ والآيات تترى فى ذلك ، منها قوله تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض ، وانزل من السماء ماء ، فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره ،

(١) سورة ص / ٧١ - ٧٤ ٠
(٢) البقرة ٣١ ٠
(٣) البقرة ٣٠ ٠
(٤) التين ٤ ٠
(٥) الانفطار / ٦ - ٨٠

(٦) قارن فى هذا المراجع التالية : (احياء علوم الدين) للغزالى ، و (مدارج السالكين) لابن القيم ، عباس العقاد : « الانسان فى القرآن ، د ٠ بنت الشاطىء « الانسان فى القرآن » ، سيد قطب : (خصائص التصور الاسلامى) و (مقومات التصور الاسلامى) ، د ٠ أبو اليزيد العجمى : (الانسان بين المسئولية والتكريم) طبعة رابطة العالم الاسلامى ٠ والدكتور يوسف القرضاوى : (الايمان والحياة) ٠ والأستاذ محمد الغزالى : (نظرات فى القرآن) ٠

وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، آتاكم من كل ما سألتموه ، وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (١) ٠

« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة » (٢) ٠

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٣) ٠

تلك هى مكانة الانسان فى هذا الكون ٠ ولا ريب أن الذى بوأه هذه المكانة السامقة ما فيه من سر القبس الالهى ونور النفخة التى فيه من روح الله ٠

ولقد سما الاسلام بالانسان فاعترف به كله ، روحه وجسده ، عقله وقلبه ، ارادته ووجدانه ، غرائزه الهابطة ، واشواقه الصاعدة ٠٠٠ لم يضع فى عنقه غلا ، ولا فى رجله قيدا ، ولم يحرم عليه طيبا ، ولم يغلق فى وجهه باب خير ، ولم يدعه للمتاجرين بالدين يتلاعبون به ، ويبيعون له صكوك الغفران ؛ بل خاطبه خطابا مباشرا :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك ، فسواك ، فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك » (٤) « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » (٥) ٠

« هذه بعض معانى العزة والكرامة التى تغرسها العقيدة فى قلب المؤمن باعتباره (انساناً) ، ولكنه بوصفه (مؤمناً) يشعر بكرامة أعمق ، وعزة أشمخ ، ويسمو به ايمانه الى سماء ما بعدها سماء ٠

فهو بوصفه عضوا فى أمة الايمان يشعر بكرامة أعلى وعزة أسمى :

---

(١) سورة ابراهيم ٣٢ — ٣٤ ٠
(٢) لقمان ٢٠ ٠
(٣) الجاثية ١٢ — ١٣ ٠
(٤) الانفطار ٦ — ٨ ٠
(٥) الانشقاق ٠

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » (١) .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » (٢) .

« هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » (٣) .

يشعر المؤمن بالعزة التى سجلها الله فى كتابه للمؤمنين مقرونة بالعزة لنفسه سبحانه ، ولرسوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (٤) .

ويشعر بالكرامة التى بها يعلو ولا يعلى ، ويسود ولا يساد :

« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمن سبيلا » (٥) .

ويشعر أنه فى ولاية الله البر الرحيم ؛ ولاية المعونة والنصرة ، والرعاية والهداية : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » (٦) « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » (٧).

ويشعر المؤمن أنه فى معية الله الذى يكلؤه دوما بعينه التى لا تنام ، ويحرسه فى كنفه الذى لا يرام ، ويمده بنصره الذى لا يقهر :

« واعلموا أن الله مع المتقين » (٨) « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (٩) .

« ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين » (١٠) .

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (١١) .

فالمؤمن فى حماية الله القوى القدير ، يذود عنه ، ويرد عن صدره سهام الكائدين والمعتدين .

---

(١) آل عمران ١١٠ .
(٢) البقرة ١٤٣ .
(٣) الحج ٧٨ .
(٤) المنافقون ٨ .
(٥) النساء ١٤١ .
(٦) محمد ١١ .
(٧) البقرة ٢٥٧
(٨) البقرة ١٩٤ ، والتوبة ٣٦ ، ١٢٣
(٩) الروم ٤٧ .
(١٠) يونس ١٠٣ .
(١١) الحج ٣٨ .

والقرآن يجعل المؤمنين حقا مقياسا لصلاح الأعمال أو فسادها ، فحكمهم عند الله معتبر ، ورؤيتهم للأعمال مقرونة برؤية الله ورسوله : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١) . ولئن كانت هذه الآية الكريمة توحى بأن رضا المؤمنين من رضا الله ، فان مقتهم أيضا من مقت الله سبحانه : « كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا » (٢) .

٨ ـ التوحيد والتحرير :

هذه المعانى الكبيرة ، والمشاعر الرفيعة اذا سرت فى كيان فرد ، وتحقق بها وجدانه ، جعلت منه ، ولا شك ، انسانا عزيزا كريما ، كبير النفس ، كبير الآمال ، انسانا لا يحنى رأسه لمخلوق ، ولا يطأطىء رقبته لجبروت ، أو طغيان ، أو مال ، أو جاه . ويكون شعاره : « أنا سيد فى هذا الكون ، عبد لله وحده » .

وتأمل فى فى ضوء ذلك ، ما أجاب به (ربعى بن عامر) ـ ذلك البدوى الأمى الأعرابى الجافى الحافى بعد أن ملأ الايمان قلبه ، وخالط وجدانه ، وامتزج بروحه ـ (رستم) قائد الفرس الأعظم ، غير آبه ولا هياب ، ولا متردد ولا خوار ، حين سأله :

من أنتم ؟!

اجابة هذا الأعرابى فى عزة مؤمنة ، وايمان عزيز ، قال :

« نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد ، الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام »

لامراء أن هذا الأثر المتفرد الذى تنشئه العقيدة الاسلامية فى ضمير المسلم وفى حياته ، وفى كيان المجتمع المسلم ، وفى نشاطه بخاصية توحيد الله التى تقوم عليها وبها هذه العقيدة ، .. انه تحرير الانسان .

ان توحد الألوهية ، وتفردها بخصائص الألوهية ، واشتراك كل ما عدا الله ، ومن عداه ، فى العبودية ، وتجردهم تجردا كاملا وخالصا من

(١) التوبة ١٠٥ .
(٢) غافر ٣٥ وانظر : (الايمان والحياة) ص ٦٣ ـ ٧٥ .

اى من خصائص الألوهية . اى مقتضى عـدا : ألا يتلقى الناس الشرائع فى أمور حياتهم الا من الله ، كما انهم لا يتوجهون بالشعائر الا لله : توحيدا للسلطان الذى هو أخص خصائص الألوهية ، والذى لا ينازع الله فيه مؤمن ، ولا يجترىء عليه الا كافر .

والعقيدة الاسلامية ، بهذا القطع الحاسم فى هـذه المسألة تعلن (تحرير الانسان) انها بذلك ، تخرج الانسان من عبادة العباد ، الى عبادة الله وحده ، و (الانسان) بمعناه الكامل لا يوجد فى الأرض ، الا يوم تتحرر رقبته ، وتتحرر حياته ، وضميره ، واعتقاده من خشية غير الله والخضوع لـه .

والناس جميعا ـ خارج نطاق العقيدة الاسلامية ـ يقعون ـ فى صورة من الصور ـ فى عبودية العباد ، وفى ظل العقيدة الايمانية ، بتوحيد الله سبحانه ، يتحررون من هذه العبودية للعباد ، بعبوديتهم لله وحده .

هذه هى الهداية الالهية التى يهديها للناس بعقيدة التوحيد ، ... وهذه هى النعمة الربانية التى يمن بها على عباده .

هذه هى الهدية التى يملك أصحاب عقيدة التوحيد أن يهدوها ـ بدورهم ـ للبشرية كلها ، وهذه هى النعمة التى يملكون أن يفيضوا منها على الناس : بعد أن يفيضوها على أنفسهم ، ويرضوا منها ما رضيه الله لهم .

أجل هذا هو الجديد الذى يملك أصحاب عقيدة التوحيد ان يتقدموا به للبشرية اليوم ، لأنه يمنحها ما لا تملك ، فهو شىء آخر غير كل مـا لديها من تصورات وعقائد ، وافكار وفلسفات وأنظمة وأوضاع (١) .

---

(١) انظر : « خصائص التصور الاسلامى » لسيد قطب رحمه الله ص ٣٣٠ ـ ٣٣٨ (بتصرف) طبعة الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية . وانظر كتاب (الدين) للدكتور دراز ، وكتاب بديع الزمان سعيد النورسى : (الانسان والايمان) تعريب احسان قاسم الصالحى ، نشر دار الاعتصام . ورسالة الدكتور محمد يوسف موسى (العقيدة وخطر الانحراف) سلسلة الثقافة الاسلامية ٢٩ .

ثانيا : أثر العقيدة فى المجتمع :

تمهيـــد :

ليس المجتمع الا مجموع افراده ، وعلى قدر صلاح هؤلاء وسعادتهم يكون صلاح المجتمع وسعادته . ومجتمع المؤمنين يتمتع أفراده بحالة من الصحة النفسية العالية ، يتمتعون بسكينة النفس ، النابعة من مسايرتهم للفطرة المستقيمة ، ومن تصورهم الصحيح للوجود مصدرا ومصيرا ، ومن توحد غاياتهم وعدم تورع السبل بهم ، ومن تصورهم الرحب للكـون والحياة والانسان ، ومن شعورهم بعدم الوحدة والانعزال فهم فى معية الله ، وحفظه وكلاءته ، ومن ايمانهم بقدر الله وتسليمهم به ، وبذا سكنت نفوسهم فلا قلق ، ولا حزن ، ولا اكتئاب ، ولا ندم ، ولا حسرة ممضة قاتلة .

انهم يتمتعون بالرضا ، فهم راضون عن أنفسهم ، وعن مكانهم فى الحياة ، راضون عن ربهم العادل الرحيم ، راضون عن تدبيره وتقديره ، كما أن احســاسهم بنعم الله عليهم عميق فياض ، فلا ســخط ولا تبرم ، ولا ضجر .

انهم يتمتعون بالأمن النفسى والسلام مع الذات ، وايمانهم مصدر امنهم ومنبعه ، فلا خوف من شىء ، فلا شىء ينفع ، ولا شىء يضر الا باذن الله ، انهم لا يخافون على رزق ، فهو مقسوم ، ولا يخافون على أجل لأنه مكتوب .

انهم يتمتعون بالأمل الرحب والاستبشار والتفاؤل ؛ والأمل مـادة السعادة وعنصرها الرئيسى ، لا يعرفون يأسا ، ولا يخشون بأسا ، لا يحل القنوط بساحتهم ، ولا يعرف اليأس بابهم . وهل شىء يزرع الأمل فى القلوب غير الايمان بالله ولقائه وحكمته وعدله !!

انهم يعيشون بالحب ؛ يعرفون روعته وضرورته ، وايمانهم هـو نبع حبهم ؛ انهم يحبون ربهم ، ويحبون الطبيعـة حولهم ، ويحبون الناس ، صدورهم سليمة نقية من أدواء الحسد والحقد والضغائن والكره الأعمى .

روحهم المعنوية عالية ، زودهم ايمانهم بقوة وثبات لا حدود لهما ، قوة ازاء الشدائد والكوارث والمصائب ، وثبات أمام الشهوات المحرمة والرغبات الآثمة .

هؤلاء ملأت عقيدتهم نفوسهم بشعور سامٍ بالعزة والكرامة ؛ عرفوا كرامة الانسان على ربه فكرموه ، وعرفوا تسخير الكون لهم فانتفعوا به ، وللمؤمنين كرامة خاصة عند الله رب العالمين .

وتمنحهم عقيدة التوحيد انعتاقاً وتحرراً من الخوف والخشوع والتذلل لغير الله ، فلا مخلوق مهما عظم تسلطه ؛ وتمادى فى افساده وطغيانه يستحق العبادة - فى أى صورة من صورها - من دون الله ؛ لأن الله وحده المستحق للعبادة - بكل صورها لتفرده وحده بكل خصائص الألوهية .

مجتمع هذا حال أفراده - فى ظل ايمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر - لابد أن يتمتع بالصحة والعافية والسعادة الوارفة .

« وان أخص ما يميز المجتمع الراقى ، المجتمع الفاضل ، المجتمع السعيد ، هو التماسك والترابط . المجتمع الفاضل هو الذى يتعارف أبناؤه فلا يتناكرون ، ويتحابون فلا يتباغضون ، ويتعاونون فلا يتخاذلون ، ويتعاملون فيما بينهم بالعدل والرحمة ، فلا يبغى بعضهم على بعض ، ولا يقسو بعضهم على بعض ، فلا ينسى الواجد المحروم ، ولا يهمل القادر العاجز ، ولا يأكل الكبير الصغير ، ولا يعدو القوى على الضعيف » (١) وهذا لن يتحقق الا بالتزام أفراده بالأخلاق القويمة ، والقيم الرفيعة وحرصهم على تنفيذ تشريعاته ونظمه ؛ وهذا لن يأتى الا اذا كانت العقيدة راسخة والايمان عميقا مسيطرا ؛ فلا صلاح يرجى لمجتمع ، ولا رقى يرام الا فى ظل عقيدة التوحيد والايمان بالله واليوم الآخر .

العقيدة والأخلاق :

« سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أكمل ايمانا ؟

قال : أحسنهم خلقا (٢) .

---

(١) د . القرضاوى ، مرجع سابق ص ٢٠٢ .

(٢) رواه الطبرانى .

وقال صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله ؟

قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » (١) .

وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٢) .

الايمان قوة عاصمة عن الدنايا ، دافعة الى المكرمات ، ومن ثم فان الله عندما يدعو الى خير أو ينفر من شر ، يجعل ذلك مقتضى الايمان فى قلوبهم ، وما أكثر ما يقول فى كتابه العزيز : « يا أيهما الذين آمنوا » ثم يذكر بعد - ما يكلفهم به : « .. اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٣) مثلا .

والدين هو الذى يحدد للانسان سلوكه المستقيم ، ويرسم له طريقا موصلا الى غايته ، ثم يدفعه الى السير فى هذا الطريق القويم . أما القانون وحده فلا يكفى لضبط السلوك الانسانى ، والقانون لا بد له من سلطان الحكومة حتى ينفذ ويراعى ، يقول الدكتور دراز :

« لا قيام للحياة فى الجماعة الا بالتعاون بين أعضائها ، وهذا التعاون انما يتم بقانون ينظم علاقاته ، ويحدد حقوقه وواجباته ، وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع ، يكفل مهابته فى النفوس ، ويمنع انتهاك حرماته .

ونقرر أنه على وجه الأرض لا توجد قوة تكافىء قوة التدين ، او تدانيها فى كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع ، واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) البخارى .
(٣) التوبة ١٢٩ أنظر للشيخ محمد الغزالى : (خلق المسلم) ص ٩ - ٣٢ طبعة الدوحة ، ولنا : (الفكر الأخلاقى : دراسة مقارنة) ص ١٢٣ وما بعدها .

« والسر فى ذلك أن الانسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شىء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع فى يده ولا فى عنقه ، ولا يجرى فى دمه ولا فى عضلاته ولا فى أعصابه ، وانما هو معنى انسانى روحانى أساسه الفكرة والعقيدة » ٠

ولقد ضل قوم قلبوا هذا الوضع ، وحسبوا أن الفكرة والضمير لا يؤثران فى الحياة المادية والاقتصادية بل يتأثران بهما ٠ (يقصد الماركسيين) ٠

أجل ان الانسان يساق من باطنه لا من ظاهره ، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لاقامة مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق ، وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل ، فان الذى يؤدى واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية لا يلبث أن يهمل متى اطمأن الى أنه سيفلت من طائلة القانون ٠

ومن الخطأ البين أن نظن أن فى نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء وعوضاً عن التربية والتهذيب الدينى والخلقى ، ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ، ولابد فى حسن استخدامه من رقيب أخلاقى يوجهه لخير الانسانية وعمارة الأرض ، لا الى الشر والفساد ؛ ذلكم الرقيب هو العقيدة والايمان (١) ٠

لا أخلاق بغير دين :

بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق ، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون ؛ فالدين هو المصدر الفذ المعصوم الذى يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها ، والدين هو الذى يربط الانسان بمثل أعلى يتطلع اليه ويعمل له ٠ والدين هو الذى يحد من أنانية الفرد ، ويكفكف

---

(١) د ٠ دراز : مرجع سابق ص ١٠١ ٠

من طغيان غرائزه ، وسيطرة عاداته ، ويخضعها لأهدافه ومثله ، ويربى فيه الضمير الحى الذى على أساسه يرتفع صرح الأخلاق ·

كما أن للايمان والعقيدة سلطانا يفوق سلطان العادات والغرائز ، واى سلطان آخر ·

العقيدة وبناء الضمير :

ان عقيدة المؤمن فى الله أولا ، وعقيدته فى الحساب والجزاء ثانيا ، تجعل ضميره فى حياة دائما وفى صحو أبدا ، فهو يراقب نفسه ويحاسبها ويلومها · ولا ريب أن لهذا الضمير الحى الذى يتكون فى ظل الايمان والعقيدة أثره فى مجالات الحياة كلها ؛ يلمس أثره فى أداء الحقوق المالية وهى مسألة مهمة فى العلاقات بين الناس ، كما يلمس أثره فى الاعتراف بالجريمة فى شجاعة وتحمل العقوبة فى جرأة حشية لله تعالى وتطلبا لمرضاته · وعلى الجملة يلمس أثره فى رعاية القوانين بعامة والامانات بخاصة ، كما يلمس فى مجال خطير اثره على المجتمع ، الا وانه مجال الحكم والسياسة والسلطان (١) ، ومن الجدير ذكره انه لا ضمير حقيقى بعير عقيدة ايمانية تغذيه وتحميه ·

الدين والمجتمع :

ان الخدمة الجليلة التى تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند حد ؛

فليست كل مهمتها أنها المبعث القوى لتهذيب السلوك ، وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل ، ومقاومة الفوضى والفساد ؛ بل ان لها وظيفة ايجابية أعمق أثرا فى كيان الجماعة ؛ ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم ، لا يعدله رباط آحر من الجنس ، أو اللغة ، أو الجوار ، أو المصالح المشتركة ·

بل ان هذه العلائق مجتمعة ، مهما يكن أثرها الظاهرى من كف الأذى وبذل المعروف المتبادل ، تظل روابط سطحية تضم الأفراد كتا

---

(١) د · القرضاوى ، مرجع سابق ص ٢٠١ - ٢٥٦ ·

تضم الاعواد فى ضغث ، ولا تزال تتخللها الفجوات والثغرات والحواجز النفســية .

حتى تشدها رابطة الأخوة فى العقيدة ، والمشاركة فى المثل العليا ، فهنالك تعود الكثرة وحدة ، وتصبح النفوس كالمرايا المتقابلة ، تنعكس صور بعضها فى بعض .

بل كثيرا ما تستغنى هذه الوحـدة الروحية عن سائر الوحـدات الأخرى ، فتنعقد بها أقوى الوشائج وأدومها بين أفراد اختلفت أجناسهم ، وتباينت لهجاتهم ، وتباعدت ديارهم ، وتفاوتت مصالحهم .

وكثيرا ما نرى الدول التى تقوم على قاعدة المصالح المشتركة فى الوطن بين ملل مختلفة تضطر الى الاستنجاد بما فى هذه الأديان كلهـا من مبدأ التعاون على الخير ، والتناصر على دفع عدوات المغيرين .

ولذلك قيل بحق : ان الوطنية التى لا تعتمد على باعثة الدين انما هى حصن متداع يوشك أن ينهار (١) .

هذا ، ولا ريب أن للعقيدة تأثيرا ايجابيا لا يبارى فى مجالات متنوعة مما يهم المجتمع والناس ؛ كالصحة والنظافة ، والتعليم والتفكير والتهذيب والاصلاح ، والعمل والانتاج ، والاقتصاد وتنظيم الاستهلاك ، والتعاون والتآخى ، والتناصر ، والتواصى بالحق والصبر ، الى غير ذلك مما يطول شرحه وتفصيله . وباختصار يقال : ان العقيدة هى وحدها القادرة على تفجير كافة طاقات المجتمع وملكاته ؛ كما أنها وحدها القادرة على توجيه ادراكه وارادته ووجدانه ، وصهره فى بوتقة واحدة نحو السعادة فى هذه الحياة الدنيا والآخرة .

---

(١) د . دراز : مرجع سابق ص ١٠٤ - ١٠٥ .

نبذة عن مصدر العقيدة ٠٠ ، وبيان قصور الميتافيزيقا وتهافتها فى فهم الألوهية

يذكر الفلاسفة أنهم يبحثون - فى فلسفة ما وراء الطبيعة - عن علة العلل ، أو عن محرك الكون وخالقه ، أو عن الله تعالى ٠٠ أى أنهم يبحثون عن وجود الخالق عز وجل ٠ والحق أن هذه غاية شريفة ، وان كان الاقرار بوجود الخالق أمر فطرى ٠٠ بمعنى أنه مركوز فى أعماق كل انسان أن له ولهذا الكون خالقا ٠٠ وقد أصاب من الفلاسفة من رأى أن من الأدلة على وجود الخالق عز وجل الدليل الفطرى ٠٠ وقد جمع الفلاسفة الى هذا الدليل الفطرى على وجود الخالق ، الدليل العقلى أيضا ٠

وهم بذلك قد أقروا بوجود الخالق فطرة وعقلا ٠ لكن هل عرفوا - وأنى لهم - ما هى صفات هذا الخالق ؟ ما هى قدرته وما حدودها ؟ وما علمه ومدى احاطته ؟ كيف يخلق ؟ ماذا يريد منا نحو أنفسنا ؟ ونحو الكون ؟ ونحوه سبحانه ؟ ما صلته بنا ؟ وبالكون ؟ ما صلتنا به ؟ ما منهجه ؟ ما ارادته ؟ ما المصير الذى قدره للكون ولنا ؟ هل هنالك عوالم اخرى فى هذا الكون غيرنا ؟ وهل هنالك علاقة ما بيننا وبينهم على فرض وجودهم ؟ وهل مصيرهم مثل مصيرنا ؟ الى آخر هذه الأسئلة الضرورية الملحة ٠

أقول : ان سؤال الفلاسفة : هل لهذا الكون خالق ؟ قد أجابوا عليه بفطرتهم وعقولهم ٠٠ وان عقولهم - التى خلقها هذا الخالق وزودهم بها - لقادرة على الاجابة على هذا السؤال « هل للكون خالق ؟ » ٠

أما الأسئلة الأخرى التى طرحنا نماذج لها مثل صفات الخالق عز وجل ، وما يريده من الخلق ، ومصير الخلق ، وصلة الخلق به ، وصلته تعالى بخلقه ، والعوالم الأخرى وصلتنا بها ٠٠ الى آخره ٠٠ فان العقل الانسانى لا يقدر على الوصول الى اجابات عليها ٠٠ انها أسئلة اجاباتها فوق طاقة العقل ووراء قدراته ٠٠

كيف للعقل أن يعرف هل توجد هنالك عوالم اخرى غيرنا مثل الملائكة والجن ·

أنى للعقل أن يعرف المصير الذى قدر لهذا الكون - والمصير الذى يسير اليه الانسان ؟

كيف للعقل الانسانى أن يدرك ما يريده الله منا وما لا يريده ؟

أنى لعقل البشر أن يقف على صفات الله الخالق ؟

كيف يدرك العقل البشرى الصلة بيننا وبين الخالق عز وجل ؟ أو كيف يخلق الله الخلق ؟

انه يدرك هذه الحقيقة (ان لهذا الكون خالقا) ولا مزيد ·

ولأن هذه الأسئلة ضرورية وملحة ، والانسان لا يكف عنها ، ولأن معرفة الانسان بها أمر على غاية الخطر بالنسبة اليه ·· فقد تداركت رحمة الله الانسا ن، فارسل اليه من يضع أمامه الاجابة عنها وعن غيرها ·· فاوحى الخالق سبحانه الى رجال اصطفاهم من بين خلقه ، وأعلمهم هذه الأمور وأرسلهم أى : أمرهم بابلاغها - على غاية الدقة والأمانة - الى البشر ، وأمر البشر باتباع الرسل ، لكنه - سبحانه - لم يجبرهم ولم يقهرهم ولم يكرههم على ذلك ·· بل ساق اليهم البيان والحجة والبرهان ، وترك لهم حرية الاختيار بين الايمان والكفر ·· ثم أوضح لهم مصير المؤمن ، ومآل الكافر ·

وما يجب أن نقرره هنا أن كثيرا من الفلاسفة لم يقفوا عند قدرات عقولهم المحدودة ، وطاقاتها المعلومة ، فراحوا يكدون عقولهم ، ويبددون طاقاتها فى البحث والتنقيب عن اجابات لتلك الأسئلة الصعبة ، فماذا حدث لهم ؟

تاهوا ، وضلوا ، وأضلوا وجاءوا - رغم عبقريتهم غير المنقوصة - باجابات فجة ، سخيفة ، سقيمة ، متناقضة ، متدابرة لا تقنع عقل الفيلسوف ولا حتى عقل الطفل ·· جاءوا بكلام أقرب الى الهذيان والهلوسات منه الى الفكر الصحيح والرأى السديد · خلطوا بحوثهم

بالاساطير والخرافات وهذا أمر لازم ولا ريب لأن العقل لا طاقة له على ذلك فليفسحوا الطريق الى سبل أخرى غير العقل ؛ ولتكن الخرافات والشعبذات ٠٠ أرايت ما قاله أرسطو - وله عقل من أكبر عقول الناس - وما قاله أصحاب نظرية الفيض وغيرهم وغيرهم وغيرهم ٠

ان الاجابة على هذه الأسئلة مهمة النبوة ٠٠ النبوة وحدها ٠٠ وعلى العقل أن يستثمر عبقريته فى التلقى الواعى البصير الرشيد عن النبوة ، والفهم عنها ، وتحليل ما تلقى ، والتحرك به فى هذه الحياة ٠

كان الأجدر ألا يستقل أكثر الفلاسفة عن النبوات فى البحث - بالعقل - عن اجابات ٠ وعندما استقل كثير من الفلاسفة بعقولهم عن نور النبوات ، جاءوا بكلام لا قيمة له ، ولا يؤبه به كما ذكرنا ٠

كان الأجدر بالعقل أن يتلقى عن الله ، ويفهم عنه - بواسطة النبوات - فيما لا يستطيع ادراكه ، وما هو فوق طاقته ٠٠ وبهذا يحفظ لهذه الملكة (العقل) طاقاتها وسلطانها وكرامتها ، ويستثمرها فيما يعود بالنفع والفائدة للانسان ٠٠ وكل ما فى الكون - ما عدا الاجابة على تلك الأسئلة - موضوع للعقل الانسانى ٠٠ وهو مامور ومدعو للنظر والتأمل والتفكير والتدبر فيه بلا حدود ولا قيود ٠

- العقل الانسانى مدعو للتدبر فى آيات الله التى أنزلها بواسطة النبوة « فى القرآن الكريم » ٠

- والعقل مدعو من الله الخالق ان يتدبر فى آيات الله الكونية ، أى فيما خلق الله (١) ٠

---

(١) راجع كتابنا : « القرآن والكون » نشر الزهراء بالقاهرة ٠ « الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية » نشر فى مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ وراجع كتابنا : « تأملات حول وسائل الادراك فى القرآن الكريم : الحس والعقل والقلب والفؤاد واللب » نشر فى الرياض ١٩٨٢ م ٠

وبسبب من تناقض ما جاءت به الميتافيزيقا فى مجال الالهيات فان فلاسفة كثيرين ، ومذاهب فلسفية كثيرة قد رفضوا الميتاءيريقا كلية . يقول (بخنر) مؤلف كتاب : (القوة والمادة) .

« بينما نرى علم النفس والمنطق والجمال والأحلاق وفلسفة القانون وتاريخ الفلسفة يستحق البقاء ، وينبعى أن يدرسها العقل البشرى ، ان نرى ما بعد الطبيعة علما مستحيلا ، وراء حواسنا ، فيجب ان يترك بمضيعه ، ويعد من سقط المتاع » .

وبخنر هذا من الفلاسفة الماديين توفى سنة ١٨٩٩ م ، وانا لا نؤيد مادية (بخنر) أو غيره ، فهو فيلسوف ملحد حاول أن يقنن الحاده ويبرهن عليه . لكنا نقول ان تناقض ميتافيزيقا الفلاسفة ووهاءها فى جانب الألوهية ربما - كان الى جانب عوامل أخرى - سبباً فى مادية هؤلاء ، وكان على هؤلاء وأولئك أن يأخذوا عن النبوة فيرشدوا .

كتب العقيدة فى التراث الاسلامى : نظرة تقويمية عامة

لو سالك سائل قائلا : دلنى على كتاب تراثى واحد فى العقيدة يسوقها تامة كاملة ، ويقررها واضحة ناصعة كما جاءت فى القرآن ، ويحتج لها بأدلة القرآن وبيناته ودلائله ، وتدعو الناس الى الايمان بها بأسلوب القرآن ومنهجه ؛ دون تشويش بذكر البدع وأهلها ، أو ذكر خصوماتهم واعلان الحرب عليهم ؟!

لو سئلت هذا السؤال ، فلا شك أنك ستنظر فيما ألفه علماؤنا من كتب فى العقيدة ، وساعتها سيهولك أنك لا تجد كتابا واحدا يحقق رغبة سائلك على أهميتها البالغة ، وضرروتها الملحة . **أجل لا تجد كتابا واحدا يقرر العقيدة كاملة تامة واضحة كما قررها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ويستدل عليها بحجج القرآن ، ويظهر دلائل القرآن وبيناته فى ذلك ، ويدعو الناس الى الايمان بها ، ويناى عن المخاصمة والمجادلة .**

فان ما كتبه علماؤنا ، رضى الله عنهم (١) ، أدخل فى باب (الجدل حول العقيدة) منه فى باب (تقرير العقيدة) وشتان ما بين البابين ، ولا شك أن الظروف التى كتبت فيها هذه الكتب كانت وراء ذلك .

ولو أمعنت النظر فيما وصلنا من هذه الكتب - حول العقيدة - ، لوجدتها تنقسم الى مجموعتين كبيرتين ؛ هما :

١ - كتب علماء الكلام على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم .

٢ - كتب أهل الحديث والفقهاء .

ولو أمعن قارىء اليوم النظر فى هاتين المجموعتين لوجد فيها **بعض السلبيات والمآخذ ؛ منها :**

---

(١) للتعرف على الظروف التى دعت العلماء للكتابة فى (الجدل حول العقيدة) أنظر : الدكتور يحيى هاشم فرغل : (نشاة الآراء والمذاهب والفرق الاسلامية) نشرة مجمع البحوث ١٩٧١ م ، والدكتور عبد الحميد مدكور (مذكرة فى علم الكلام) والدكتور أبو اليزيد العجمى : (الفقهاء وبحوث العقيدة الاسلامية) نشرة دار الهداية بالقاهرة . ومقدمته لرسالة ابن قائد النجدى (نجاة الخلف فى اعتقاد السلف) .

- عدم سوق أصول العقائد بطريقة القرآن الكريم ، مع عدم الاحتجاج لها بمنهج القرآن والسنة ، مع عدم الاهتمام بعنصر الدعوة الى الايمان بها .

- كما أنها - أو معظمها - تتناول مسألة واحدة أو بعض المسائل الجزئية فى العقيدة وتدور حولها ، أى أنها تختزل العقيدة فى مسألة واحدة أو أكثر قليلا ؛ مثل مسألة الصفات ، وقد تضيف اليها خلق القرآن ، أو الرؤية أو غير ذلك - وهذه التجزئة لا تبنى عقيدة فى النفس ، ولا تغرس ايمانا فى القلب . ومن خبر تلك الكتب عرف هذه الحقيقة المؤلمة بكل أسف .

- وقد طغت على أكثر هذه المؤلفات روح الخصومة والردود والجدال ، مما أوقع العلماء الكبار فى أخطاء جسيمة ؛ منها على سبيل المثال : **أن كثيرا من علماء (السلف) - وهم اهل الحديث وخبراؤه وأهل البصر به ، الذين أدوا للأمة اجل خدمة فى حفظ السنة وحراستها - يسوقون - فى تقرير العقائد - أحاديث ضعيفة أو منكرة أو موضوعة أو واهية ، وهم** يعلمون يقينا أن هذا لا يصح ولا يسوغ مطلقا فى باب العقائد . ورغم وضوح المنهج السلفى الذى يعلن التزامه بصحة الاحاديث ، فان مؤلفين سلفيين كثيرين « من علماء المذهب قد قصروا فى هذا .. ؛ مما كان له أثر سىء على المذهب (ونحن نرى أن هذا كان له أثر سىء للغاية على المسلمين بعامة وليس على المذهب فقط) وجرأ أتباع المذهب العقلى .. على التهكم بما يروى فى تلك الكتب (السلفية) من الآثار الموضوعة والمنكرة أو الضعيفة الاسناد ، أو نحو ذلك من الاسرائيليات » (١) .

ونذكر من بين كتب العقائد السلفية التى روت مثل هذه الأحاديث الموضوعة والمنكرة والآثار الواهية على سبيل المثال - ما يلى :

١ - كتاب رد الدرامى (٢٨٢ هـ) على المريسى :

- روى عن المريسى تأويله لحديث : (لما قضى الله خلقه استلقى ..

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب : (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للحافظ أبى القاسم اللالكائى ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة بالرياض .

الآتى عند ابن عاصم) ثم أخذ يرد على المريسى فى تأويله (١) ، مع أنه حديث موضوع ، كان الأولى به أن يبين عدم صحته .

- وقال : (ومن الأحاديث أحاديث جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم قالها العلماء ورووها ولم يفسروها ومتى فسرها أحد برأيه اتهموه : فقد كتب الى على بن خشرم أن وكيعا سئل عن حديث عبد الله ابن عمر : (والجنة مطوية معلقة بقرون الشمس) فقال وكيع : هذا حديث مشهور قد روى فهو يرويها) (٢) .

وهذا الأثر مجهول السند ولا يوجد فى أى من دواوين السنة ، فكيف يزعم أنه مشهور ؟!

٢ - كتاب السنة لابن أبى عاصم ت ٢٨٧ هـ :

- روى بسنده الى قتادة : أنه زار أبا سعيد الخدرى فوجده مستلقيا رافعا احدى رجليه على الأخرى .. فرفع قتادة يده فقرصه قرصة شديدة قال أبو سعيد : أوجعتنى ! قال : ذلك أردت ، ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لما قضى الله خلقه استلقى ثم وضع احدى رجليه على الأخرى ، ثم قال : لا ينبغى أن يفعل مثل هذا ؟ قال أبو سعيد : نعم) (٣) .

وسند هذا الحديث ضعيف ، ومتنه منكر ، ومخالفته للقرآن الكريم بينة جلية ألم تقرأ فى سورة (ق) : **(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب) (٤) اى اعياء وتعب ونصب** يستدعى الراحة . ووضع اليهود لهذا الكلام واضح ، واقرأ ما جاء فى (سفر التكوين) أن الله بعد خلق السموات والأرض فى ستة أيام تعب فاستراح فى اليوم السابع (٥) .

---

(١) ص ١٨٣ بتحقيق محمد حامد الفقى ، مطبعة أنصار السنة المحمدية (ضمن شذرات البلاتين) ط ١٣٧٥ هـ بمصر .
(٢) ص ٨٨ .
(٣) حديث رقم ٥٦٨ .
(٤) سورة / ق ٣٨ .
(٥) سفر التكوين ، الاصحاح الأول : ١ - ٣

٣ - كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ت ٢٩٥ هـ :

« قال حدثنى أبى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنا الجريرى عن أبى عطاف قال : (كتب الله التوراة لموسى بيده ، وهو مسند ظهره الى الصحرة فى ألواح من در يسمع صريف القلم ، ليس بينه وبينه الا الحجاب » (١) .

هذا كلام لا ينبغى رواية مثله ، يقول (ابن المدينى) عن (ابو العطاف) **ما أعلم أحدا روى عنه** .

وقال : حدثنى أبى ، حدثنا معاد ، بن هشام بمكة ، حدثنى أبى عن قتادة عن كثير بن كثير عن أبى عياض ، عن عبد الله بن عمرو قال : (ان العرش لمطوق بحية وان الوحى لينزل فى السلاسل » . ولو لم يكن فى هذا الأثر الا عنعنة قتادة - وهو معروف بالتدليس . لكفى فى تضعيفه ، وكثير مختلف فيه .

- وقال : حدثنى أبى ، حدثنا أبو أسامة أنا هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : (خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر » (٢) .

والسندواه والمتن منكر .

- روى بسنده حديثا عن أبى هريرة انه قال : (ان الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفى عام) (٣) **وهذا حديث** موضوع ، والعجيب الغريب ان ابن أبى عاصم رواه فى كتاب (السنة) (٤) ، وأن ابن خزيمة قد رواه فى كتابه (التوحيد واثبات صفات الرب) (٥) ، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل كما سقنا ، ورواه اللا لكائى فى (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) (٦) ، وقد رواه غيرهم من علماء الحديث فى كتب العقائد .

---

(١) السنة ص ٤٥ المطبعة السلفية ، مكة المكرمة ١٣٤٩ هـ .
(٢) ص ١٥٠ .
(٣) ص ١٥١ .
(٤) ص ١٥١ ، ١٦٨ .
(٥) ص ١٠٩ من الطبعة المنيرية الأولى .
(٦) رقم ٣٦٨ ص ٢٦٢ جـ ١ .

٤ ـ كتاب التوحيد لابن خزيمة ت ٣١١ هـ :

يروى فيه بعض الأحاديث الضعيفة والمنكرة مثل : (ان الله عز وجل ينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل ٠٠ الى أن قال : ثم ينزل فى الساعة الثالثة الى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول : قومى بعزتى) ٠

فى رواة هذا الحديث (زيادة بن محمد) ، وقال البخارى والنسائى وأبو حاتم وابن حبان عنه انه (**منكر الحديث**) وزاد ابن حبان (**منكر جدا**) **يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك** ٠ وفيه (على بن زيد) وهو ضعيف لا يحتج به ٠

أما متن الحديث فمنكر !!

٥ ـ كتاب الايمان لابن منده ت ٣٨٧ هـ (١)

روى بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ـ فى حديث الرؤية ـ ان الله عز وجل : (يتجلى يضحك) زاد : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (حتى تبدو لهواته وأضراسه) ٠

٦ ـ كتاب الابانة لابن بطة ت ٣٩٥ هـ (٢) :

روى بسنده الى ابن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من قال : « القرآن مخلوق فقد كفر بالله عز وجل » ٠

وروى بسنده قصة فيها : (قيل يولد فى المشرق جارية ، وفى المغرب علام ، يجتمعان على الفجور ، فكانت « عنقاء » تسمع ، فأنكرت ذلك ، فقال لها : خذى الجارية واحفظيها عندك ، ففعلت ، ورغم تحررها وصل الغلام الى الجارية) ٠

٧ ـ كتاب شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ـ اللا لكائى ت ٤١٨ هـ :

يقول محققه (٣) عنه : « انه من أهم الكتب السلفية منهجا ومضمونا **ولكنه كذلك لم يسلم من الخطأ الذى وقعت فيه الكتب الآنفة الذكر ، ولذلك فان القيام بتحقيقه وبيان صحيح الآثار الواردة فيه من سقيهما أمر ضرورى ـ كغيره من تلك المؤلفات ـ لصيانة العقيدة وحفظها** » ٠

---

(١) مخطوط ٠

(٢) مخطوط ، وانظر مقدمة تحقيق كتاب اللا لكائى ٠

(٣) د ٠ أحمد سعد حمدان ص ٦٣ ٠

٨ ـ كتاب « كلمة الاخلاص وتحقيق معناها » للحافظ ابن رجب الحنبلى ت ٧٩٥ هـ :

صم هذا الكتاب عددا كبيرا من الأحاديث الضعيفة الواهية فى الصفحات (٢٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، من نشرة المكتب الاسلامى التى خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألبانى) .

ومن جانبنا نرى أن الذى ألجأ هؤلاء العلماء الكبار الى الاحتجاج ـ فى باب العقائد ـ بمثل هذه الاحاديث المنكرة والضعيفة : هو روح الجو العام الذى وضعت فيه أوائل هذه الكتب (وقد أخذ خالفها عن سالفها دون تمحيص ونقد) ؛ ان روح الخصومة والرد ، أو روح الفعل ورد الفعل بين أهل الحديث والمتكلمين ، أهل البدع فى نظرهم ، هو المسئول عن هذه السقطات .

ولقد أحسن شيخ الاسلام ابن تيمية تصوير الخصومة ، والسبب الحقيقى لها فقال :

« وبينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر ، **كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث ، والفقهاء والصوفية وغيرهم ، بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين .**

« وهؤلاء الغالطون الذين **أعرضوا عما فى القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية** ، صاروا اذا صنفوا فى أصول الدين أحزابا .

★ « حزب يقدمون فى كتبهم الكلام فى النظر والدليل والعلم ، وأن النظر يوجب العلم ، وأنه واجب . ويتكلمون فى جنس النظر ، وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ، ثم اذا صاروا الى ما هو الأصل والدليل للدين ، **استدلوا بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام ، وهو دليل مبتدع فى الشرع ، وباطل فى العقل .**

★ « والحزب الثانى عرفوا أن هذا الكلام مبتدع (أى استدلال المتكلمين بدليل العرض والجوهر) ، وهو مستلزم مخالفة الكتاب والسنة ، وعنه ينشأ القول بان القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى فى الآخرة ، وليس فوق العرش ، ونحو ذلك من بدع الجهمية .

فصنفوا كتبا قدموا فيها ما يدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف ، وذكروا أشياء صحيحة ، **ولكنهم يخلطون الآثار صحيحها بضعيفها ! ، وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب ! ، وأيضا فهم انما يستدلون بالقرآن من أخباره لا من جهة دلالته ! ، فلا يذكرون ما فيه من الأدلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد ! وأنه ـ أى القرآن ـ قد بين الأدلة العقلية الدالة على ذلك ، ولهذا سموا كتبهم أصول السنة والشريعة ونحو ذلك ٠**

وجعلوا أن الايمان بالرسول قد استقر ، فلا يحتاج أن تبين الأدلة الدالة عليه ، فذمهم أولئك المتكلمون ونسبوهم الى **الجهل** ، **اذ لم يذكروا** الأصول الدالة على صدق الرسول ٠

وهؤلاء ـ السلفيون ـ ينسبون أولئك ـ المتكلمين ـ **الى البدعة** ، بل الى الكفر !! » **لكونهم أصلوا أصولا تخالف ما قاله الرسول** » ٠

والرأى عند شيخ الاسلام ابن تيمية (١) أن « **الطائفتين ـ يقصد بعض السلفيين والمتكلمين ـ يلحقهما الملام ؛ لكونهما اعرضتا عن الأصول التى بينها الله بكتابه ، فانها أصول الدين وادلته وآياته ، فلما اعرض عنها الطائفتان وقع بينهما العداوة كما قال تعالى : « فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة » (٢) ٠**

ويتحدث شيخ الاسلام ابن تيمية عن طريقة المحدثين هذه قائلا . **انهم « يحتجون بأحاديث موضوعة فى مسائل الأصول والفروع ! ، وبآثار مفتعلة ! ، وحكايات غير صحيحة ! ، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه !! ، وربما تأولوه على غير تأويله !!** ، ووضعوه على **غير موضعه !** ٠

ثم انهم بهذا المنقول الضعيف ، والمعقول السخيف قد يكفرون ، ويضللون ، ويبدعون اقواما من اعيان الأمة ويجهلونهم (٣) !!! ؛

---

(١) ابن تيمية : « معارج الوصول الى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول » ، ص ٥ ـ ٧ طبع السلفية ١٣٨٧ هـ مصر ٠

(٢) سورة المائدة ١٤ ٠

(٣) مثلما وقع على الامام أبى حنيفة النعمان ، انظر : لابن قتيبة (تأويل مختلف الحديث) ص ٥٠ واللالكائى جـ ١ ص ١٧١ ٠

ففى بعضهم من التفريط فى الحق ، والتعدى على الخلق ، ما قد يكون بعضه خطأ مغفورا ، وقد يكون منكرا من القول وزورا ، وقد يكون من البدع والضلالات التى توجب العقوبات ، فهذا لا ينكره الا جاهل أو ظالم ، وقد رأيت من ذلك عجائب ! » (١) .

ولعل هذه العجائب التى ، رآها ابن تيمية ، جعلته يرى أن من أسباب انتشار بدع المبتدعين فى العقائد :

« العجز والتفريط الواقع فى المنتسبين الى السنة والحديث ؛ فهم تارة يروون ما لا يعلمون صحته ! ، وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب الا أمانى ، ! ، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الامور ! » (٢) .

ويرى ابن تيمية أن الناس عابوهم لأن « اتباع الحديث يحتاج أولا الى : **صحة الحديث** ، وثانيا : الى **فهم معناه ، كاتباع القرآن . فالخلل يدخل عليهم من ترك احدى المقدمتين » (٣) .**

- ومن سلبيات الكتب التى وضعت عن العقيدة - فى رأى القارىء المعاصر - أنها وقفت وقفات طويلة جدا عند البدع أو الاجتهادات الخاطئة ، فهى تدور حولها تقريرا وشرحا وتفصيلا كما فى كتب علم الكلام ، أو هى تدور حولها ردا وابطالا وتفنيدا كما فى كتب أهل الحديث ، .. وهذا من شأنه أن يقف بالقارىء على كم هائل من هذه البدع أو الاجتهادات الخاطئة مما قد يترك شيئا من البلبلة أو التشويش فى خاطره ، أو قد يمكن البدعة من نفسه ، وهذا لا حاجة اليه اليوم - لا حاجة علمية ولا واقعية .

وغير خاف أن كثيرا من هذه البدع أو الاجتهادات الخاطئة كانت وليدة ظروف معينة معروفة ، أو كانت ثمرة بيئات خاصة ، نستطيع الجزم بأنها انتهت وماتت ، وأصبحت تاريخا ، ومن ثم فانا نرى أن اعادة الحديث عنها ، وتشقيقه وتفريعه ، وتكراره واجتراره ، وبعثه ، يعد الآن (بدعة) جديدة ، تفرق وتمزق ، وتشكك وتبلبل .

---

(١) ابن تيمية : « نقض المنطق » ص ٢٢ - ٢٣ طبعة السنة المحمدية بمصر .
(٢) ابن تيمية : الفتاوى ج ١٢ ص ٣٣ .
(٣) نقض المنطق . ص ٢٢ ، طبعة دار الجيل ، لبنان .

- كما أن لعصرنا ظروفه ومناخه ومشكلاته التى تستوجب علاجا عقديا نابعا من روح القرآن والسنة - كما أشار ابن تيمية فى النصوص التى سقناها آنفا - آخذا فى اعتباره لغة العصر ، متنزها عن العراك المذهبى حول مسائل جزئية ماتت واندثرت ٠

وأنا نرى أن بعض كتب العقيدة - وان كانت تعد مراجع مهمة حوت لنا كثيرا من النصوص والآثار والأخبار والأسماء - فهى قد كتبت بطريقة ربما كانت مناسبة لعصرها وظرفه ، أما المثقف المعاصر فانا نشك أنه يستطيع الافادة منها أو التعامل معها ؛ لذلك ينبغى على الباحثين والعلماء المتخصصين المحققين أن يقدموا خلاصتها وزبدتها الى القارىء المعاصر ، بصياغة مناسبة ، تاركين الأحاديث المنكرة أو الضعيفة ، عازفين عن اثارة الجدل الذى وقع من بعضها لما قد يترتب عليه من سلبيات لا طائل منها ٠

- ولابد أن نقرر أن كثيرا من كتب علم الكلام - وقليلا من الكتب السلفية فى الجدل حول العقيدة - وبدون قصد من واضعيها - تقطع الطريق - فى باب العقائد - بين المسلمين ، وبين القرآن الكريم فى أسلوبه ومنهجه وروحه التى قرر بها العقيدة ، واحتج لها ، ودعا الناس الى الايمان بها ، (واقرأ مرة أخرى عبارات ابن تيمية التى سقناها آنفا) ٠

وهذه - ولابد أن نقرر بشجاعة - نتيجة خطيرة أضعفت المجتمع الاسلامى ؛ لأنها أبعدته عن (العقيدة القرآنية) وأغرقته فى (الخلافات المذهبية) حول المسائل الفرعية والجزئية ٠ ومن ثم كان لازما لازبا علينا أن ننحاز الى منهج القرآن وروحه فى عرض العقيدة والاحتجاج لها ، وأن نتجافى عن روح الخصومة وادارة المعارك ٠ ومن هنا كانت الحاجة ملحة ، والضرورة ملزمة الى وضع مؤلفات معاصرة فى العقيدة نراعى فيها كل ذلك (١) ٠

---

(١) مثل كتاب الشيخ سيد سابق (العقائد الاسلامية) والدكتور يوسف القرضاوي : (وجود الله) و (الايمان والحياة)، الشيخ محمد الغزالي (عقيدة المسلم)، حسن أيوب، أبو بكر الجزائري، وسعيد النورسي، وحسن البنا، ومحمد عبده، علي الطنطاوي، وجمال الدين القاسمي، وحبنكة الميداني، وجمعة أمين عبد العزيز، ومحمود شلتوت، وبعض أساتذة الجامعات. وتتجه معظم هذه المؤلفات الى التخلص من روح الخصومة واثارة المشكلات والخلافات وبعثها واجترارها من جديد.

من خصائص العقيدة الاسلامية وميزاتها

للتصور العقدى الاسلامى خصائصه المميزة ، التى تفرده من سائر التصورات ، وتجعل له شخصيته المستقلة ، وطبيعته الخاصة ، التى لا تلتبس بتصور آخر ، ولا تستمد من تصور آخر .

« هذه الخصائص تتعدد وتتوزع ، ولكنها تتضام وتتجمع عند خاصية واحدة ، هى التى تنبثق منها وترجع اليها سائر الخصائص .. خاصية الربانية » (١) .

أنه تصور (عقدى) ربانى ؛ جاء من عند الله بكل خصائصه ، وبكل مقوماته ، وتلقاه « الانسان كاملا بخصائصه هذه ومقوماته ؛ لا ليزيد عليه من عنده شيئا ، ولا لينقص كذلك منه شيئا . ولكن ليتكيف هو به ، وليطبق مقتضياته فى حياته ...

وهو - من ثم - **تصور (عقدى) غير متطور فى ذاته ، انما تتطور البشرية فى اطاره ، وترتقى فى ادراكه وفى الاستجابة له** . وتظل تتطور وترتقى ، وتنمو وتتقدم ، وهذا الاطار يسعها دائما ، وهذا التصور يقودها دائما ؛ لأن المصدر الذى أنشأ هذا التصور ، هو نفسه المصدر الذى خلق الانسان ؛ هو الخالق المدبر ، الذى يعلم طبيعة هذا الانسان » (٢) .

أى أن الخاصية الأولى أو الميزة الأولى للعقيدة الاسلامية هى : « **الربانية** » . أما الميزة أو الخاصية الثانية فهى : « **الثبات** » .

فهى عقيدة ثابتة محددة لا تقبل الزيادة ولا النقصان ، ولا التحريف والتبديل ، فليس لحاكم من الحكام ، أو مجمع من المجامع العلمية (٣)

---

(١) انظر للمفكر الاسلامى الشهيد الاستاذ سيد قطب كتابه : (خصائص التصور الاسلامى) ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) نفسه ص ٦٦ .

(٣) مثل المجامع النصرانية المعروفة التى كان يعقدها كبار رجال الكنيسة ويتفقون فيها على الزيادة والاضافة الى العقائد المسيحية والكتب المقدسة لديهم ، أو يتفقون على الحذف والنقص منها ، **انظر فى هذا** المراجع التالية : ● البطريرك سعيد بن البطريق بابا الاسكندرية :
=

او مؤتمر من المؤتمرات الدينية أن يضيف اليها أو يحور فيها ، وكل اضافة أو تحوير مردودة على صاحبها ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« من أحدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد » (١) أى مردود غير مقبـول .

والقرآن يستنكر ذلك : « **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** » (٢) . وعلى هذا ، فكل البدع والأساطير والخرافات التى دست فى بعض كتب المسلمين أو أشيعت بين عامتهم باطلة مردودة لا يقرها الاسلام ولا تؤخذ حجة عليه (٣) .

ولو قارنا بين النظام أو التصور العقدى الاسلامى ، وغيره من حيث الثبات والتطور لقلنا : « اذا كانت التصورات والمذاهب والأنشطة التى يضعها البشر لأنفسهم ـ فى معزل عن هدى الله ـ تحتاج دائما الى التطور فى أصولها ، والتحور فى قواعدها ، والانقلاب أحيانا عليها كلها حين تضيق عن البشرية فى حجمها المتطور ! ، وفى حاجاتها المتطورة ..

=

(التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ، الدكتور القس حنا الخضرى : (تاريخ الفكر المسيحى) دار الثقافة المؤرخ بابا دوبولس تاريخ كنيسة أنطاكية ، ترجمة الأسقف استفانس حداد ، نشر النور ١٩٨٤

Werner G. Kummel, Introduction to the New Testament, Revised English Edition, 1984, U.S.A.

Alistair Kee. Constantine Versus Christ, S,CM. London, 1982.

ـ وانظر للشيخ رحمه الله الهندى : (اظهار الحق) طبعة قطر ، وللشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، نشرة الرئاسة العامة للبحوث العلمية فى الرياض . وللتوسع راجع كتابنا (فى مقارنة الأديان) ج ١ نشر دار الهداية . .

وقد حدث التحريف بالزيادة لكل عقائد الملل والنحل غير الاسلام ، راجع للباقلانى أبو بكر المتوفى ٤٠٣ هـ كتابه (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل) مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ١٩٨٧ م .

(١) متفق عليه .

(٢) الشورى ٢١ .

(٣) (الايمان والحياة) ص ٤٨ .

اذا كانت تلك التصورات والمذاهب والأنظمة التى هى من صنع البشر ، تتعرض لهذا وتحتاج اليه ، فذلك لأنها من صنع البشر !... الذين لا يرون الا ما هو مكشوف لهم من الأحوال والأوضاع والحاجات ، فى فترة محدودة من الزمان ، وفى قطاع خاص من الأرض ... رؤية فيها - مع هذا - قصور الانسان ، وجهل الانسان ، وشهوات الانسان ، وتأثرات الانسان .

فأما التصور الاسلامى - بربانيته - فهو يخالف فى أصل تكوينه ، وفى خصائصه ، تلك التصورات البشرية ، ومن ثم لا يحتاج - فى ذاته - الى التطور والتغير ... فالذى وضعه يرى بلا حدود من الزمان والمكان . ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور . ويختار بلا تأثر من الشهوات والانفعالات . ومن ثم يضع للكينونة البشرية كلها ، فى جميع أزمانها وأطوارها أصلا ثابتا تتطور هى فى حدوده وترتقى (١) .

فالعقيدة الاسلامية كاملة متكاملة ، لا تقبل تنمية ولا تكميلا ، فهى من صنع الله ، ولا يتناسق معها ما هو من صنع غيره ، ولا يملك الانسان أن يعدل فيها أو يغير شيئا ، أو يضيف شيئا . انما العقيدة هى التى جاءت لتضيف الى الانسان ، وتنميه ، وتعدله ، وتطوره ، وتدفع به دفعا الى الأمام .. جاءت لتضيف الى قلبه وعقله ، والى حياته وواقعه ، جاءت لتوقظ كل طاقات الانسان واستعداداته ، وتطلقها تعمل فى ايجابية كاملة ، وفى ضبط وهداية .. ، وهى تحتم أن تنفرد فى حياة البشر بمفهوماتها وايحاءاتها ومنهجها ووسائلها ، كى تتناسق حياة البشر مع حياة الكون - الذى تعيش فى اطاره - ولا تصطدم حركتها بحركة الكون فيصيبها العطب والدمار (٢) .

- ومن خصائص العقيدة الاسلامية **الوضوح** : « فهى عقيدة واضحة يسيرة الفهم ، لا تعقيد فيها ولا غموض : تتلخص فى أن وراء هذا الكون البديع المنسق المحكم ربا واحدا خلقه ونظمه ، وقدر كل شىء فيه تقديرا ، وهذا الاله أو الرب ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد « **بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون** » (٣) .

وهذه عقيدة واضحة مقبولة ، فالعقل دائما يطلب الترابط والوحدة

---

(١) خصائص .
(٢) السابق ص ٦٨
(٣) البقرة ١١٦ .

وراء التنوع والكثرة ، ويريد أن يرجع الأشياء دوما الى سبب واحد . فليس فى عقيدة التوحيد ما فى عقائد التثليث أو التثنية ونحوها من الغموض والتعقيد (١) .

والعقيدة الاسلامية عقيدة الفطرة الانسانية ، فهى ليست غريبة عنها ولا مناقضة لها ، بل هى منطبقة عليها تمام الانطباق ، وهذا ما جاء فى القرآن الكريم : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » (٢) . وفى الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة (أى على الاسلام) وانما أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه (٣) .

فدل ذلك على أن الاسلام هو فطرة الله ، فلا يحتاج الى تاثير من الأبوين ، أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهى من تلقين الآباء وتأثير البيئات والمجتمعات .

وهو (أى التصور العقدى الاسلامى) - من ثم - شامل متوازن ، منظور فيه الى كل جوانب الكينونة البشرية أولا . ومنظور فيه الى توازن هذه الجوانب وتناسقها أخيرا » .

ومنظور فيه كذلك الى جميع أطوار الجنس البشرى ، والى توازن هذه الأطوار جميعا . بما أن صانعه هو صانع الانسان .. الذى خلق ، والذى يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير .

وهو - من ثم - الميزان الوحيد الذى يرجع اليه الانسان فى كل مكان و فى كل زمان ، بتصوراته وقيمه ، ومناهجه ونظمه ، وأوضاعه وأحواله ، وأخلاقه وأعماله .. ليعلم أين هو من الحق ؟ وأين هو من الله ؟ وليس هنالك ميزان آخر يرجع اليه ، وليس هنالك مقررات سابقة ولا مقررات لاحقة يرجع اليها فى هذا الشأن .. انما هو يتلقى قيمه

---

(١) الايمان والحياة ص ٤٧ وللتعرف على شىء من غموض العقيدة النصرانية انظر الجاحظ فى كتابه (المختار فى الرد على النصارى) . ص ٣١ - ٣٣ بتحقيقنا ، نشر دار الصحوة بالقاهرة ١٩٨٤ م .

(٢) الروم ٣٠ .

(٣) متفق عليه .

ومwارينه من هذا التصور ، ويكيف بها عقله وقلبه ، ويطبع بها شعوره وسلوكه » (١) ٠

- ومن أخص ما يميز العقيدة الاسلامية أنها « عقيدة مبرهنة » لا تكتفى فى تقرير مبادئها بالالزام المجرد ، والتكليف الصارم دون حجة أو دليل أو بينة وبرهان ٠ ليس فيها ما فى العقائد الأخرى مثل قول أوغسطين الفيلسوف النصرانى : (أومن بهذا لأنه محال) ٠ أو (أغمض عينيك ثم اعتقد) أو (الجهالة أم التقوى) أو (اعتقد وأنت أعمى) ٠

بل هى عقيدة يقول كتابها الكريم : « **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** » (٢) ، ويقول علماؤها : ايمان المقلد لا يقبل (٣) ٠

وتربط التوحيد بالعلم ، وتجعل العلم طريقا له ؛ تدبر قول الله تعالى : « **فاعلم أنه لا اله الا الله** » (٤)

فالعقيدة الاسلامية لا تكتفى بمخاطبة القلب والوجدان والمشاعر والاعتماد عليها وحدها أساسا للاعتقاد ، بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة ، والبرهان الناصع والتعليل الواضح ، الذى يملك أزمة العقول ، ويأخذ الطريق الى القلوب ، ويرى مجتهدوها أن العقل أساس النقل ، والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح (٥) ٠

وسنرى - فيما يلى - كيف أن القرآن الحكيم - فى قضية الألوهية - يقيم الأدلة من الكون ، والنفس ، والتاريخ ، على وجود الله وعلى وحدانيته وكماله ٠

كما يدلل القرآن على امكان البعث بأدلة عقلية يقينية قاطعة ، منها - كما سنرى ان شاء الله - خلق الانسان أول مرة ، وخلق السموات

---

(١) خصائص التصور ص ٦٨ ٠

(٢) البقرة ١١١ ، النمل ٦٤ ٠

(٣) انظر مؤلفات علماء العقيدة والكلام بشكل عام وكتاب الحليمى : (المنهاج فى شعب الايمان) ج ١ ص ١٤٥ - ١٥٠ ٠

(٤) محمد ١٩ ٠

(٥) انظر كتاب ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، تحقيق المرحوم الدكتور محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الامام بالرياض ٠

والأرض ، واحياء الارض بعد موتها ، واحراج النقيض من النقيض ، **ويدلل** علـى حكمته بالعـدالة الالهيـة فى اثابـة المحسـن ، وعقوبـة المسىء . **« ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » (١) .**

والعقيدة الاسلامية عقيدة وسط ؛ لا افراط فيها ولا تفريط . وسط بين الذين ينكرون الألوهية والمغيبات وبين الدين يزعمون أن للكون أكثر من اله .. فهى وسط بين التعديد الجاهل والاشراك العاقل ، والانكار الملحد (٢) .

وهى عقيدة وسط فى صفات الاله تنأى عن العلو فى التجريد الذى يجعل صفات الاله مجرد سلوب لا تعطى معنى ، ولا تشعر بخوف أو رجاء - كما فعلت الفلسفة اليونانية (٣) - ؛ فكل ما وصفت به الاله : أنه ليس بكذا ، وليس بكذا ... من غير أن تقول ما صفات الاله الايجابية ، وما أثرها فى هذا العالم .

كما أن العقيدة الاسلامية قد خلت من التشبيه والتجسيم الذى **وقعت** فيه عقائد أخرى كاليهودية - بعد تحريفها (٤) - اد جعلت الاله كأنه أحد المخلوقين من الناس ، ووصـفته بالنـوم والتعب والراحة ، والتحيـز ، والمحاباة ، والقسوة ، .. ، وجعلته يلتقى ببعض الرسل فيصارعه فلم يتمكن الرب من الافلات منه حتى أنعم عليه بلقب جديد (٤) !!

أما عقيدة الاسلام فتقرر تنزيه الله - اجمالا - عن مشابهة المخلوقات ، **« ليس كمثله شىء » (٥) « ولم يكن لـه كفواً أحـد » (٦)** - ومع هـذا تصفه - تفصيلا - بصفات ايجابية فعالة : **« وهو السميع البصير » « الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم ومـا**

---

(١) النجم ٣١ .

(٢) الايمان والحياة ص ٤٩ .

(٣) انظر : عباس العقاد : « الله : كتاب فى نشأة العقيدة الالهية » ص ٢ أنظر : (خصائص التصور الاسلامى) فصل : (تيه وركام) .

(٤) انظر كتابنا : (فى مقارنة الأديان) فصل : (النبوة والأنبياء بين التوراة والقرآن) .

(٥) الشورى ١١ .

(٦) سورة الاخلاص ٤ .

خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم » (١) « ان بطش ربك لشديد ، انه هو يبدىء ويعيد ، وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد »« (٢) .

وهى عقيدة وسط بين التسليم الأبله الذى يأخذ عقائده عن الآباء بالتقليد والوراثة ، كما يرث عنهم العقارات والأملاك : « **انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » (٣)** ، وبين الذين يريدون أن يعرفوا كنه الألوهية وحقيقتها ، وهم لا يعرفون حقيقة أنفسهم ولا ماهية حياتهم أو موتهم ، وهم — بعد — لم يعرفوا حقيقة أو كنه شىء من القوى الكونية كالكهرباء والجاذبية ، الخ .

وهى عقيدة وسط فى علاقتها بالعقائد الأخرى ؛ فلا تقبل الذوبان فى غيرها ، بل تدعو فى قوة الى الثبات عليها والاستمساك بها ، وهى — فى نفس الوقت — لا تتعصب ضد غيرها من العقائد ذات الاصل السماوى : **« الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » (٤)** بل يتسع صدرها لما يخالفها : **« لكم دينكم ولى دين » (٥) « لى عملى ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا برىء مما تعملون » (٦) .**

وهى وسط فى أمر النبوة فلم ترتفع بالأنبياء الى مقام الألوهية ، **كما فعلت النصرانية** بعد تحريفها ، ولم تنزل بهم الى حضيض السفلة من الناس كما صنعت اليهودية وسجلت ذلك فى أسفارها المبدلة المزيفة .

هى عقيدة وسط فى ذلك ، وفى ملامح أخرى كثيرة (٧) كما سنرى **ذلك ان شاء الله .**

---

(١) البقرة ٢٥٥ .
(٢) البروج ١٢ — ١٦ .
(٣) الزخرف ٢٣ .
(٤) الشورى ٥ .
(٥) الكافرون ٦ .
(٦) يونس ٤١ .
(٧) انظر : (الايمان والحياة) وقد عولنا عليه فى كتابة بعض هذه الأفكار انظر ص ٤٧ — ٥٧ .

حقيقة الايمان والاعتقاد

تمهيـــد :

الايمان معناه والغرض الذى يراد به عند اطلاقه : التصديق والتحقيق ، او التصديق مع الأمن (١) . ولفظ (الايمان) ومشتقاته قد ورد فى القرآن الكريم مئات المرات (٢) ، كما ورد فى السنة المطهرة - كثيرا جـدا (٣) .

أما لفظ (العقيدة او الاعتقاد) فلم يرد فى القرآن الكريم مطلقا ، ولا فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما نعلم (٤) . ولم يرد فى كتب اللغة مقصودا به المعنى الاصطلاحى المتعارف عليه فى أصول الدين (٥) .

ومن هنا نقرر : أن لفظ (الايمان) أولى فى الاستحدام وأوثق ، وأبعد عن اللبس والغموض من لفظ (العقيدة) ، وان كان هذا اللفظ (عقيدة) قد صار شائعا ذائغا دائرا على ألسنة العلماء وأقلامهم بكثرة ، كما أنه قد صار مصطلحا راسخا ثابتا ، وعلى كل حـال لا ، مشاحة فى الاصطلاح كما قال علماؤنا . وانما أردنا مجرد التنبيه والتذكير فحسب .

معنى آمنت بالله وآمنت لله :

وهذا الايمان ، الذى يراد به التصديق ، لا يتعدى الى من يضاف

---

(١) انظر للحاكم الحليمى : (المنهاج فى شعب الايمان) ج ١ ص ١٩ ، وانظـر للـراغب الأصـفهانى : المفـردات فى غريب القـرآن ص ٢٥ - ٢٧ .

(٢) راجع : (المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم) ص ٨١ - ٩٣ .

(٣) راجع (المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى) ترتيب جماعة من المستشرقين معهم محمد فؤاد عبـد الباقى ، طبعـة بريل فى ليـدن ١٩٦٢ م .

(٤) نفس المرجع ص ٢٩٣ - ٢٩٥ ، وهو فهرس للكتب التسـعة (البخارى ، ومسلم ، وابن حنبل ، ومالك ، وأبو داود ، والدارمى ، والترمذى ، وابن ماجه) .

(٥) انظر : اللســان ، والقاموس المحيط وغيرهمــا ، مــادة : (عقـد) .

اليه ويلتصق به الا بصلة ؛ وقد تكون هذه الصلة (باء) وقد تكون (لاما) ؛ أى تقول : **(آمنت به) (وآمنت له)** ٠

أما ما جاء بحرف « الباء » فمنه قوله تعالى :

« والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » (١) ، « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » (٢) و « آمنوا بالله ورسوله » (٣) ٠

ومما جاء متعديا بحرف « اللام » قوله تعالى :

« فآمن له لوط » (٤) ، « أنؤمن لك واتبعك الأرذلون » (٥) ، « أنؤمن لبشرين مثلنا » (٦) ، « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » (٧) ، « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » (٨) ٠

ما الفرق ، اذن ، بين (آمنت به) و (آمنت له) (٩) ؟

يرى (الحاكم الحليمى) (١٠) أن **« الايمان بالله تعالى جده : اثباته والاعتراف بوجوده ٠ والايمان له : القبول عنه والطاعة له ٠ والايمان**

---

(١) البقرة / ٤ ٠
(٢) البقرة ٢٨٥ ٠
(٣) النساء ١٣٦ ٠
(٤) العنكبوت ٢٦ ٠
(٥) الشعراء ١١١ ٠
(٦) المؤمنون ٤٧ ٠
(٧) يوسف ١٧ ٠
(٨) آل عمران ٧٣ ٠
(٩) رأى بعض الباحثين انهما لغتان يعبر بهما عن معنى واحد ٠
(١٠) هو الامام أبو عبد الله الحسين الحليمى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ، وهو صاحب كتاب « المنهاج فى شعب الايمان » وقد نشرته دار الفكر فى بيروت بتحقيق حلمى محمد فودة نشرة سقيمة للغاية ، والكتاب عظيم القيمة فى بابه ، اعتمد عليه الامام البيهقى اعتمادا كبيرا ، ونقل منه صفحات مطولة فى كتبه المشهورة المتداولة ٠ (ويعد الآن واحد من الباحثين الجادين دراسة مقارنة عن منهج الامامين الحليمى والبيهقى ، باشراف كاتب هذه السطور) ٠

بالنبى : اثباته والاعتراف بنبوته · والايمان للنبى : موافقته والطاعة له » (١) ·

وهكذا ، فان الصلتين موضوعتان لمعنيين مختلفين : ومما يدل على ذلك ويؤكده أن احداهما لا تصلح حيث تصلح الأخرى ؛ فان بنى يعقوب عليه السلام لو قالوا لأبيهم : « **وما أنت بمؤمن بنا** » لما صلح ذلك · ولو قال كفار العرب : « **ولا تؤمنوا الا بمن تبع دينكم** » لما ادى ذلك ما أرادوا من المعنى · وأمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين : « **لن نؤمن لكم** » أى : لن نقبل عذركم ، ولو كان مكانه : « **لن نؤمن بكم** » ما جاز ولا حسن ·

ويترتب على هذه التفرقة أن الاعتراف بالله ، جل جلاله ، لابد أن يسبق ؛ حتى يصح القبول عنه وطاعته وعبادته من بعد ·

والاعتراف بالنبى كذلك لابد من أن يسبق ؛ ثم تكون متابعته والقبول عنه « ولو تجردت المتابعة ـ بفعل ما يأمر به ، والانتهاء عما نهى عنه ـ عن الاعتراف بالنبوة ، لما سلمت ولا نفعت » ·

معنى صدقت بالله وصدقت له :

ولئن كانت حقيقة الايمان هى : التصديق ؛ فيكون : « **التصديق بالله** » يعنى : اثباته والاعتراف بوجوده · « **والتصديق له** » يعنى : قبول شرائعه ، واتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل ، والطاعة له فيها لازمة ، والمحافظة على حدوده ، والثقة بوعده ووعيده ·

وكذلك « **التصديق بالنبى** » غير « **التصديق له** » ؛ فالتصديق به : هو الاعتراف بوجوده وكونه واثباته نبيا · والتصديق له : اتباعه ، وطاعته ، وقبول ما جاء عنه ·

وعلى ذلك فالايمان بالله أو بالنبى : هو ايمان بالدلائل التى دلت عليه ؛ لانه قبول لدلالتها عليهما ، وانقياد لموجبها · وخلاصة المسألة اذن : أن (آمنت بالله) كقولهم « أثبت الله واعترفت به » · وقولهم : « آمنت لله » كقولهم : « خضعت لله » ، والخضوع لله ، معنى غير اثباته ·

آمنت لله وأسلمت لله :

ويقدم (الحليمى) حججاً أخرى على ذلك ؛ من بينها : « أن اسم

---

(١) المنهاج جـ ١ ص ٢١ ·

الاسلام يصلح مكان اسم الايمان عند وصله باللام ، ولا يصلح مكانه عند وصله بالباء ؛ اذ قد يجوز أن يقال : « آمنت لله ، وأسلمت لله » ، ولا يجوز أن يقال : « أسلمت بالله » كما يقال : « آمنت لله » . فثبت بهذا ثبوتا ظاهرا أن الايمان لله ، غير الايمان بالله . وأن (الايمان بالله) : اثباته والاعتراف به . فلما لم يكن من قولهم أسلمت بالله ، هذا المعنى ، لم يجز استعماله . **وأن (الايمان لله) : هو الطواعية له باتباع أوامره ، بعد الاعتراف به »** (١) .

الايمان والاعتقاد :

ويترتب على ما سبق أن (الايمان بالله) يشمل : اثبات الله ، والاعتراف به ، والايمان بالدلائل التى دلت عليه (وهذا هو الاعتقاد) فى صادق معناه .

أما **الايمان مطلقا فهو** يشمل : (الايمان بالله ، ولله) ؛ أو بعبارة أخرى يشمل : الاعتقاد والانقياد باتباع الأمر واجتناب النهى .

وعلى ذلك فالايمان أعم من الاعتقاد ؛ فهو يشمل معناه وحقيقته ويزيد عليها . أى أن (الاعتقاد) جزء من (الايمان) . فالايمان يشمل الاعتقاد وغيره . أما الاعتقاد فيشكل جزءا فقط من مفهوم الايمان ومحتواه . فالايمان أوسع والاعتقاد أضيق . ولربما لم ترد كلمة (عقيدة) أو (اعتقاد) فى القرآن الكريم من أجل ذلك ، والله اعلم واقتداء بالكتاب العزيز وامتثالا لنهجه القويم ، جعلنا عنوان هذه الدراسات : (الايمان) ، ولم نجعلها : (العقيدة) .

طاعات المؤمنين ايمان ،

ومعصية المؤمنين ليست كفرا :

ومن هذا الوجه الذى بيناه ، أوجبنا أن تكون الطاعات كلها .

---

(١) المنهاج جـ ١ ص ٢٤ .

فرائضها ونوافلها ، ايمانا ، ولم نوجب أن تكون المعاصى الواقعة من المؤمنين كفرا ؛ وذلك لأن الكفر بالله أو برسوله ، مقابل الايمان بــه .

فاذا كان الايمان بالله أو برسوله : الاعتراف به والاثبات له ؛ كان الكفر بــه : جحوده ، والنفى له ، والتكذيب به .

فأما الأعمال : فانها ايمان لله ولرسوله بعد وجود الايمان بــه . والمراد به : اقام الطاعة على شرط الاعتراف المتقدم ، فكان **الذى يقابله هو : الشقاق والعصيان دون الكفر** . فلذلك قلنا : **ان تارك الاتباع مع الثبات على التصديق** ، **فاسق وليس بكافر** ، والله أعلم » (١) . ويذكر (الامام أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٤٤ هـ) . « أن الذى عندنا فى هذا الباب كله : أن المعاصى والذنوب لا تزيل ايمانا ، ولا توجب كفرا ، **ولكنها انما تنفى من الايمان حقيقته واخلاصه الذى نعت الله به أهله ،** واشترط عليهم فى مواضع من كتابه » (٢) .

الايمان بالله ورسوله منه خفى وجلى ،

والايمان لله ولرسوله منه خفى وجلى :

« ثم ان التصديق الذى هو معنى الايمان بالله وبرسوله ينقسم ، فيكون منه : ـ ما يخفى وينكتم .. ويكون منه ما يتجلى ويظهر ؛ وأما الذى يخفى فهو : الواقع منه بلقلب ويسمى : (اعتقادا) . وأما الذى يظهر فهو : الواقع باللسان ويسمى : (اقرارا) ويسمى : (شهادة) .

وكذلك الايمان لله ولرسوله ينقسم الى : جلى وخفى ؛ **فالخفى** منه هو النيات والعزائم التى لا تجوز العبادات الا بها ، واعتقــاد الواجب

---

(١) المنهاج ص ٢٤ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام : « كتاب الايمان » ص ٤٠ بتحقيق وتخريج محمد ناصر الــدين الألبــانى ، نشرة المكتب الاســلامى ط ٢ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م وانظر النص رقم (١) ص ٤٧ الذى يشرح فيه أبو عبيد (أن معاصى المؤمنين ليست كفرا يخرج من الملة) .

واجبا ، والمباح مباحا ، والرخصة رخصة ، والمحظور محظورا ، والعبادة عبادة ، والحد حدا ، ونحو ذلك ٠

والجلى : ما يقام بالجوارح اقامة ظاهرة وهو عدة أمور ؛ منها : الطهارة ، ومنها الصلاة ، ومنها الحج ، ومنها العمرة ، ومنها الزكاة ، ومنها الصيام ، ومنها الجهاد فى سبيل الله ، وأمور أخرى سواها ستذكر فى مواضعها ٠ وكل ذلك : « ايمان واسلام وطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم » (١) ٠

الايمان يطلق على : الاعتقاد القلبى ، والاقرار اللسانى ، والعمل الصالح :

ويتحصل من كل ما تقدم أن الانسان بـ (الايمان بالله) ـ الذى يشتمل على : تصديق القلب واللسان معا ، اى أن يعتقد القلب ويقر اللسان بما فى القلب ـ يزايل الكفر ويدخل فى زمرة المؤمنين ٠

لكنه لا يحقق المعنى الكامل للايمان الا اذا (آمن لله) بمعنى اطاعه وخضع لأوامره واجتنب نواهيه ٠

فالمرء بالاعتقاد القلبى والاقرار اللسانى فحسب ، يحقق أدنى درجات الايمان ، أو يحصل اسمه فقط ؛ وهو ايمان فى مقابل الكفر فقط ، ولا يستكمل حقيقة الايمان الا اذا جمع الى ما تقدم : **الايمان لله** ٠

فالايمان يطلق على : الاعتقاد القلبى ، والاقرار اللسانى ، والعمل الصالح معا ؛ فالاعتقاد ايمان ، والاقرار باللسان ايمان ، وكل طاعة ايمان ٠

وقد ذكر ذلك من قبل (أبو عبيد القاسم) فقال ما نصه :

---

(١) المنهاج ص ٢٥ الا انه ايمان لله بمعنى أنه : عبادة له سبحانه ٠ وايمان للرسول بمعنى أنه : قبول عنه ، دون أن يكون عبادة له ، اذ العبادة لا تحق لأحد الا لله عز وجل ٠

« .. الايمان هو درجات ومنازل ، وان كان سمى أهله اسما واحدا ، وانما هو عمل من أعمال تعبد الله به عباده ، وفرضه على جوارحهم ، وجعل أصله فى معرفة القلب ، ثم جعل المنطق شاهدا عليه ، ثم الأعمال مصدقة له ، وانما أعطى الله كل جارحة عملا لم يعطه الأخرى ، **فعمل القلب : الاعتقاد ، وعمل اللسان : القول ، وعمل اليد : التناول ،** وعمل الرجل : المشى . وكلها يجمعها اسم العمل ؛ **فالايمان على هذا التناول انما هو : كله مبنى على العمل من أوله الى آخره** ، الا انه يتفاضل فى الدرجات على ما وصفنا » (١) .

ويذكر أبو عبيد القاسم فى موضع آخر :

أن « الأمر الذى عليه السنة ـ عندنا ـ ما نص عليه علماؤنا ، مما اقتصصناه فى كتابنا هذا : **أن الايمان بالنية ، والقول ، والعمل جميعا .** وأنه درجات بعضها فوق بعض ، الا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى جعله فيه بضعة وسبعين جزءا ، فاذا نطق القائل ، وأقر بما جاء من عند الله ، لزمه اسم الايمان .... ، وكلما ازداد لله طاعة وتقوى ، ازداد به ايمانا » (٢) .

وقال الامام الآجرى ت ٣٦٠ هـ :

« قال محمد بن الحسين : هذا بيان لمن عقل ؛ يعلم أنه لا يصح الدين الا بالتصديق بالقلب ، **والاقرار باللسان ، والعمل بالجوارح مثل :** الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، وما أشبه ذلك » (٣) .

فالعمل جزء من حقيقة الايمان . ومن فهم من قوله تعالى : « ان

---

(١) كتاب الايمان ، ص ٢٨ وانظر اللالكائى : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٤ ص ٨٤٧ ـ ٨٤٨ ، وانظر لابن أبى العز الدمشقى ت ٧٩٢ هـ : « شرح العقيدة الطحاوية » تحقيق شعيب الأرناؤوط ص ٣٢٦ .

(٢) كتاب الايمان ص ١٩ .

(٣) الآجرى : أبو بكر محمد بن الحسين : كتاب (الشريعة) تحقيق محمد حامد الفقى ، تصوير دار الكتب العلمية ببيروت ص ١٠٥ .

الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (١) : أن الايمان شىء ، والعمل الصالح شىء آخر ، وأن العمل الصالح ليس جزءا من الايمان بدليل عطف العمل الصالح على الايمان بالواو كثيرا فى القرآن الكريم فهو واهم · لماذا ؟

لأن الله عز وجل كما قال : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » قال : « **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » (٢) ، ولم يدل ذلك على أن التواصى بالحق وبالصبر ليس من الأعمال الصالحة ، فكذلك قوله عز وجل : « **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » ، لا يدل على أن عمل الصالحات ليس بايمان ·

وقد قال عز وجل : « **يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى نزل من قبل** » (٣) ، فأثبت لهم الايمان مطلقا أولا ، وناداهم باسمه ، ثم أمرهم بالايمان بالرسل والكتب ، ولم يدل ذلك على أن الايمان بالرسل والكتب ليس بالايمان الذى لا تمام للايمان الا به ، فكذلك قوله عز وجل : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » لا يدل على أن عمل الصالحات ليس بالايمان الذى لا كمال للاعتقاد والاقرار الا به ·

وقد قال عز وجل : « **من كان عدو لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** » (٤) ، ولم يدل فصله بينهما وبين الملائكة فى الذكر على أنهما ليسا بملكين ، فكذلك ليس يدل فصله عز وجل بين عمل الصالحات وبين الايمان ، على أن العمل الصالح ليس بايمان ·

ثم المعنى فى ذلك والله أعلم : أن الذين آمنوا أقل الايمان ـ وهو الناقل عن الكفر والمخرج منه ـ ثم لم يقتصروا عليه ، ولكنهم ضموا

---

(١) البقرة ٢٧٧ ، يونس ٩ وفى سور أخرى كثيرة جدا ·
(٢) والعصر ٣ ·
(٣) النساء ١٣٦ ·
(٤) البقرة ٩٨ ·

اليه الصالحات فعملوها ، حتى ارتقى ايمانهم من درجة الأقل الى درجة الأكمل ٠

أو يقال : ان المراد (بالذين آمنوا) : الايمان بالله ٠ (ويعمل الصالحات) : الايمان لله » (١) ٠

الايمان ينقسم الى أصل وفرع ، أو جذر وجذع :

فجذره أو أصله : الاعتقاد والاقرار - وهما عمل واحد له آلتان هما : القلب واللسان - وجذعه أو **الفروع** : هى الطاعات كلها ؛ وانما كانت ايمانا لأن الايمان هو التصديق ، والتصديق - أنواقع بالقلب واللسان - هو الذى يحرك على سائر الطاعات ويدعو اليها ٠ وانما يقع ذلك من المؤمن ، قصدا الى تحقيق القول بالفعل ، وتسوية الظاهر بالباطن ٠

ولا يفهم من ذلك أن الجذع أو الفرع يقل فى قيمته وأهميته عن الأصل ؛ فكل ما فى الأمر أن الاعتقاد والاعتراف يمكن وجودهما فى أنفسهما ؛ فاذا وجدا ، بعثا وحركا على غيرهما من العبادات ، ولا يكون وجود الصلاة مثلا أو الصيام أو الحج من أحد ، مع جحد البارىء جل ثناؤه ، أو جحد الرسول الجائى لهذه الفرائض ، فعلمنا أن الاعتقاد والاعتراف هما الأصل اذ كانا يصحان بأنفسهما ٠ واذا صحا ، استتبعا غيرهما ٠ أما الأعمال فانها فروع لأنها تحتاج الى معنى آخر يثبت قبلها ويستتبعها (٢) ٠

ويجب أن يفهم أن (الأصل والفروع ، أو الجذر والجذع) يشكلان معا (شجرة الايمان) ؛ فليس الأصل وحده ، ولا الفروع وحدها ، تكون (شجرة الايمان) (٣) ٠

---

(١) المنهاج ص ٤١ ٠
(٢) السابق ص ٦٤ - ٦٥ ٠
(٣) ظهرت - فى وقت مبكر جدا من تاريخ الاسلام - جماعة تزعم : **أن الايمان هو المعرفة والاقرار ، وليست الأعمال من الايمان** ، الى أن =

الاسلام والايمان :

الاسلام والايمان : اسمان لدين واحد ، وان كانت حقيقة الاسلام : التسليم ، وحقيقة الايمان : التصديق ؛ فان اختلاف الحقيقة فيهما لا يمنع أن يجعلا اسما لدين واحد . كالغيث والمطر : هما اسمان لمسمى واحد ؛ وان كانت حقيقة الغيث فى اللسان غير حقيقة المطر .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لى خمسة أسماء ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والماحى ، والحاشر ، والعاقب » (١) .

ومعلوم أن لكل اسم من هذه الأسماء الخمسة معنى وحقيقة سوى الذى هو فيها لغيره ، ثم لم يمنع ذلك من أن يكون اسما لمسمى واحد . فكذلك الاسلام والايمان .

ثم أن بين حقيقة اسم الايمان ، وحقيقة اسم الاسلام من التناسب ما ليس بين حقائق هذه الأسامى التى وقع الاستشهاد بها ، لأن الايمان

=

قالوا : كل مؤمن وان عمل ما عمل من المعاصى ، فايمانه كايمان أكثر الناس طاعة وأشدهم اجتهادا فى العبادة . (انظر : المنهاج ص ٨٥ وما بعدها ، وكتاب (الايمان) ص ٢٧ - ٣٥ ، وكتاب (الشريعة) ص ١١٩ وما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبى العز الحريرى ، تحقيق شعيب الأرناؤوط) . وهؤلاء هم (المرجئة) . وقد فرض هذا الاتجاه على علماء المسلمين واجب الرد والدحض والتفنيد ، واستنفذ منهم جهودا كبرى ، وصرفهم عن أعمال حقيقية مثمرة .

- وفى الواقع ان أصول هذه الفرقة فى (مسيحية بولس) . بولس الذى يزعم أن الانسان (يتبرر) أى : ينجو بالايمان أى بالاعتقاد فقط ، دون الأعمال . انظر فى هذا : (أعمال الحواريين) ورسائل بولس ، وانظر للباحث (وهيب أحمد البكرى : (بولس ودوره فى تحريف النصرانية) رسالة ماجستير باشراف كاتب هذه السطور . بكلية الدعوة بالرياض ؛ وهذه النقطة تحتاج الى مزيد دراسة ومقارنة .

(١) صحيح البخارى (المناقب) ، وفى مسلم : (الفضائل رقم ١٢٤ ، ١٢٥) .

اذاكان هو التصديق بالله ، والتصديق بالله يقتضى الايمان لـه بالطاعة ، وذلك هو الاسلام . والاسلام له ، لا يكون الا مع التصديق . فاما التكذيب فانه من موانع الاسلام ، .. فصح أن الاسلام ايمان ، والايمان اسلام (١) .

فان قيل : فان كان هذا هكذا ! فلم فصل فى الحديث بين الاسلام والايمان ، فى سؤالات جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى قول الله تعالى : « **ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** » (٢) . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت » (٣) .

قيل : وقد فصل بينهما وبين الاحسان ، أفيدل ذلك على أن الايمان والاسلام ليسا باحسان ؟

وانما فصل بينهما - والله أعلم - لأنه أريد بالحديث : (الايمان الناقل عن الكفر ، والايمان التابع له) . فسمى أسبق الايمانين : ايمانا بالاطلاق ، وآخرهما : اسلاما .

أو يقال : فصل بين صريح التصديق وبين أماراته ؛ فسمى صريحه : ايمانا ، وسميت أماراته : اسلاما .

أو يقال : فصل بين ما هو (ايمـان بالله) ، وما هو (ايمـان لله) ؛ فسمى الايمان بالله : ايمانا باطلاق . وسمى الايمانَ لله : اسلاما . والا فالاسمان موضوعان لدين واحد (٤) .

كما أن الايمان : ما بطن ، والاسلام : ما ظهر . ثم هما جميعاً

---

(١) المنهاج ص ٤٣ .
(٢) الأحزاب ٣٥ .
(٣) قطعة من حديث أخرجه البخارى فى التهجد ، وفى التوحيد ، رواه مسلم (٧٦٩) فى صلاة المسافرين وقصرهـا : باب الدعاء فى صلاة الليل ، ومالك ٢١٥/١ ، وابن ماجة (١٣٥٥) ، والدارمى ٣٤٩/١ ، وأحمد ٢٩٨/١ ، ٣٥٨ من حديث ابن عباس .
(٤) المنهاج ص ٤٤ .

ايمان ؛ لأنه لا صحة للباطن الا بالظاهر ، ولا للظاهر الا بالباطن ، وهما جميعا اسلام ؛ لأن كل واحد من تقويم الظاهر والباطن ، اذعان لله وخضوع ، ولا يكون ذلك الا مع التصديق ٠

وحل المسألة : أن لفظى (الايمان والاسلام) اما أن يذكرا فى الكلام مجتمعين أو منفردين ٠ فان جمعا فى الكلام ، انصرف الايمان الى الاعتقاد القلبى ، أو ما بطن من عمل ، وانصرف الاسلام الى اعمال الطاعات واجتناب المنهيات ؛ أى ما ظهر من عمل ٠

واذا انفرد أحدهما بالذكر شمل معنى الآخر وحكمه ، مثل قوله تعالى : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** (١) وقوله : **« ان الدين عند الله الاسلام »** ، وقوله : **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه »** (٢) ٠ فالاسلام هنا ، لأنه أفرد بالذكر : يشمل : الاعتقاد والأعمال الظاهرة ٠

يذكر ابن أبى العز الدمشقى :

الحاصل أن حالة اقتران الاسلام بالايمان ، غير حالة افراد أحدهما عن الآخر ، فمثل الاسلام من الايمان (والعكس) ، كمثل الشهادتين من الأخرى ؛ فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية ، فهما شيئان فى الأعيان ٠

واحداهما مرتبطة بالأخرى فى المعنى والحكم كشىء واحد ٠ وكذلك الاسلام والايمان ؛ فلا ايمان لمن لا اسلام له ، ولا اسلام لمن لا ايمان له ؛ اذ لا يخلو المؤمن من اسلام يتحقق به ايمانه ، ولا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه (٣) ٠

---

(١) المائد ٣ ٠
(٢) آل عمران ٨٥ ٠
(٣) شرح الطحاوية ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ٠

زيادة الايمان ونقصانه :

قال تعالى : « **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** » (١) .

وقال سبحانه : « **واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا** » (٢) .

وقال : « **واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا** » (٣) « **ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا** » (٤) .

فثبت بهذه الآيات أن الايمان قابل للزيادة .

ومما يدل على أن الايمان يزيد وينقص قول النبى صلى الله عليه وسلم للنساء : « انكن ناقصات عقل ودين ، فقلن يا رسول الله : ما نقصان عقلنا وديننا ؟ قال : أما نقصان دينكن ، فهو أن الواحدة منكن تجلس نصف دهرها لا تصلى . وأما نقصان عقلكن فهو : أن شهادة اثنتين منكن عدلت شهادة واحدة » (٥) .

« فاذا كانت المرأة لنقصان صلاتها عن صلاة الرجال تكون أنقص دينا منهم ، مع أنها غير جانية بترك ما تترك من الصلاة ، أفلا يكون الجانى بترك الصلوات أنقص دينا من المقيم المواظب ؟ » (٦) .

ويذكر الامام أبو الحسن الاشعرى (ت ٣٢٤ هـ) أن علماء أهل السنة والجماعة قد « أجمعوا على أن الايمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وليس نقصانه عندنا شكا فيما أمرنا بالتصديق به ، ولا جهلا به ؛ لأن ذلك كفر . وانما هو نقصان فى مرتبة العلم وزيادة البيان ، كما

---

(١) سورة الفتح ٤ .
(٢) سورة الأنفال ٢ .
(٣) التوبة ١٢٤ .
(٤) المدثر ٣١ .
(٥) ورد فى البخارى (كتاب الحيض) وفى مسند الامام أحمد .
(٦) المنهاج ص ٦٣ .

يحتلف ورن طاعتنا وطاعة النبى صلى الله وسلم ، وان كنا مؤديين للواجب علينا » (١) ٠

والحق ما ذكره الامام الأشعرى من اجماع أهل السنة والجماعة على ان الايمان يريد بالطاعات وينقص بالمعاصى ؛ ذكر ذلك كبار أهل العلم ، وقد أشرنا الى مواصعه فى مؤلفات بعضهم فى الحاشية (٢) ٠

اما الاختلاف الدى وقع بين قلة من العلماء فى هذه المسألة فهو ينحل الى حلاف لفظى صورى ؛ لو حددت فيه مصطلحات كل فريق لما بقى هناك خلاف ٠ وقد ناقش (الحاكم الحليمى) شبه من قد يعترض على زيادة الايمان بالأعمال الصالحة ، ونقصانه بالمعاصى ، وفندها ، وفرع منها (المنهاج جـ ١ ص ٥٥ - ٦٤) ٠ ومما يذكر أن الفخر الرازى

---

(١) **الامام الأشعرى** : « اصول أهل السنة والجماعة ؛ المسماة برسالة أهل الثغر » ص ٩٣ ، بتحقيق الدكتور محمد السيد الجليذ ، مطبعة التقدم بمصر ١٩٨٧ م ٠

(٢) انظر : **لابن ابى شيبة : الحافظ ابى بكر المتوفى سنة ٢٣٥ هـ** كتابه : (الايمان) ص ٤٦ بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، نشر دار الأرقم بالكويت - وانظر اللالكائى : (شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) خصوصا ما رواه من اعتقادات الأئمة (الثورى ، والأوزاعى ، وابن عينية ، وأحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى ، وأبى ثور ، والبخارى ، وأبى زرعة ، وأبى حاتم ، والتسترى ، وابن جرير الطبرى ص ١٥١ - ١٩٣ جـ ٢) ٠

- وانظر **الفصل الذى كتبه ابو عبيد القاسم بن سلام بعنوان** (باب الزيادة فى الايمان والانتقاص منه) ص ٢٤ - ٢٦ من كتاب الايمان ٠

- وانظر **للصابونى : أبى عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن :** (عقيدة السلف أصحاب الحديث) ص ٥٧ ضمن مجموع رسائل فى العقيدة بعنوان (عقائد الفرقة الناجية) اعداد عبد الله حجاج ، نشر شركة السلام العالمية بالقاهرة ٠

- وانظر **للامام أبى بكر محمد بن الحسين الآجرى** : (الشريعة) باب : ذكر ما دل على زيادة الايمان ونقصانه ، ص ١١١ - ١١٨ ٠

=

(ت ٦٠٦ هـ) لا يرى أن الايمان يزيد أو ينقص ؛ لكنه يرى أن هذ االبحث والخلاف فيه لغوى شكلى لا حقيقى (١) .

/

=

- وانظر **لابن بطة العكبرى ت ٣٨٧ هـ** كتاب (الشرح والابانة على أصول أهل السنة والديانة) ص ١٧٨ وما بعدها ، بتحقيق الدكتور رضا نعسان معطى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - الفيصلية بمكة .

- وانظر **لابن تيمية** : (العقيدة الواسطية) وشرحها للاستاذ محمد خليل هراس ، توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

- وانظر **لابن أبى العز الدمشقى** : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٢ ومـا بعدها .

- وانظر **للباقلانى أبى بكر بن الطيب ت ٤٠٣ هـ** كتابه : (الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به) ص ٧٥ وما بعدها ، بتحقيق زاهد الكوثرى ، مؤسسة الخانجى ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م .

- وانظر **لشمس الدين السمرقندى كتابه** : (الصحائف الالهيـة) ص ٤٥٤ - وما بعدها) بتحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف ، نشر مكتبة الفلاح بالكويت ، ط ١ .

- وانظر **لابن قائد النجدى كتابه** : (نجاة الخلف فى اعتقاد السلف) ص ٧٦ ، بتحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمى . نشر الصحوة بالقاهرة .

(١) **الفخر الرازى** : (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين) ص ٣٤٩ نشر دار الكتاب اللبنانى .

ملحق (١)

عدم تكفير المؤمنين بالذنوب والمعاصى

هذه مسألة تشتد الحاجة الى تبيانها فى أيامنا هذه ؛ لأن كثيرين قد غلطوا فيها ، وتجرأوا على الحكم على المؤمنين بالكفر ؛ بارتكابهم بعض الذنوب والمعاصى ٠ وقد استند هؤلاء الى نصوص وآثار من الكتاب الحكيم والسنة المطهرة لم يفهموها على وجهها ، ولم يفطنوا الى دلالتها الحقيقية ٠

وقد ابتليت الأمة الاسلامية بمثل هؤلاء - من قبل - ، وقد تصدى لهم أعيان علماء الأمة وسلفها الصالح ؛ شارحين النصوص ؛ مبينين الدلالات ، كاشفين المقاصد والأحكام ؛ وسنسوق فيما يلى نصين : أحدهما موجز للامام الحاكم الحليمى ، والآخر للامام أبى عبيد القاسم بن سلام ، يظهران جلية الأمر فى هذا ، وما ينبغى أن يفهم من مثل هذه النصوص ، وما يترتب عليها من أحكام ٠

- ١ -

يقول الحليمى :

« فان قال قائل : لو كانت الطاعات كلها ايمانا - يعنى داخلة فى مسمى الايمان - ، لوجب أن يكون تركها كفرا » ٠

فالجواب : وبالله التوفيق - ان الطاعات كلها ايمان بشرط أن تكون موجودة فى الايمان ، والطاعة - فى الايمان - ايمان ٠ **ومتى جعلنا فعل الطاعة بشرط التمسك بالايمان - ايمانا لم يلزمنا أن نجعل تركها وحدها كفرا ؛ لأن تركها وحدها ليس بضد لمجموع الفعل وقرينه ٠ فان هو ترك الفعل وقرينه - بان جحد وجوبه ، أو جحد الآمر به ، أو المبلغ له - لم ينكر أن يكون ذلك كفرا منه (١) ٠**

---

(١) المنهاج : ص ٤٧٠

فان قيل : فان لم تكن معاصى المؤمن من فروع الكفر ، فما هى ؟

قيل : ليس بواجب أن تكون المعصية فرعا للكفر ؛ لأن العصيان - كما ذكرنا - : مفارقة الأمر ، وليس الداعى الى مفارقة الأمر الكفر وحده ؛ ولو كان ذلك كذلك لاستحال وجود معصية من المؤمن .

ولكن الهوى وحب الشهوات داع الى المعصية ، كما أن الكفر داع اليها . وانما توجد المعصية من المؤمن اجابة منه للهوى ، وميلا منه الى قضاء شهوته ، **وليست تقع منه قصدا الى مخالفة البارى جل ثناؤه . ولو وقعت لهذا لكانت كفرا .**

فأما الطاعة فلا داعى اليها الا تعظيم الأمر وابتغاء مرضاته ، ولهذا لم يصح وجودهما من الكافر ، فلهذا كانت طاعة المؤمن كلها فروعا لايمانه ، ولم تكن معاصيه كفرا ولا من فروع الكفر » (١) .

- ٢ -

وبعد هذا التحليل العقلى الذى ينتهى منه الحليمى الى أن المؤمن لا يكفر بمعصية ، ولا يعد عصيانه من فروع الكفر ، ننتقل الى تحليل الامام أبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤ هـ ، للنصوص والآثار الواردة فى التغليظ على ذنوب المؤمنين ، ووصفها بأوصاف شديدة ، يقع ، من لم يفهمها على حقيقتها ، فى تكفير المؤمنين .

قال ابو عبيد : أما هذا الذى فيه ذكر الذنوب والجرائم ، فان الآثار جاءت بالتغليظ على أربعة أنواع :

- فاثنان منها فيها : **نفى الايمان** ، **والبراءة من النبى صلى الله عليه وسلم .**

- والآخران فيها : **تسمية الكفر وذكر الشرك** ، وكل نوع من هذه **الأربعة تجمع أحاديث ذوات عدة .**

---

(١) ص ٧٠ .

فمن النوع الذى فيه نفى الايمان حديث النبى صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الرجل حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن » (١) وقوله **« ما هو بمؤمن من لا يامن جاره غوائله » (٢)** وقوله « الايمان قيد الفتك (٣) ، لا يفتك مؤمن » وقوله « لا يبغض الانصار أحد يؤمن بالله ورسوله » (٤) .

ومنه قوله « والذى نفسى بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا » (٥) وكذلك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « اياكم والكذب فانه يجانب الايمان » (٦) . وقول عمر رضى الله عنه : « لا ايمان لمن لا أمانة له » (٧) وقول ابن عمر (٨) « لا يبلغ أحد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا ، ويدع المزاحة فى الكذب » .

ومن النوع الذى فيه البراءة : قول النبى صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » (٩) وكذلك قوله « ليس منا من حمل السلاح علينا » (١٠) .

---

(١) أخرجه الشيخان وابن أبى شيبة فى « الايمان » رقم (٣٨و٧٢) .

(٢) أى المهالك ، وهو جمع غائلة .

(٣) أى يمنع من الفتك الذى هو القتل بعد الأمان غدرا ، أى كما يمنع القيد من التصرف ، يمنع الايمان من الغدر . والحديث أخرجه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة ، وأبو داود عن معاوية . وأحمد عن الزبير .

(٤ ، ٥) حديثان صحيحان ، أخرجهما مسلم من حديث أبى هريرة ، وأخرج أيضا الأول منها من حديث أبى سعيد أيضا .

(٦) أخرجه أحمد فى « مسنده » (١/٥) موقوفا عليه بسند صحيح .

(٧) هذا صح مرفوعا من حديث أنس ، انظر الحديث (٧) من « الايمان » لابن أبى شيبة .

(٨) لم أره من قول ابن عمر ، وقد رواه أبو يعلى من حديث أبيه عمر مرفوعا بسند فيه نظر . انظر « الترغيب » (٤/٢٨) ، ورواه أحمد من حديث أبى هريرة مرفوعا .

(٩ ، ١٠) أخرجهما مسلم من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ « من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » . وأخرج الشطر الأول منه من حديث ابن عمر وأبى موسى أيضا .

وكذلك قوله « ليس منا من لم يرحم صغيرنا » (١) وأشياء من هذا القبيل .

ومن النوع الذى فيه تسمية الكفر : قول النبى صلى الله عليه وسلم حين مطروا فقال : « أتدرون ما قال ربكم ؟ قال : أصبح من عبادى مؤمن وكافر ، فأما الذى يقول : مطرنا بنجم كذا وكذا ، كافر بى مؤمن بالكوكب ، والذى يقول : هذا رزق الله ورحمته مؤمن بى وكافر بالكوكب » (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » (٣) وقوله : « من قال لصاحبه كافر فقد باء به أحدهما » (٤) وقوله : « من أتى ساحرا أو كاهنا فصدقه بما يقول ، أو أتى حائضا أو امرأة فى دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (٥) » . وقول عبد الله : (٦) « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر » ، وبعضهم يرفعه .

ومن النوع الذى فيه ذكر الشرك : قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الأصغر ؛ قيل : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء » (٧) ومنه قوله : « الطيرة شرك ، وما منا

---

(١) أخرجه أحمد من حديث ابن عمر مرفوعا وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

(٢) متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله ، رواه البخارى من

(٣) متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهنى .

حديث ابن عمر ، وابن عباس وأبى بكر رضى الله عنهم أجمعين .

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٥) الحديث صحيح الاسناد من حديث أبى هريرة ، وقد خرجه الألبانى فى « آداب الزفاف » ص (٢٩) لكن ليس فيه ذكر الساحر .

(٦) وهكذا مرفوعا أخرجه مسلم فى « صحيحه » (٥٨/١) .

(٧) أخرجه أحمد (٤٢٨/٥ ـ ٤٢٩) عن محمد بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكره وزاد « قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة اذا جازى الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » . ورجاله ثقات لكن اختلفوا فى صحبة محمد بن لبيد .

الا (١) ولكن الله يذهبه بالتوكل » وقول عبد الله فى التمائم والتولة (٢) : « انها من الشرك » .

فهذه أربعة أنواع من الحديث ، قد كان الناس فيها على أربعة اصناف من التأويل :

- فطائفة تذهب الى كفر النعمة .
- وثانية تحملها على التغليظ والترهيب .
- وثالثة تجعلها كفر أهل الردة .
- ورابعة تذهبها كلها وتردها .

فكل هذه الوجوه عندنا مردودة غير مقبولة ، لما يدخلها من الخلل والفساد . **والذى يرد المذهب الأول :** ما نعرفه من كلام العرب ولغاتها ، وذلك أنهم لا يعرفون كفران النعم الا بالجحد لانعام الله وآلائه وهو كالمخبر على نفسه بالعدم ، وقد وهب الله له الثروة ، أو بالسقم ، وقد من الله عليه بالسلامة . وكذلك ما يكون من كتمان المحاسن ونشر المصائب ، فهذا الذى تسميه العرب كفرانا ان كان ذلك فيما بينهما وبين الله ، أو كان من بعضهم لبعض اذا تناكروا اصطناع المعروف عندهم وتجاحدوه . ينبئك عن ذلك مقالة النبى صلى الله عليه وسلم للنساء : « انكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعنى الزوج وذلك أن تغضب احداكن فتقول : ما

---

(١) يعنى الا ويعتريه شىء من الوهم .
والحديث أخرجه الاربعة وغيرهم من حديث ابن مسعود بسند صحيح .
(٢) بكسر التاء وفتح الواو ، ما يحبب المرأة الى زوجها من السحر وغيره . قال ابن الاثير : « جعله من الشرك لاعتقادهم ان ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى » . والحديث أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد من طريقين عن ابن مسعود مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » ، واسناد الحاكم صحيح كما بينه الألبانى فى « السلسلة » .

رأيت منك خيرا قط » (١) • فهذا ما فى كفر النعمة •

وأما القول الثانى المحمول على التغليظ فمن أفظع ما تأول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه وعيدا لا حقيقة له • وهذا يؤول الى ابطال العقاب ، لأنه ان أمكن ذلك فى واحد منها ، كان ممكنا فى العقوبات كلها •

وأما الثالث الذى بلغ به كفر الردة نفسها ، فهو شر من الذى قبله ، لأنه مذهب الخوارج الذين مرقوا من الدين بالتأويل ، فكفروا الناس بصغار الذنوب وكبارها ، وقد علمت ما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المروق وما أذن فيهم من سفك دمائهم (٢) •

ثم قد وجدنا الله تبارك وتعالى يكذب مقالتهم ، وذلك أنه حكم فى السارق بقطع اليد ، وفى الزانى والقاذف بالجلد ، ولو كان الذنب بكفر صاحبه ، ما كان الحكم على هؤلاء الا القتل ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بدل دينه فاقتلوه » (٣) أفلا ترى أنهم لو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد ؟ وكذلك قول الله فيمن قتل مظلوما : (فقد جعلنا لوليه سلطانا) (٤) ، فلو كان القتل كفرا ما كان للولى عفو ولا أخذ دية ، ولزمه القتل •

وأما القول الرابع الذى فيه تضعيف هذه الآثار ، فليس مذهب من يعتد بقوله ، فلا يلتفت اليه ، انما هو أحتجاج أهل الأهواء والبدع الذين

---

(١) أخرجه الشيخان عن ابن عباس •

(٢) يشير الى حديث على رضى الله عنه مرفوعا : « سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الاسنان ، سفهاء الاحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة • متفق عليه •

(٣) أخرجه البخارى وأصحاب السنن من حديث ابن عباس مرفوعا • وأحمد (٥/٢٣١) من حديث معاذ ، واسناده صحيح على شرط الشيخين •

(٤) الاسراء — ٣٣ •

قصر عملهم عن الاتساع ، وعييت أذهانهم عن وجوهها ، فلم يجدوا شيئا أهون عليهم من أن يقولوا : متناقضة فابطلوها كلها !

وان الذى عندنا فى هذا الباب كله : أن المعاصى والذنوب لا تزيل ايمانا ، ولا توجب كفرا ، ولكنها انما تنفى من الايمان حقيقته واخلاصه الذى نعت الله به أهله ، واشترطه عليهم فى مواضع من كتابه فقال (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله) الى قوله : (التائبون العابدون الحامدون الراكعون السائحون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) (١) ٠

وقال : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الى قوله (والذين هم على صلواتهم يحافظون ٠ أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) (٢) وقال : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ٠ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ٠ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (٣) ٠

قال أبو عبيد : فهذه الآيات التى شرحت وابانت شرائعه المفروضة على أهله ، ونفت عنه المعاصى كلها ، ثم فسرته السنة بالأحاديث التى فيها خلال الايمان فى الباب الذى فى صدر هذا الكتاب (٤) ، **فلما خالطت هذه المعاصى هذا الايمان المنعوت بغيرها ، قيل ليس هذا من الشرائط التى أخذها الله على المؤمنين ولا الأمانات التى يعرف بها انه الايمان ، فنفت عنهم حينئذ حقيقته ، ولم يزل عنهم اسمه ٠**

---

(١) التوبة ١١٢ ـ ١١٣ ٠
(٢) المؤمنون ١ ـ ١١ ٠
(٣) الأنفال ٢ ـ ٤
(٤) يقصد الباب الأول من كتاب (الايمان) بعنوان : (باب نعت الايمان فى استكماله ودرجاته) ٠

فان قال قائل : كيف يجوز أن يقال ليس بمؤمن ، واسم الايمان غير زائل عنه ؟ قيل هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر فى ازالة العمل عن عامله اذا كان عمله على غير حقيقته . الا ترى انهم يقولون للصانع اذا كان ليس بمحكم لعمله : ما صنعت شيئا ولا عملت عملا ، وانما وقع معناهم هاهنا على نفى التجويد ، لا على الصنعة نفسها ، فهو عندهم عامل بالاسم ، وغير عامل فى الاتقان ، حتى تكلموا به فيما هو أكثر من هذا ، وذلك كرجل يعتق أباه ويبلغ منه الأذى فيقال : ما هو بولده ، وهم يعلمون أنه ابن صلبه . ثم يقال مثله فى الأخ والزوجة والمملوك . وانما مذهبهم فى هذا المزايلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر .

واما النكاح والرق والأنساب ، فعلى ما كانت عليه أماكنها وأسماؤها ، فكذلك هذه الذنوب التى ينفى بها الايمان ، انما أحبطت الحقائق منه والشرائع التى هى من صفاته ، فأما الأسماء فعلى ما كانت قبل ذلك ، ولا يقال لهم الا مؤمنون ، وبه الحكم عليهم .

وقد وجدنا مع هذا شواهد لقولنا من التنزيل والسنة .

فأما التنزيل فقول الله جل ثناؤه فى أهل الكتاب حين قال : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) .

- قال أبو عبيد : حدثنا الأشجعى عن مالك بن مغول عن الشعبى فى هذه الآية قال :

« اما انه كان بين أيديهم ، ولكن نبذوا العمل به » .

ثم أحل الله لنا ذبائحهم ونكاح نسائهم ، فحكم لهم بحكم الكتاب اذا كانوا به مقرين ، وله منتحلين ، فهم بالأحكام والأسماء فى الكتاب داخلون ، وهم لها بالحقائق مفارقون ، فهذا ما فى القرآن .

وأما السنة فحديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى يحدث به

رفاعة (١) ، فى الأعرابى الذى صلى صلاة ، فخففها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارجع فصل فانك لم تصل » حتى فعلها مرارا كل ذلك يقول : « فصل » وهو قد رآه يصليها ، أفلست ترى أنه مصل بالاسم وغير مصل بالحقيقة ، وكذلك فى المرأة العاصية لزوجها ، والعبد الآبق ، والمصلى بالقوم الكارهين له ، أنها غير مقبولة . ومنه حديث عبد الله بن عمر فى شارب الخمر « أنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة » (٢) .

قال أبو عبيد : فهذه الآثار كلها وما كان مضاهيا لها فهو عندى على ما فسرته لك ، **وكذلك الأحاديث التى فيها البراءة** فهى مثل قوله : من فعل كذا وكذا فليس منا ، **لا نرى شيئا منها يكون معناه البرؤ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من ملته ، انما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ، ولا من المقتدين بنا ، ولا من المحافظين على شرائعنا** . وقد كان سفيان بن عيينة يتأول قوله « ليس منا » **ليس مثلنا** ، وكان يرويه عن غيره أيضا ، فهذا التأويل وان كان الذى قاله اماما من أئمة العلم فانى لا أراه ، من أجل أنه اذا جعل من فعل ذلك ليس مثل النبى صلى الله عليه وسلم ، لزمه أن يصير من يفعله مثل النبى صلى الله عليه وسلم ، والا فلا فرق بين الفاعل والتارك . وليس له صلى الله عليه وسلم عديل ولا مثل من فاعل ذلك ولا تاركه .

---

(١) هو رفاعة بن رافع الزرقى وحديثه المذكور أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى . وهو مخرج فى كتاب الألبانى ، « ارواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل » يسر الله اتمامه . وأخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبى هريرة بنحوه .

(٢) أخرجه أحمد (٣٥/٢) من حديث ابن عمر مرفوعا بلفظ « من شرب الخمر ، لم تقبل صلاته أربعين ليلة » ورجاله ثقات وحسنة الترمذى ، وأحمد (١٩٧/٢) من حديث ابن عمر واسناده صحيح ، ابن حبان (١٣٧٨) .

فهذا ما فى نفى الايمان ، وفى البراءة من النبى صلى الله عليه وسلم انما أحدهما من الآخر واليه يؤول .

وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصى ، فان معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرا ولا شركا يزيلان الايمان عن صاحبه ، انما وجوهها : أنها من الأخلاق والسنن التى عليها الكفار والمشركون ، وقد وجدنا لهذين النوعين من الدلائل فى الكتاب والسنة نحوا مما وجدنا فى النوعين الأولين .

وأما الذى فى السنة ، فقول النبى صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الأصغر » (١) فقد فسر لك بقوله (الأصغر) أن هاهنا شركا سوى الذى يكون به صاحبه مشركا بالله ، ومنه قول عبد الله « الربا بضعة وستون بابا ، والشرك مثل ذلك » (٢) ، فقد أخبرك أن فى الذنوب أنواعا كثيرة تسمى بهذا الاسم ، وهى غير الاشراك التى يتخذ فيها مع الله اله غيره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، **فليس لهذه الأبواب عندنا وجوه الا أنها أخلاق المشركين وتسميتهم وسننهم وأحكامهم ونحو ذلك من أمورهم .**

وأما الفرقان الشاهد عليه فى التنزيل فقول الله جل وعز : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون)** (٣) وقال ابن عباس : « ليس بكفر ينقل عن الملة » (٤) . وقال عطاء بن بى رباح : « كفر دون كفر » .

---

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه البزار من حديث ابن مسعود مرفوعا بسند رجاله رجال الصحيح كما قال المنذرى والهيثمى .

وهو عند ابن ماجه دون ذكر الشرك ، وسنده صحيح .

(٣) المائدة ٤٤ .

(٤) الأصل (ملة) والتصويب من (مستدرك الحاكم) ، وقد أخرجه

فقد تبين لنا أنه كفر ليس بناقل عن ملة الاسلام ، وأن الدين باق على حاله وان خالطه ذنوب ، فلا معنى له الا خلاف الكفار وسنتهم ، على ما أعلمتك من الشرك سواء ، لأن من سنن الكفار الحكم بغير ما انزل الله ، ألا تسمع قوله (أفحكم الجاهلية يبغون) (١) .

تاويله عند أهل التفسير أن من حكم بغير ما انزل الله وهو على ملة الاسلام ، كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية انما هو أن أهل الجاهلية كذلك كانوا يحكمون ، وهكذا قوله « **ثلاثة من أمر الجاهلية الطعن فى الأنساب والنياحة والأنواء**) (٢) . وكذلك الحديث « آية المنافق [ثلاث] اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » (٣) .

ليس وجوه هذه الآثار كلها من الذنوب ، أن راكبها يكون جاهلا ولا كافرا ولا منافقا وهو مؤمن بالله وما جاء من عنده ، ومؤد لفرائضه ، **ولكن معناها انها تتبين من أفعال الكفار محرمة منهى (٤) عنها فى الكتاب وفى السنة ليتحاماها المسلمون ويتجنبوها فلا يتشبهوا بشىء من أخلاقهم ولا شرائعهم . ولقد روى فى بعض الحديث** فى المرأة اذا استعطرت ثم مرت بقوم يوجد ريحها « أنها زانية » فهل يكون هذا على الزنا الذى تجب فيه الحدود ؟ ومثله قوله : « **المستبان شيطانان**

=

(٣١٣/٢) من طريق طاوس عن ابن عباس وصححه هو والذهبى .

(١) المائدة ٥٠ .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخارى فى « التاريخ » والطبرانى فى « الكبير » (٢/١٠٥/١) عن جنادة بن مالك ، والبزار عن عمرو بن عوف ، وابن جرير عن أبى هريرة وعن أنس بن مالك ، وعنه أبو يعلى أيضا باختصار باسناد قوى كما فى « الفتح » (١٢/٣٧) وهو فى البخارى عن ابن عباس موقوفا عليه .

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٤) كذا الاصل ، ولا يخلو من شىء .

(٥) حديث صحيح ، أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى « صحاحهم » عن أبى موسى الاشعرى مرفوعا بلفظ : « أيما امرأة

يتهاتران ويتكاذبان » . افيتهم عليه انه أراد الشياطين الذين هم أولاد أبليس ؟! انما هذا كله على ما أعلمتك من الأفعال والأخلاق والسنن . وكذلك كل ما كان فيه ذكر كفر أو شرك لأهل القبلة ، فهو عندنا على هذا ، **ولا يجب اسم الكفر والشرك الذى تزول به أحكام الاسلام ويلحق صاحبه للردة « الا بكلمة الكفر خاصة دون غيرها » وبذلك جاءت** الآثار مفسرة .

قال أبو عبيد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان قال :

« جاورت مع جابر بن عبد الله بمكة ستة أشهر ، فسأله رجل : **هل كنتم تسمون أحدا من أهل القبلة كافرا ؟ فقال : معاذ الله ! قال : فهل تسمونه مشركا ؟ قال : لا » (١) .**

استعطرت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية ، وكل عين زانية » .

وأخرجه بنحوه أبو داود والترمذى وصححه .

(١) اسناده صحيح على شرط مسلم .

القسم الثانى

أصول الايمان ؛ وتشمل :

١ ـ الايمان بالله تعالى .

٢ ـ الايمان بالملائكة .

٣ ـ الايمان بالكتب .

٤ ـ الايمان بالرسل .

٥ ـ الايمان باليوم الآخر .

٦ ـ الايمان بالقدر .

(مــدخل)

أصول الايمان هى : العقائد ، والعقائد هى الأمور التى يجب أن يصدق بها قلبك ، وتطمئن اليها نفسك ، وتكون يقينا عندك لا يمازحه ريب ، ولا يخالطه شك .

أى أن تتمكن هذه العقائد من كينونة الانسان فتبعثه - من ثم - ، وتحركه الى العمل - فى واقع نفسه وواقع الحياة - بمقتضاها ؛ ومقتضى هذه العقيدة : العمل الصالح : « **الذين آمنــوا وعملوا الصالحــات** » ، « **الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** » . والعمل الصالح باب واسع يتلخص فى طاعة الله بفعل ما طلب ورغب وأمر ، واجتناب ما كره ونهى وبغض .

والعلاقة بين **الاعتقاد والعمل الصالح ، علاقة تبادل وتأثر وتأثير ؛** فكلما قويت العقيدة ورسخت فى القلب أثمرت مزيدا من العمل الصالح . وكلما أحسن المؤمن عبادته ، واجتهد فى طاعة ربه والتعرف عليه ، وتحصيل الأعمال الصالحة أثمر ذلك زيادة فى الايمان ، وثباتا وتمكنا فى الاعتقاد .

كما ان وضوح الأدلة ، وتمكنها فى النفوس لها أثرها فى قوة الاعتقاد ، ذلك أن الناس أمام العقائد الايمانية ليسوا سواء ؛ فمنهم من تلقاها تلقينا واعتقدها عادة ووراثة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك اذا عرضت له الشبهات ؛ ومنهم من نظر وفكر فازداد ايمانه ، وقوى يقينه ؛ ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر ، واستعان بطاعة الله تعالى ، وامتثال أمره ، واحسان عبادته ، فأشرقت مصابيح الهداية فى قلبه ، فرأى بنور بصيرته ما أكمل ايمانه ، وأتم يقينه ، وثبت فؤاده : « **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** » (١) .

وأساس العقائد الاسلامية ومصدرها الوحى : كتــاب الله تعــالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويجب أن تعلم - مع ذلك - أن كل هذه العقائد يؤيدها العقل السوى ، ويثبتها النظر الصحيح ؛ ولهذا شرف الله العقل بالخطاب ، وجعله منــاط التكليف ، وندبه واستجاشــه الى البحث والنظر والتفكر . قال تعالى :

---

(١) سورة محمد ، صلى الله عليه وسلم / ١٧ .

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض ، وما تعنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (١) .

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لهـا من فروج ، والأرض مددناها ، والقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها مـن من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السـماء ماء مباركا فانبتنا به جنـات وحب الحصـيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ؛ رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » (٢) .

وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون ، فقال :

« وكاين من آية فى السـموات والأرض يمرون عليهـا وهم عنهـا معرضون » (٣) .

وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ، تقديرا للأدلة ، واظهارا لشرف الحجة والبينة . وقد ورد فى الحديث أن بلالا جاء النبى صلى الله عليه وسلم يؤذنه بصلاة الصبح ، فوجده يبكى . فسأله عن سبب بكائه . فقال : « ويحك يا بلال ! وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة : « **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** » (٤) ثم قال النبى : « ويل » لمن قرأها

---

(١) سورة يونس ١٠١ (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) : أى من الآيات الدالة على وحدانية الله ، (وما تعنى الآيات) ، اى الدلالات . و (النذر) أى : الرسل .

(٢) سورة ق ١١ .

(٣) سورة يوسف ١٠٥ (وكأين من آية) أى : وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى ، (يمرون عليها) أى يشاهدونها ، (وهم عنها معرضون) : أى لا يتفكرون فيها .

(٤) (لآيات لأولى الألباب) الذين يسـتعملون عقولهم فى تامل الدلائل . قال القرطبى : فى تفسيره : ختم تعالى هذه السـورة بالأمر بالنظر والاستدلال فى آياتـه ، اذ لا تصدر الا عـن حى قيـوم قـدوس =

ولم يتدبر فيها » (١) .

ومن هنا نعلم أن الاسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول ، وان أرشدها الى التزام حدها ، وعرفها قلة علمها ، وندبها الى الاستزادة من معارفها (٢) ، فقال تعالى :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٣) ، وقال : « وقل رب زدنى علما » .

فمهمة العقل الانسانى - فى باب العقائد - التلقى عن الله تعالى ، ثم النظر فى هذه العقائد ، وفى وجوه أدلتها . ومعروف أن الوحى قد « بين أصول الدين الحق ، والأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك ، وأن الرسول قد بينها أحسن بيان ، وانه دل الناس وهداهم الى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الالهية ، وبها يعلمون اثبات ربوبية الله ، ووحدانيته ، وصفاته ، وصدق رسوله ، ... وأن دلالة القرآن والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر ، بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الى الايات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين » (٤) .

واذا كان ذلك كذلك ، فان مهمة عظمى قد نيطت بالعقل ؛ تتمثل فى

=
سلام غنى عن العالمين ؛ حتى يكون ايمانهم مستندا الى اليقين لا الى التقليد .

سورة آل عمران ١٩٠ .

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر .

(٢) الامام حسن البنا : (رسالة العقائد) ص ٤٣٦ ضمن مجموع رسائله ، نشر دار القلم ببيروت .

(٣) سورة الاسراء ٨٥ .

(٤) طه ١١٤ انظر رسالة الشيخ الجليل أحمد بن تيمية رحمه الله : (معارج الوصول) ص ٥ ، ٦ ، ٧ ؛ ٨ ، ١١ ومواضع أخرى وانظر له : الفتاوى ، ودرء تعارض العقل والنقل .

تلقى أصول الدين عن الوحى ، والبحث والنظر فى الدلائل والبينات المثبوتة فى القرآن : كتاب الله المنزل المسموع ، وفى الكون : المنظور المصنوع ٠

واصول الايمان أو أصول العقائد ستة كما جاءت فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اجابة على سؤال جبريل : « ما الايمان ؟ » ٠

قال صلى الله عليه وسلم : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر ؛ خيره وشره ، (حلوه ومره) » (١) ٠

وهنالك آيات عديدة فى كتاب الله تعالى نعلم منها أن أصول الايمان ، أو أصول الدين ، أو أصول العقائد ستة ؛ منها قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ، ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » (٢) ٠

ففى هذه الآية الكريمة خمسة أصول ؛ هى : الايمان بالله ، والملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ٠

أما (الايمان بالقدر) وهو الأصل السادس ، فنعلمه من قوله تعالى :
« انا كل شىء خلقناه بقدر » (٣) ، « وكان أمر الله قدرا مقدورا » (٤) « والذى قدر فهدى » (٥) ، « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » (٦) « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٧) ٠

وسنتناول هذه الأصول الستة بالدراسة والشرح طبقا لترتيبها فى حديث مسلم ، وفى الآيات الكريمة ، والله ولى التوفيق ٠

---

(١) رواه مسلم ٠
(٢) النساء ١٣٦ ٠
(٣) القمر ٤٩ ٠
(٤) الأحزاب ٣٨ ٠
(٥) الأعلى ٣ ٠
(٦) الفرقان ٢ ٠
(٧) الحديد ٢٢ ٠

الأصل الأول

الإيمان بالله تعالى

الأصل الأول : الايمان بالله تعالى

أولا : وجود الله

نظرة الى عقائد البشر ابان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، تكشف مدى خلطهم فى تصور وجود الله تعالى :

« اعلموا ، أرشدكم الله ، أن الذى مضى عليه سلفنا ومن اتبعهم من صالح خلفنا ، أن الله بعث محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، الى سائر العالمين وهم أحزاب متشتتون ، وفرق متباينون ؛

- منهم كتابى يدعو الى الله بما تفرد به فى كتابه (١) ،
- وفلسفى قد تشعبت به الأباطيل فى ألأمور يدعيها بقضايا العقول (٢) ،
- ودهرى يدعى الاهمال ، ويخبط فى عشو الضلال (٤) ،
- وثنوى قد اشتملت عليه الحيرة (٥) ،
- ومجوسى يدعى ما ليس له به خبرة (٦) ،
- وصاحب صنم يعكف عليه ، ويزعم أن له ربا يتقرب بعبادة ذلك الصنم اليه (٧) ،

---

(١) أهل الكتاب اليهود والنصارى ، وللتعرف على كتبهم وعقائدهم وفرقهم وما أحدثوا وغيروا وبدلوا انظر : رسالة سبينوزا (فى اللاهوت والسياسة) و (مدخل لأسفار العهد القديم) تاليف (OTTo EISFELDT) الترجمة الانجليزية OXFord 1974 . وانظر : (اليهودية والهيلينية) تاليف Marten Hengel نشر SCM,London 1981 ، وانظر للدكتور عبد المنعم الحفنى (الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية) بيروت ، ولابن حزم : (الفصل) نشر دار الندوة ، وانظر : (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) ، بتحقيقنا ، ولنا (مقارنة الأديان) - و (اظهار الحق) للشيخ رحمه الله الهندى .

(٢) انظر كل كتابات الفلاسفة فى مجال الالهيات وتفسير مصدر الوجود ومصيره ، أى : (الميتافيزيقا) .

(٣ - ٧) انظر : التمهيد للباقلانى ، بيروت ، وللفخر الرازى : (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) نشرة د . على النشار ، دار الكتب العلمية (وفصل) ابن حزم ، والملل والنحل) للشهرستانى :

لينبههم جميعا على حدثهم (على كونهم مخلوقين) ، ويدعوهم الى صحة توحيد المحدث لهم (الخالق) ، ويبين لهم طرق معرفته بما بثه من آثار صنعته ، ويأمرهم برفض كل ما كانوا عليه من سائر الأباطيل - بعد تنبيهه عليه الصلاة والسلام لهم على فسادها ، ودلالته على صدقه فيما يخبرهم به عن ربهم تعالى بالايات الباهرة والمعجزات القاهرة - ، ويوضح لهم سائر ما تعبدهم الله عز وجل به من شريعته ، وأنه ، عليه الصلاة والسلام ، دعاهم جميعا الى ذلك » (١) أى الى الايمان بوجود الله وتوحيده وطاعته .

وجود الله أظهر الحقائق :

ان وجود الله تعالى ، أكبر الحقائق ، وأجلاها ، وأظهرها ، وأولها ، وأكبرها ، يقول الامام أبو حامد الغزالى موضحا هذه الحقيقة :

« **اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى** ، وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف ، وأسبقها الى الأفهام ، وأسهلها على العقول » (٢) .

يدل على هذه الحقيقة الكبرى ، الفطر السليمة ، والعقول الصحيحة ، والبصائر النيرة ، ويهدى اليه العلم ، والوحى والتاريخ .

والذين جادلوا فى وجود الله تعالى - وبصرف النظر عن قلتهم أو كثرتهم (٣) - فى كل عصر ، لا دليل معهم ، ولا حجة فى أيديهم ، ولا برهان فى رؤوسهم غير الجحود والمكابرة ؛ بل ان معظمهم ممن جرفتهم الشهوات ، وغلبتهم الغرائز الدنيا ، فبرروا هبوطهم وانحرافهم بالالحاد ،

---

(١) الامام الأشعرى : رسالة أهل الثغر : أصول أهل السنة والجماعة) ص ٣٣ - ٣٤ . بتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند .

(٢) الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) : (احياء علوم الدين) ج ٤ ص ٣٢٠ .

(٣) يرى الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوى فى رسالته القيمة (وجود الله) ص ١٠ نشرة وهبة بمصر) : « أن الذين جادلوا فى وجود الله قلة مغمورة فى كل عصر » ولعل هذا لا يطرد .

وانكار وجود الخالق الأعلى ، كما انهم يتحدون البداهة والحس والعقل والفطرة ٠

ومن ثم فان الرسل عليهم السلام لم يجعلوا أكبر همهم مصروفا الى اثبات وجود الله (١) سبحانه ، فقد كان هذا أمرا مفروغا منه ، ومسلما به لدى أقوامهم ٠ انما كان أكبر همهم ، تنقية الايمان بالله مما شابه من أدران الوثنية ونجاسة الشرك ، كان أكبر همهم الدعوة الى التوحيد ، لذلك ، كان أول ما يدعو اليه الرسول : **توحيد الله تعالى :**

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » (٢) ٠

« اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (٣) ٠

« اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٤) ٠

ومعروف أن العرب كانوا يقرون بوجود الله تعالى : « **ولئن سألتهم** من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٥) ٠ ومع ذلك يشركون معه غيره من مخلوقاته فى العبادة والتأليه ٠

الغزالى يشرح لماذا كان وجود الله أظهر الحقائق على الاطلاق :

يذكر الغزالى : « انما قلنا انه ـ تعالى ـ أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال : وهو أنا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا ، كان كونه حيا ـ عندنا ـ من أظهر الموجودات ؛ فحياته ، وعلمه ، وقدرته ، وارادته للخياطة ، أجلى ـ عندنا ـ من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ؛

---

(١) يرى الاستاذ العقاد أنه : « لم تتكرر البراهين على اثبات وجود الله ـ فى كتاب من الكتب السماوية كما تكررت فى القرآن الكريم انظر له : (الله) ص ٢٣٢ ٠

(٢) النساء ٤٦ ٠

(٣) الأعراف ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ وكثير غيرها ٠

(٤) النحل ٣٦ ٠

(٥) الزمر ٣٨ ٠

اذ صفاته الباطنة كشهوته ، وغضبه ، وخلقه ، وصحته ، ومرضه ، كل ذلك لا نعرفه ٠

وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها ، وبعضها نشك فيه كمقدار طوله ، واختلاف لون بشرته ، وغير ذلك ، من صفاته ٠

أما حياته ، وقدرته ، وارادته ، وعلمه فانه أجلى عندنا ، من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته ، فان هذه الصفات ، لا تحس بشيء من الحواس الخمس ، ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته ، فلو نظرنا الى كل ما فى العالم ، سواه ، لم نعرف به صفته ، فما عليه الا دليل واحد ، وهو مع ذلك جلى واضح ٠

ووجود الله ، وقدرته ، وعلمه ، وسائر صفاته ، يشهد له ـ بالضرورة ـ كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ، ونبات وشجر ، وحيوان ، وسماء ، أرض ، وكوكب ، وهواء ، وجوهر وعرض ، بل أول شاهد عليه أنفسنا ، وأجسامنا ، وأوصافنا ، وتقلب أحوالنا ، وتغير قلوبنا ، وجميع أطوارنا فى حركاتنا وسكناتنا ٠

وأظهر الأشياء ـ فى علمنا ـ أنفسنا ، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ، ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة ٠ وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد ، وشاهد واحد ، ودليل واحد ٠

وجميع ما فى العالم شواهد ناطقة ، وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ، **ودالة على علمه ، وقدرته ، ولطفه ، وحكمته ٠ والموجودات المدركة لا حصر لها ٠**

فان كانت حياة الكاتب ظاهرة ـ عندنا ـ وليس يشهد لها الا شاهد واحد ؛ وهو ما أحسسنا به من حركة يده ـ ، **فكيف لا يظهر ـ عندنا ـ** ما لا يتصور فى الوجود شيء ، داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه ، وعلى عظمته وجلاله ؟ ؛ اذ كل ذرة فانها تنادى ـ بلسان حالها ـ أنه ليس وجودها بنفسها ، ولا حركتها بذاتها ، وأنها تحتاج الى موجد

ومحرك لها ؛ يشهد بذلك - أولا : تركيب أعضائنا ، وائتلاف عظامنا ، ولحومنا ، وأعصابنا ، ومنابت شعرنا ، وتشكل اطرافنا ، وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة ، فانا نعلم : انها لم تأتلف بانفسها ، كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها .

ولكن لما لم يبق فى الوجود شىء مدرك ، ومحسوس ، ومعقول ، وحاضر ، وغائب ، الا وهو شاهد ومعروف ؛ عظم ظهوره ، فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه . !!

« وما تقصر عقولنا عن فهمه فله سببان :

أحدهما : خفاؤه فى نفسه وغموضه ، وذلك لا يخفى مثاله .

والآخر : ما يتناهى وضوحه ؛ وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ، لا لخفاء النهار واستتاره ، ولكن لشدة ظهوره ؛ فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت ، فتكون قوة ظهوره (أى النور) مع ضعف بصره ، سببا لامتناع ابصاره ، فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الضوء بالظلام ، وضعف ظهوره (أى النور) .

فكذلك : عقولنا ضعيفة ، وجمال الحضرة الالهية فى نهاية الاشراق والاستنارة ، وفى غاية الاستغراق والشمول ، حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض ؛ فصار ظهوره سبب خفائه ، فسبحان من احتجب باشراق نوره ، واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ... ، فالله تعالى هو اظهر الأمور ، وبه ظهرت الأشياء كلها .. فلا جرم ان أورثت شدة الظهور خفاء ، فهذا هو السبب فى قصور الأفهام » (١) .

الأدلة على وجود الله تعالى :

ورغم شدة ظهور حقيقة (وجود الله تعالى) وجدنا بين الناس : الملحدين النفاة المعطلين ، والمرتابين المتشككين المجادلين فى وجود الله بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير .

---

(١) الاحياء ، حـ ٤ ص ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

ولأن الايمان بوجود الله هو محور العقيدة وأساسها وجوهرها « وهو أصل لغيره من العقائد ؛ كالايمان بالنبوات وباليوم الآخر ، ثم هو اصل لما يترتب عليه من العبادات والأخلاق والأحكام التى أمر الله باتباعها والوقوف عندها . فالذى لا يؤمن بالله تعالى ليس لديه - فى هذه الأمور - تصور صحيح ، أو فكرة مستقيمة ، أو عمل صائب ، ... لذلك كان ضروريا أن تنال هذه العقيدة الأساسية حظها من العناية والاهتمام حتى يكون الايمان بها قائما على الفهم والاقتناع ، وهما السبيل الى اليقين الذى ينأى بصاحبه عن مواطن الأوهام والظنون » (١) .

والأدلة على وجود الله تعالى لا حصر لها ؛ ومنها دلالة الفطرة ودلالة الكون ، ودلالة الأخلاق ، ودلالة الوحى ، ودلالة التاريخ .

١ - دلالة الفطرة أو الوجدان :

أول دليل على وجود الله سبحانه وتعالى دليل الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، انه ذلك الشعور الغريزى الجبلى المستكن فى أعماق الانسان ، بأن فوق الكائنات المحدودة المتناهية ، كائنا غير محدود ، ولا متناه ، يهيمن على كل شىء ، ويدير كل أمر ، يرجى ويخشى ، ويعظم ويقصد ... شعور ينبع من أعماق الانسان ، ويستمد من كيانه كله ، لا من عقله وحده ، ولا من وجدانه بمفرده ، شعور يجده الانسان فى نفسه بغير تعلم ولا تلقين ولا اكتساب .

وكلما كان الانسان أسلم فطرة ، وأزكى نفسا ، رق حجابه ، وتفتحت عين بصيرته ، وارتفع عن جاذبية الطين ، وحينئذ يشعر بأن وجود الله يملأ عليه أقطار نفسه ، ويغمر كيانه كله ، فيحس بانه غير محتاج الى دليل على وجود ربه - سبحانه - خارج عن ذاته وكيانه ؛ بل يشعر أن وجود الله أظهر من كل شىء ، بل هو دليل كل شىء (٢) .

---

(١) د . عبد الحميد مدكور : مذكرات فى علم الكلام ص ٧٢ (دار العلوم ١٩٧٥ م) .

(٢) رسالة (وجود الله) ص ١٥ ، ١٦ .

« أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » (١) .

فالاقرار بوجود الله ، ضرورى ، ما دامت فطرة الانسان سليمة ؛ لأن الله خلق الانسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ولذلك يتجه الانسان الى خالقه وبارئه بدافع من هذه النفخة القدسية التى أودعها الله فيه :

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (٢) .

والمقصود بالفطرة : أن الانسان ـ سواء أكان عالما أم جاهلا ـ لو جرد نفسه من آثار الوراثات المختلفة ، ومحا من ذهنه كل ما يربطه بالبيئة والمجتمع ، والمذهب الذى ينتمى اليه ، ثم تفكر بعد ذلك فى الكون ، وفى نفسه ، لاندفع بفطرته وطبيعته اندفاعا اضطراريا ، ليجد نفسه ساجدا خاشعا أمام ربه العلى العظيم الرحمن الرحيم .

يقول ابن عطاء الله السكندرى :

« الهى ، كيف يستدل عليك ، بما هو فى وجوده مفتقر اليك ؟! ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك ؟

وقيل لأحد الصالحين : ان فلانا من علماء الكلام قد أقام على وجود الله ألف دليل .

فقال : لأن فى نفسه ألف شبهة !!

وهذا الشعور الفطرى قد يتوارى ـ لدى بعض الناس ـ بسبب من المؤثرات المختلفة التى من أهمها شعور الانسان بالغنى الذى يطغيه ويحجبه عن رؤية نفسه على حقيقتها ، فاذا نزل بالانسان شدة قاهرة ، انقشع

---

(١) سورة فصلت ٥٣ .
(٢) الروم ٣٠ .

العبار الذى أخفى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ورجع الانسان الى ربه خاشعا ضارعا داعيا منيبا اليه (١) .

ويشير القرآن الحكيم الى هذه الحقيقة :

« هو الذى يسيركم فى البر والبحر ، حتى اذا كنتم فى الفلك ، وجرين بهم ، بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم : دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكونن من الشاكرين » (٢) .

ويصور القرآن الكريم أصالة هذه الفطرة ، وشمولها لكل أفراد النوع الانسانى تصويرا مؤثرا ياخذ بمجامع القلوب ، ويسوقها الى ربها سوقا جميلا ، ويعرض ذلك فى صورة **ميثاق قديم بين الانسانية وربها ، على أن تؤمن به ، وتعبده ، وتوحده ، يقول تعالى :**

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، افتهلكنا بما فعل المبطلون » (٣) .

ودلالة الفطرة هذه تثبتها شهادة الوجدان ـ كما رأينا ـ ، وشهادة التاريخ تصرح بأن شعوب الأرض كلها ـ فى القديم والحديث ، مدنية وبدوية ، نزل عليها كتاب سماوى أو لم ينزل ـ قد فكرت فى قوة عليا ، أرجعت اليها الأمر فيما ينزل بها من خير أو شر ، وتوجهت اليها ـ تبعا لذلك ـ بالعبادة والتقديس (٤) .

---

(١) (وجود الله) ص ١٧ .
(٢) يونس ٢٢ .
(٣) الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٤) مذكرات فى علم الكلام ، ص ٧٣ ، د . دراز : « الدين » فصل =

وبما أن قانون السببية من القوانين الفطرية الأصلية فى العقل ، فان شهادة العقل ـ التى تتأسس على أن لكل شىء سببا ولكل مخلوق خالقا ـ تؤيد دلالة الفطرة على وجود الله تعالى خالقا لهذا الوجود .

٢ ـ الأدلة الكونية على وجود الله تعالى :

الصلة الوثقى بين العقيدة والنظر فى الآفاق والأنفس (الكون) :

لئن كانت الفطرة السليمة ـ اذا تركت على براءتها الأصلية ، دون تأثير عليها ـ اهتدت الى وجود الله سبحانه ، فكذلك العقل السليم ـ بأدنى تفكر مجرد عن الهوى والتقليد والعصبية ـ يصل حتما الى وجود الله تعالى .

والمجال الصحيح المثمر لتفكر العقل وتأمله هو الآفاق والأنفس (١) ؛ أى هذا الكون الكبير ؛ وقد حث الخالق الانسان ، وحفزه ، واستجاش همته ، الى النظر ، والبحث ، والملاحظة والتجريب ، بغية الاهتداء الى آيات الله وسننه ؛ **حتى يتبين ان الله تعالى هو الحق ، هو الخالق الواحد** سبحانه وتعالى .

فقد أبدع الخالق الحكيم هذا الكون الهائل العظيم من عدم محض ، ونسقه ، ونظمه ، فجاء كونا معجزا فى توازنه وانسجامه واتقانه . وربطه فاطره وسيره بسننه الثابتة الراسخة التى لا تتبدل ، ولا تتحول ، ولا تضل ، ولا تتوقف ، ولا يحيط بكنه جميع هذه السنن الا خالقها ومدبر أمرها سبحانه وتعالى .

=
(نزعة التدين ومدى أصالتها فى الفطرة) ص ٨١ ـ ١٠٥ ، وانظر كتاب العميد الركن طه الهاشمى : تاريخ الأديان وفلسفتها ، منشورات مكتبة الحياة ١٩٦٣ وانظر للدكتور نظمى لوقا : « الله » مكتبة غريب ، العقاد : (الله) ، نديم الجسر (قصة الايمان) توزيع دار العربية .

(١) عن المجال الصحيح لعمل العقل ، انظر كتابنا : « الفلسفة العامة : دراسة نقدية) نشر مكتبة الزهراء .

وهذه السنن حاكمة ـ باذن الله ـ للكون كله : أشيائه ونباتاته ، وحيواناته ، وانسانه ٠٠٠ من الذرة والخلية ، الى المجردة والسديم والفضاء الكونى الفسيح ، الذى لا يعلم مدى سعته وامتداده الا الله تعالى ٠

وهذه السنن هى التى يطلق عليها العلماء : اسم القوانين أو الحقائق أو العلائق العلمية ، هى التى دعا الخالق سبحانه الانسان كى ينظر فى أرجاء الكون وأمدائه ، وأنحائه ، وآفاقه ، ويستمع ٠٠ ويتأمل ، ويتدبر (١) ، وسيصل العقل السليم المجرد عن الهوى والتعصب والتقليد ـ حتما ـ من خلال النظر فى الكون ، الى الايمان بالله تعالى (٢) ٠

والمتدبر فى كتاب الله تعالى **يجد القرآن لا يعرض أصول الايمان عرضا مجردا مستقلا ، لكنه يخاطب الناس بها من خلال عرض مظاهر القدرة المحيطة فى الآفاق والأنفس ٠ ولئن كان عرض مسائل الايمان او العقيدة ـ فى القرآن الكريم ـ مثل قضية الألوهية والرسالة والبعث ـ لا يكون الا مع ذكر بعض الآيات الكونية ٠ فان الاستدلال لها ، والبرهان على صحتها وامكانها ينطلق منها ايضا ، أى : من مظاهر القدرة فى الآفاق والأنفس ٠٠٠ أو من النظر فى المخلوقات ٠**

فالقرآن الكريم ، يتخذ من النظر فى الآيات الكونية منهجا وطريقا لعرض الأصول الايمانية ، والتدليل عليها ، والدعوة اليها (٣) ٠

---

(١) انظر كتابنا : « القرآن والكون » : نشر مكتبة الزهراء ٠

(٢) انظر مجموعة كتب فى هذا المجال ، منها : (العلم يدعو للايمان) كريسى موريسون ، و (الله يتجلى فى عصر العلم) و (الدين فى مواجهة العلم) ، (لغز الحياة) ومؤلفات عبد الرازق نوفل ٠٠ والدكتور محمد أحمد الغمراوى (الاسلام فى عصر العلم) وغيره ، والدكتور أحمد جمال الفندى (الله والكون) وغيره ٠ الخ ٠

(٣) وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ومن هنا كان النظر فى الكون ؛ فى الآفاق والأنفس ، (واجبا دينيا) و (فريضة من الله) ؛ لما يتأسس عليه من بناء العقيدة وتثبيت الايمان بالله ، ولتوسيع فهمنا =

والملاحظ أن هذه الآيات الكونية المبثوثة فى القرآن كله : لا يجىء الحديث عنها الا فى مجال عرض مسألة من مسائل الايمان ، أو التدليل عليها ، فهى لا تجىء مستقلة مفردة برأسها ٠

وقد عنى القرآن ـ عناية كبرى ـ بالحديث عن هذا الكون ، وما فيه من آيات ، وحث الناس على تدبرها والنظر فيها ، والتفكر ، والتبصر ٠ وان مساحة كبيرة من آى هذا القرآن موضوعها تجريبى كونى ، أو طبيعى ٠٠ اى : الآفاق والأنفس ٠ ولقد أحصى بعض العلماء (٧٥٠ خمسين وسبعمائة آية) موضوعها كونى ٠٠ ، تتحدث عن السماء والأرض ، والنبات ، والحيوان ، والنحل ، والنمل ، واللبن ، والشمس ، والقمر ، والماء ، والبخار ، والهواء ، والسحاب ، والمطر ٠٠ الى غير ذلك مما يطول سرده ٠

ومما يذكر ـ هنا ـ أن كثيرا من هـذه الآيـات التى موضوعهـا ـ الآفاق والأنفس ـ يبدؤها الحق عز وجل ، بامر صريح للانسان : بالنظر والتفكر فيها ، أو يختمها بهذا التوجيه الكريم الى النظر ٠ وفى كثير من هذه الآيات يبدؤها الله تعالى ، ويختمها ـ معا ـ بهذا الأمر الملزم ٠

والشواهد على ذلك من نصوص الكتاب يصـعب حصرهـا ، ويكفى القارىء أن يراجع فى المصحف الآيات الكريمة فى مواد : التفكر ، والعلم ، والتدبر ، والبصر ، والتفقه ، والتذكر ، والتعقل ، ليدرك مدى الزام الحق عز وجل للانسان بذلك ٠

وهناك سور عديدة يطلق الحق عز وجل عليها ، ويسميها باسماء ظواهر كونية طبيعية ، مثل : الأنعام ، والرعد ، والنحل ، والنمل ،

=
لكتاب الله تعالى فى الآيات التى تتحدث عن ظواهر كونية ، وللتعرف على السنن والقوانين ؛ حتى نرى كيف سخر الله لنا ، وخلق لنا ، وجعل لنا هذه المخلوقات ، ونستثمرها فى تنمية حياتنا ومعايشنا ٠

والعنكبوت ، والنجم ، والحديد ، والقمر ، والطور ، والبروج ، والطارق ، والفجر ، والشمس ، والتين ، والعلق ، والعاديات ، والفيل ، والفلق .

ولقد افتتح الله بعض سور القرآن الكريم بالقسم ، ويقسم فيه الحق بمخلوقاته مثل : الأفلاك كما فى البروج والطارق .

وبلوازم الأفلاك فى : والنجم ، والفجر ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والعصر . وبالهواء ، وبالتربة ، وبالنبات والثمر ، والحيوان (١) .. الخ .

ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه المخلوقات قيمة كبرى ، وأن يوجه اليها القلوب تتملاها ، وتتدبر ماذا لها من قيمة ، وماذا بها من دلالة حتى استحقت أن يقسم بها الجليل العظيم (٢) .

اذا ، هنالك ربط وثيق - فى القرآن - بين الكون ؛ أى الآفاق والأنفس ، وبين الايمان والاعتقاد ، **فالكون هو الدليل الى الله تعالى** .

(أ) دليل الخلق والابداع :

المراد بالخلق والابداع : **الايجاد والاحداث** ، أى : ابراز **الشىء من العدم الى الوجود** ، وذلك مثل : **خلق الحياة فى الكائنات الحية على ظهر الأرض التى بث فيها من كل دابة ، وأنبت فيها من كل زوج بهيج ، مثل** خلق الانسان العاقل الذى لم يكن شيئا مذكورا ، ثم كان .

ومثل خلق السموات والأرض ، وهو أكبر من خلق الناس ، وقد دل العلم الحديث على عظم الأجرام العلوية ، وسعة المسافات بينها ، حتى انها لتقاس بملايين السنين الضوئية (٣) .

---

(١) انظر لنا : (القرآن والكون) ص ٤٧ / ٤٨ .

(٢) سيد قطب : الظلال ، حـ ١ ص ٣٩١٨ - ١٩ .

(٣) رسالة (وجود الله) ص ٢٣ ، وانظر لعباس العقاد (الله) ص ٢٣٦ وما بعدها .

ومما يجدر ذكره أن دليل الخلق هـذا ، دليل قـرآنى ؛ اذ يلفت القرآن الأنظار ـ فى كثير جدا ـ من آياته الكريمة ، الى ظاهرة : **الخلق** ، التى يحسونها ويشاهدونها فى أنفسهم ، وفيما وقعت عليه أبصارهم ٠ فمن الأمور البدهية ان الانسان يدرك أنه مخلوق ، وانه موجود بعد أن لم يكن ، وينطبق هذا الحكم على الناس جميعا ـ ولو ادعى انسان أنه ليس بمخلوق لعلم وأيقن ـ فى قرارة نفسه ـ أنه كاذب ، ولكذبه الناس جميعا ؛ لأنهم يعلمون أن له بداية فى ولادته من أب وأم ٠ كذلك يدرك الانسان ظاهرة الخلق فيما يراه من نبات وحيوان (١) ؛ ومن آيات القرآن التى تشير الى أن الله هو **الخالق** ، أول آية أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق » (٢) ٠

« الله خالق كل شىء » (٣) « ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو » (٤) « فلينظر الانسان مم خلق ؟! خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » (٥) « لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٦) « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » (٧) ٠

« وانـه خلق الزوجين الذكـر والأنثى » (٨) « ومـا خلق الذكـر والأنثى » (٩) ٠

ـ وانظر : للدكتور عبد الحميد مدكور : (مذكرات فى علم الكلام) وانظر للدكتور جمال الفندى (الله والكون ص ٢٣ ـ ٥١) ٠

(١) مذكرات فى علم الكلام ص ٨٣ ٠
(٢) سورة العلق ١ ، ٢ ٠
(٣) الزمر ٦٢ ٠
(٤) غافر ٦٢ ٠
(٥) الطارق ٥ ـ ٧ ٠
(٦) غافر ٥٧ ٠
(٧) الروم ٢٢ ٠
(٨) النجم ٤٥ ٠
(٩) الليل ٣ ٠

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون » (١) ٠

« فاطر السموات والأرض » (٢) ٠

ومن شأن ظاهرة الخلق هذه أن تجعل الانسان يفكر فى سبب وجوده هذه الكائنات المحيطة به ٠ ترى ؟ من خالق الحياة على هذه الأرض ؟ ومن خالق هذا الانسان العاقل المفكر ؟ من خالق هذا الكون كله ؟ وهل وجدت الحياة ووجد الانسان والكون كلـه بلا موجد ؟ أم لابد لهـا من خالق ؟ ومن هو ؟

وتبدو حجة القرآن بينة واضحة فيما وجهه من أسئلة مفحمة للمنكرين :

« أم خلقوا من غير شىء ؟ أم هم الخالقون ؟ ام خلقوا السموات السموات والأرض » (٣) ٠

السؤال الأول : « أم خلقوا من غير شىء ؟ أى بلا خالق ٠٠ والفطر السليمة غير المعاندة تسلم بأن كل مخلوق لابد له من خالق ، وأن كل سبب يستلزم سببا يحدثه بناء على قانون السببية الذى هو من قوانين البداهـة والفطرة (٤) ٠

السؤال الثانى : « أم هـم الخالقون » ؟! وتسـلم الفطـر السـليمة المستقيمة أن الانسان لم يخلق نفسه ، ويؤكد ذلك الحس والواقع ، فكل انسان يولد ضعيفا عاجزا جاهلا لا يتحكم فى قواه ، ولا يختار وقت ولادته ، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه عجزا أو هرما ، أو موتا ؛ فليس الانسان ، اذن ، هو الخالق ٠

السؤال الثالث : « أم خلقوا السـموات والأرض » ؟! الـواقع أن

---

(١) الروم ٢٠ ٠

(٢) فاطر ١ ٠

(٣) الطور ٣٥ ـ ٣٦ ٠

(٤) انظر لنا : (مبدأ السببية) : رسالة دكتوراه بـدار العلـوم ١٩٨١ م ٠

السموات والأرض يسبقان الانسان فى الوجود ، وانهما أعظم وأكبر من أن يحيط البشر جميعا بما فيهما من اعجاز واتقان يبهر العقول ، ويخلب الألباب ، ولذلك لم يدع انسان أنه خالق هذا الكون ، ولو ادعى ذلك لكذبه الناس فى دعواه ، وتحققوا من جنونه .

والنتيجة الطبيعية التى يريد القرآن أن يأخذ بيد الانسان اليها ، هى أن يقر الانسان بوجود خالقه الذى خلقه ، وخلق الكون جميعا ، وهو الله الكبير المتعال (١) .

والآن ، ماذا يقول الملحدون - النفاة لوجود الخالق - فى تفسير خلق الحياة فى المادة الصماء ؟ أو بم يفسر الملحدون اخراج الحى من الميت ؟ او ظهور الحياة لأول مرة على هذا الكوكب ؟

ومما يستوقف النظر أن البراهين التى جاء بها القرآن الكريم ، وخصها بالتوكيد والتقرير هى أقوى البراهين اقناعا ، وأحراها أن تبطل القول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها ، ونعنى به **أولا : برهان ظهور الحياة فى المادة** « يخرج الحى من الميت » ... « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » **وثانيا** : برهان التناسل بين الأحياء لدوام بقاء الحياة « جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا » .... « وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » .

فلم يحاول الماديون - قط - أن يفسروا **ظهور الحياة فى المادة الصماء** ، الا وقفوا عند تفسير الحاصل بالحاصل . أو تخبطوا فى ضروب من الرجم بالغيب لا يقوم عليها دليل ، وهم انما يهربون من الايمان بوجود الله ، لأنهم لا يصدقون بالغيب ، ولا يعتمدون غير المشاهدة ، وما هو فى حكمها من دليل ملموس (٢) .

---

(١) مذكرات فى علم الكلام ص ٨٣/٨٤ .
(٢) (الله) ص ٢٣٦ .

فظهور الحياة فى المادة الصماء وضع الملحدين امام مشكلة لا حل لها ؛

- **فمنهم من قال** : ان الحياة انتقلت الى الأرض من الفضاء الكونى عن طريق نيزك هائم على وجهه .. والسؤال يبقى : **من خلق الحياة هناك فى الفضاء حتى حملها هذا النيزك الضال الشارد وسقط بها على الأرض ؟!**

- **ومنهم من قال** : ان المادة فيها طبيعة الحياة بعد تركيب وتناسق خاص - ولكن السؤال يبقى ايضا : ومن ركبها ونسقها من مادة عمياء صماء ؟! (١) .

ولا يسع العقل - فى أمر ظهور الحياة الا أن ياخذ باحد **قولين** :

- **فاما انها خاصة من خواص المادة ، ملازمة لها ، فلا حاجة بها الى خالق مريد ،**

- **واما أنها من صنع خالق مريد يعلم ما أراد .**

فاذا كان العالم كله مادة ، ولا شيء غير المادة ، لزم من ذلك أن المادة أزلية أبدية ، لا أول لها ولا آخر ، وأنها موجودة منذ الأزل بكامل قواها ، وجملة خصائصها ، وان خصائصها ملازمة لها حيث كانت ، بدون تفرقة بين المادة فى هذا المكان من الفضاء ، والمادة فى غير هذا المكان .

ولا معنى اذن ، لظهور الحياة فى كوكب دون كوكب ، وفى زمان دون زمان ، ولا معنى لأن تظل خصائص الحياة بلا عمل ملايين الملايين من السنين ، بل فوق ملايين الملايين من حساب السنين ، ثم تظهر بعد ذلك فى زمان ، يحسب تاريخه بالآلاف ، ولا يقاس الى الأزل الذى لا يدخل فى حساب . فلماذا تأجلت خصائص الحياة كل هذا الزمان الذى لا يدخل فى حصر ولا احصاء ؟ ولماذا اختلف التوزيع والتركيب فى أجزاء الفضاء وآماد الزمان ؟ ولماذا جاءت هذه الحياة مصادفة ، ثم دامت هذه المصادفة ، بكل ما يلزم لها من تدبير ، وليس للمادة الصماء تدبير ؟

---

(١) رسالة (وجود الله) ص ٢٤ ، كتاب (الله) ص ٢٣٦ - ٢٣٧ و (الله والكون) .

على العقل أن يبدى أسبابه لترجيح القول بهذه الفروض على القول بظهور الحياة من صنع خالق مريد . ولا نعرف أسبابا لترجيح الفرض العسير على الفرض اليسير .. والفرض اليسير هو : الفرض الآخر ، وهو ان الحياة ظهرت من صنع خالق مريد (١) .

« فاخراج الحياة من المادة الصماء - أو اخراج الحى من الميت - معجزة حقيقية بتوكيد القرآن الكريم ، وتقريره ، وتعجيب العقول من خفاء دلالتها على من تخفى عليه ؛ فان المادة قد تنتظم فى أفلاك ومدارات وبروج ، لأن الانتظام حالة من الحالات التى قد تقع للمادة ، ولا تضطر العقل الى افتراض قوة من خارجها ، اما أن تنشىء المادة لنفسها أسماعا وأبصارا وأفئدة ، فليست هذه من حالاتها التى يقبلها العقل بغير تفسير » (٢) .

ان ذلك الفرض اليسير هو الذى يحل لغز ظهور الحياة من المادة الصماء ، أو خروج الحى من الميت ، ويحل لغز الوجود كله ، حين يستجيب الانسان الى صوت البداهة والعقل ، ويرد الخلق والامر كله الى الله :

« ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله ، فانى تؤفكون » (٣) .

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون » (٤) .

---

(١) هذا النص ساقه ثلاثة من المفكرين هم : عباس العقاد : « الله » ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، وعبد الرزاق نوفل : « الله والعلم الحديث » ، والدكتور يوسف القرضاوى « رسالة وجود الله » ص ٢٤ - ٢٥ . والصياغة للأستاذ العقاد .

(٢) (الله) ص ٢٣٩ .

(٣) الأنعام ٩٥ .

(٤) يس ٣٦ .

وقد افاض القرآن الكريم فى تأكيد ان الله تعالى وحده ، هو المتفرد بالخلق ، المستقل بالايجاد ؛ فبين فى آيات كثيرة أنه - سبحانه - هو الذى خلق السموات والأرض ، وما فيهما ، وما بينهما ، وأنه يخلق ما يعلمه الناس وما لا يعلمونه ، وأنه أحسن كل شىء خلقه ، وأنه خلق كل شىء فقدره تقديرا . . . ويبين القرآن فى آيات عديدة - أن أحدا لا يشارك الله فى صفة (الخالقية) ، فهو وحده سبحانه الخالق ، وكل ما ومن عداه ، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا .

ويؤكد القرآن الحكيم - فى لهجة متحدية - أن أحدا - غير الله - لا يستطيع أن يخلق شيئا مهما كان صغيرا :

« يا ايها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » (١) .

وهكذا ينتهى تامل ظاهرة (الخلق) الى الايمان بوجود خالق حكيم واحد ، لا شريك له . ويلاحظ أن هذا الدليل القرآنى يعتمد على مقدمات واضحة ويقينية ؛ وأنه يستند الى مبدأ السببية ، وهو مبدأ فطرى فى العقل الانسانى (٢) .

(ب) دليل تسوية الخلق واحسانه ، واتقان الصنع ، وخلوه من التفاوت ، والنقص ، والعيب ، والقصور ، والأمت والفطور :

يشير القرآن الكريم الى هذه التسوية - بمعنى احسان الخلق واتقانه وابداعه على غاية التمام والدقة والاعجاز - فى آيات عديدة ؛ يقول تعالى :

« الذى احسن كل شىء خلقه » (٣) ، « صنع الله الذى اتقن كل

---

(١) الحج ٧٣ .
(٢) انظر مذكرات فى علم الكلام ص ٨٤ - ٨٥ بتصرف .
(٣) السجدة ٧ .

شىء » (١) ، « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » (٢) ، « سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى » (٣) ، « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » (٤) .

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » (٥) .

وهذه التسوية ظاهرة فى خلق الكائنات كلها بلا استثناء ، وظاهرة فى الكائنات الحية على وجه الخصوص ، وفى الانسان على وجه أخص (٦) .

وقد استرعى القرآن الكريم انتباه الانسان - فى عشرات الآيات - الى ما حفل به هذا الوجود من دلائل القدرة ، وآيات الاعجاز ، وعجائب الاتقان والحكمة البالغة ، واستجاش القرآن الانسان للنظر فى كل ذلك ؛ نظر استبصار واعتبار .

وان ما فى هذا الكون العظيم الجميل من اتقان ونظام ودقة ليدل على أن له خالقا عليما حكيما هو الذى فطره وأبدعه وأحكم صنعته واتقنها ، وأنه لا مجال لصدفة أو اعتباط مع النظام والاتقان (٧) .

ويؤكد القرآن على بعض **الظواهر التى تدل على القصد** ، **وتهدم**

---

(١) النمل ٨٨ .
(٢) طه ٥٠ .
(٣) الأعلى ١ - ٢ .
(٤) الملك ٣ - ٤ .
(٥) وتأمل هذا التحدى (فارجع البصر كرتين) بحثا عن نقص أو فطور !! ولن تجد مهما حاولت ، و « ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .
(٦) (وجود الله) ص ٢٨ .
(٧) انظر لنا : (القرآن والكون) فصل (الصدفة) ص ٥٥ - ٩٢ .

فكرة المصادفة التى قد يلجأ اليها البعض لتفسير الوجود (مثل ديمقريطس ، وبرتراند رسل ، وجاك مونو ، والماديين الماركسيين ، وغيرهم) ؛ ومن هذه الظواهر : ظاهرة الاختلاف بين أشياء يفترض ان تكون متفقة بسبب اتفاق الظروف والعوامل التى تتعرض لها ؛ فالعناصر التى تتكون منها كل النباتات والأشجار معلومة ، وكلها تمتص غذاءها من الأرض ، أى من تراب واحد ، وتسقى بماء واحد ، وتتنفس هواء واحدا . ولو كان الأمر يرجع الى المصادفة لاخرجت نوعا واحدا من النبات ، ونوعا واحدا من الثمر ، له لون واحد ، وطعم واحد . فما هو السر الذى يجعلها تختلف بعضها عن بعض ، حتى أننا لو زرعنا فى مساحة صغيرة جدا من الأرض أصنافا من النباتات وسقيناها بماء واحد ، وغذيناها بغذاء واحد ، لأخرج كل منها ثمره المختلف عن غيره دون خلط أو تداخل .

ان ذلك يدل على أن الأمر كله يرجع الى خالق حكيم ، اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ويشير القرآن الى ذلك :

« وفى الأرض قطع متجاورات ، وجنات من اعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (١) .

ومثل ذلك الماء فانه يتكون من اتحاد عنصرين غازيين ؛ فكان المتوقع أن ينتج منها مركب غازى ، لكن الله تعالى جعل الماء سائلا فى حالته العادية (٢) . وهنالك ظواهر عديدة تلحق بذلك .

وفى الانسان توجد هذه الظاهرة ، وهى الاختلاف ، حيث يكون الاتفاق متوقعا ، فوجوه الناس - رغم كثرتهم ، وبصمة ابهاماتهم -

---

(١) الرعد ٤ ، وراجع مذكرات فى علم الكلام ص ٨٧ ، وللدكتور مصطفى محمود : (لغز الحياة) ، وللدكتور الفندى (الله والكون) .
(٢) راجع لنا : (القرآن والكون) الفصل الخاص بدراسة (الماء) .

على كثرتها الهائلة - لا تتشابه مطلقا فهل تؤدى الصدفة العمياء الى هذا الاتقان المعجز ؟ اللهم لا ! (١) .

كما يوجهنا القرآن الى التفكر فى أحوال النفس البشرية ، ورؤية ايات الحكمة والترتيب والقصد والاتقان التى تثير العجب ، وتدفع الى الاقرار بوجود الخالق ، والسجود لعظمته وحكمته وقدرته .

« وفى الأرض آيات للموقنين وفى انفسكم أفلا تبصرون » (٢) .

وفى هذا المقام ، أشير على القارىء الكريم أن يراجع كتاب الاستاذ وحيد الدين خان : « الاسلام يتحدى » ، وعلى الخصوص الفصل الرابع : « الطبيعة تشهد بوجود الله » ، ففيه معلومات غزيرة ودقيقة . وكذلك فصل (الصدفة والقصد) فى كتابنا : (القرآن والكون) فما جاء فيه من معلومات وبيانات يفيد هنا ، ولا نرى اعادتها وتكريرها مراعاة للايجاز .

(جـ) دليل التقدير :

هنالك صلة وثقى بين هذا الدليل ودليل التسوية ، لكنه وان كان يكمله ويضيف اليه ، فهو يتميز عنه ؛ ذلك أنه اذا كانت **التسوية : اعطاء كل شىء من الخلق والتصوير ما يؤدى به وظيفته على الوجه اللائق به ، فان التقدير : أن يكون بالقدر الذى ينفع فى نفسه ، ولا يضر غيره ، ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى** ؛ وذلك يتم اذا ما وضع فى مكانه الملائم ، وزمانه المناسب ، وبالكم الذى يصلح ولا يفسد ، وعلى الكيفية التى يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه .

---

(١) راجع لنا فصل (البصمة) فى كتاب (القرآن والكون) .
(٢) الذاريات ٢٠ - ٢١ وانظر للشيخ نديم الجسر (قصة الايمان) فصل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) ص ٣٧٧ وانظر للشيخ حسن أيوب : (تبسيط العقائد الاسلامية) ص ٤٣ وما بعدها ، طبعة دار البحوث العلمية ٤ . وللدكتور محمد يوسف موسى : (الاسلام وحاجة الانسانية اليه) وللشيخ أبو بكر الجزائرى : (عقيدة المؤمن) طبعة دار الفكر العربى بمصر ، وانظر للأستاذ وحيد خان : (الاسلام يتحدى) نشر المختار الاسلامى .

فالتقدير : هو خلق كل شىء بمقدار وميزان وترتيب وحساب ، بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه ، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه ، فلا يعطل وظيفتها ، أو يعوق سيرها لما خلقت له ، وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل ، ينتظم به سير الوجود كله (١) .

ومن يتامل فى مظاهر الكون كله يرى أن (التقدير) صفة عامة فى كل مخلوق ؛ وقد لفتنا القرآن الحكيم الى ذلك ، قال عز من قائل :

« وكل شىء عنده بمقدار » (٢) و « خلق كل شىء فقدره تقديرا » (٣) و « قد جعل الله لكل شىء قدرا » (٤) و « انا كل شىء خلقناه بقدر » (٥) و « ان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » (٦) « وانزلنا من السماء ماء بقدر » (٧) و « الأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون » (٨) .

وتأمل فى تكرير لفظ (التقدير) و (المقدار) و (القدر) و (الوزن) تدرك أن كل ما خلق الله تعالى خلقه بقدر معلوم موزون محسوب ، فلم يجىء ارتجالا أو اعتباطا ، أو على أى صورة أو شكل اتفق .

وانظر الى مخلوقات الله جميعا ترى آية ذلك ؛ فها هى الشمس والقمر والكواكب والماء والنبات والحيوان والانسان ، وغير ذلك مما نعلم ومما لا نعلم من مخلوقات الله تجرى على سنة التقدير (٩) ، يقول تعالى :

---

(١) انظر (وجود الله) ص ٣٨ .
(٢) الرعد ٨ .
(٣) الفرقان ٢ .
(٤) الطلاق ٣ .
(٥) القمر ٤٩ .
(٦) الحجر ٢١ .
(٧) المؤمنون / ١٨ .
(٨) الحجر ١٩ .
(٩) للتوسع والتعرف على ذلك انظر : (الله يتجلى فى عصر العلم) ، (العلم يدعو الى الايمان) و (الله والكون) و (الله =

« والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فَلَك يسبحون » (١) .

وطلبا للاختصار لم نشأ أن نقتطف من كتب العلم نماذج توضح هذا (التقدير) المعجز فى مخلوقات الله تعالى ، واكتفينا بالاشارة الى أهمها فى الحاشية ، وأرجو مراجعتها حتى نقف على شىء من ذلك لأهميته ، وعظيم فائدته .

(د) دليل الهداية :

اذا كان كل شىء فى الوجود ، قد خلقه الله ، فسواه ، وأحسن صنعته ، وقدره تقديرا فجاء على الصورة التى تناسب وظيفته ، وتعينه على أدائها ، **فهو أيضا قد هدى الى ما خلق من أجله ، وألهم غاية وجوده ، ويسر له الطريق ليدرك غاية الكمال الذى يناسبه ، وهذه هى الهداية :**

« ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » (٢) .

وهذه الهداية عامة مثبوتة فى كل شىء فى الكون : حى أو جامد ، صامت أو ناطق ، عاقل أو غير عاقل ، فليست هى هداية خاصة بالمكلفين أو العقلاء وحدهم ، كما قد يظن لأول وهلة ، وليست مقصورة على الكائنات المتحركة بالارادة كالناس والدواب والطيور والحشرات .

ويذكر الأستاذ الدكتور القرضاوى بحق : « ان المجال ذو سعة ، للحديث عن الهداية فى عالم الحشرات ، والطير ، والدواب ... الخ ،

=

والعلم الحديث) ، (الاسلام فى عصر العلم) ، (لغز الحياة) ، (الله والكون) وبحوث (مؤتمر الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة — رابطة العالم الاسلامى والجامعة الاسلامية باسلام أباد) ولنا (القرآن والكون) وبحوث الدكتور أحمد زكى وعبد المجيد الزندانى .

(١) سورة يس ٣٨ — ٤٠ .

(٢) طه ٥٠ .

حتى ان المرء ليقف متحيرا عن أى شىء منها يتحدث ، وما الذى يخصه منها بالحديث دون غيره ؟! (١) ٠

ومظاهر الهداية متنوعة متعددة يجمعها قولك ، ان كل حيوان مثلا : قد أعطى من الحواس والأجهزة الخاصة ما يعينه على معيشته ، وأداء وظيفته المنوطة به ؛ فتجد طائرا كالصقر كانما أعطى بصرا تلسكوبيا ، يستطيع أن يشاهد به - وهو محلق فى الجو - صيده الصغير على الأرض ٠٠وطائر الحمام الزاجل يقطع آلاف الأميال عائدا الى وطنه بلا (بوصلة) ولا (خريطة) ولا دليل ، فاذا التبس عليه الطريق ، حوم برهة ثم ، قصد طريقه قدما عائدا الى موطنه دون أن يضل ٠

والنحلة تهتدى الى خليتها ، مهما طمست الريح فى هبوبها على الأعشاب والأشجار كل دليل يرى ٠

والطيور تهاجر من قطر الى قطر ، بل من قارة الى قارة ، ثم تعود الى مقرها الأول دون ان تخطىء ٠

ومن أعجب ما عرف فى هجرات الحيوان وهدايتها : **هجرة ثعابين الماء** ، التى تهاجر - حين يكتمل نموها - من مختلف البرك والأنهار ، وقدتقطع آلاف الأميال فى المحيط ، لتقصد كلها الى الأعماق السحيقة جنوبى برمودا ، وهناك تبيض وتموت ، أما صغارها - تلك التى لا تملك وسيلة لتعرف بها أى شىء سوى أنها فى مياه قفرة - فانها تعود ادراجها وتجد طريقها الى الشاطىء الذى جاءت منه أمهاتها ، ومن ثم الى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة ٠ ولذا يظل كل جسم من الماء آهلا بثعابين البحار ، لقد قاومت التيارات القوية ، وثبتت للأنواء والعواصف ، وغالبت الأمواج المتلاطمة على كل شاطىء ، ماضية فى طريق ليس لها به ادنى علم من قبل ، حتى تصل الى مياهها الخاصة بها ، ولم يحدث مرة أن صيد ثعبان افريقى فى مياه آسيوية ، او اوروبى فى مياه أمريكية أو العكس ٠

---

(١) (وجود الله) ص ٤٩ ، ٥١ ٠

هل نتحدث هنا عن **الهداية فى مملكة النحل** ، وكيف تصمم وتهندس ، وتبنى وتنسق ، وكيف توزع العمل وتتعاون على الانتاج والحراسة ، مما يعلمه الدارسون ، وما أفاض فيه الكاتبون ؟ وحسبنا اشارة القرآن الى هذه الهداية : « **وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبـال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ٠ ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** » (١) ٠

أم نتحدث عن **الهداية عند النمل** : « تلك الحشرة الاجتماعية » التى يضرب المثل بتعاونها وتضامنها ، والتى يبدو أنها تطبق المبدأ القائل : « أعظم خير لأكبر عدد » أنها تدخر رزقها فى الصيف ، وتحفظه فى مخازن التموين فى مستعمراتها ، حتى تنتفع به فى أيام الشتاء ، حيث يتعذر عليها الكسب والسعى والخروج من البيت ٠ واذا كان فيما خزنته ما ينبت عمدت اليه ففلقته فلقتين لئلا ينبت ، فاذا كان ينبت مع فلقه باثنتين فلقته بأربع ، فاذا أصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد ، انتظرت به يوما ذا شمس ، فخرجت به فنشرته على أبواب بيوتها ، ثم أعادته اليها ٠ فمن علمها هذا ، وهداها اليه ؟

ومن عجيب أمرها : أنها تدرك بالشم من البعد مـا يدرك غيرهـا بالبصر أو بالسمع ، فتاتى من مكان بعيد الى موضع اكل فيه الانسان ، وبقى فيه فتات من الخبز أو غيره ، فتحمله ، وان كان أكبر من وزنها ، فان عجزت عـن حمله ذهبت الى جحرها ، وجـاءت معها بطائفة مـن اصحابها ، فجاءوا كخيط أسود يتبع بعضهم بعضا ، حتى يتعاونوا على حمله ونقله ٠ وليس للنمل ملك ولا رئيس كما للنحل ، الا أن لها رائدا لا يكذبها ، يطلب الرزق فى مظانه ، فاذا وقف عليه أخبر جماعته ، فخرجوا مجتمعين متعاونين كما ذكرنا ، وكل نملة تجتهد فى صالح جماعتها ، غـير مختلسة لنفسها من الحب شيئا ٠

---

(١) النحل : ٦٨ ، ٦٩ ٠

أم نتحدث عن **الهداية عند طير كالحمام** ، الذى نرى الذكر والأنثى فيه يقتسمان أمر الفراخ بالعدل ، **فتقع معظم** الحضانة والتربية والكفالة على الأنثى ، ومعظم جلب القوت والرزق (اطعام الفراخ فى فمها) على الذكر ، وأنهما ليتعاونان فى اطعام فرخهما ، ويتدرجان به من حب لين رخو مخلوط بلعابهما الى ما هو أشد منه وأقوى ، حتى اذا علما أنه قد أطاق الالتقاط بنفسه ، منعاه بعض المنع ، ليحتاج الى اللقط ويعتاده ، فاذا أدركا أن حوصلته قد اتسعت وقويت ، وأن قوته قد تمت ، وأنهما ان فطماه فطما تاما قوى على الاستقلال بأمره ، تركاه يسعى ويكد فى طلب رزقه وكفاية نفسه بنفسه ، واذا سألهما الرزق - كما كان من قبل - منعاه وضرباه ، ونزعت تلك الرحمة العجيبة من قلبيهما ، وبدءا يعملان من جديد لانجاب آخر .

أم نتحدث عن **الهداية عند سائر الحيوانات** ، وقد قال ابن القيم (١) : « ان هداية الحيوانات الى مصالح معاشها كالبحر ، حدث عنه ولا حرج » . وفيها يقول :

من هدى الأنثى من السباع اذا وضعت ولدها ان ترفعه فى الهواء أياما تهرب به من الذر والنمل ، لأنها تضعه كقطعة من لحم ، فهى تخاف عليه الذر والنمل ، فلا تزال ترفعه وتضعه ، وتحوله من مكان الى مكان حتى يشتد ؟ .

ومن علم الأسد اذا مشى وخاف ان يقتفى اثره ويطلب عفى على اثر مشيه بذنبه ؟

ومن علم الثعلب اذا اشتد به الجوع ان يستلقى على ظهره ، ويحتبس نفسه الى داخل بدنه حتى ينتفخ ، فتظن الطير انه ميت فتقع عليه ، فيثب على من انقضى عمره منها ؟

---

(١) فى كتابه « شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » .

ومن علمه اذا اصابه صدع أو جرح ان ياتى الى صبغ معروف ، فياخذ منه ، ويضعه على جرحه كالمرهم ؟ .

ومن علم الأنثى من الفيل اذا دنا وقت ولادتها أن تاتى الى الماء فتلد فيه ، لأنها دون الحيوانات لا تلد الا قائمة ، لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان ، فتخاف أن تسقطه على الأرض فينصدع أو ينشق ، فتاتى ماء وسطا وتضعه فيه ، يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم ؟ .

ومن علم العصفور اذا سقط فرخها ان تستغيث فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجىء فيطيرون حول الفرخ ، ويحركونه بأفعالهم ، ويحدثون له قوة وهمية وحركة حتى يطير معهم ؟ .

ومن علم الحمامة اذا حملت أن تاخذ هى والأب فى بناء العش ، وأنيقيما له حروفا تشبه الحائط ، ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى ثم يقلبان البيض حتى يفرخ ؟

ومن علم المرسلة منها « الحمام الزاجل » اذا سافرت ليلا أن تستدل ببطون الأودية ومجارى المياه والجبال ، ومهاب الريح ، ومطلع الشمس ومغربها ، فتستدل بذلك وبغيره اذا ضلت ، واذا عرفت الطريق مرت كالريح ؟ .

ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة ، وتجعل فى اعلاها خيطا ثم تتعلق به ، فاذا تعرقلت البعوضة فى الشبكة تدلت اليها فاصطادتها ؟ .

ومن علم الظبى الا يدخل كناسه الا مستدبرا ، ليستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفه ؟ .

ومن علم السنور اذا راى فارة فى السقف ان يرفع راسه كالمشير اليها بالعودة ، ثم يشير اليها بالرجوع ، وانما يريد أن يدهشها ، فتنزلق فتسقط ؟ .

ومن علم اليربوع ان يحفر بيته فى سفح الوادى ، حيث يرتفع عن مجرى السيل ، ليسلم من مدق الحافر ، ومجرى الماء ويعمقه ، ثم يتخذ فى زواياه أبوابا عديدة ، ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزا رقيقا ، فاذا أحس بالشر فتح بعضها بايسر شىء وخرج منه ، ولما كان كثير النسيان لم يحفر بيته الا عند اكمة أو صخرة علامة له على البيت اذا ضل عنه ؟ .

قال العلامة ابن القيم ، بعد ان أطال فى هداية الحيوان :

وهذا باب واسع جدا ، ويكفى فيه قوله سبحانه :

« **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء ، ثم الى ربهم يحشرون** » (١) .

ويكفينا هنا أن نسال الماديين : كيف اتيح للذرات التى تتكون منها النحلة أو النملة أو الحمامة أو غيرها ، أن تهتدى الى تلك العمليات المعقدة دون خالق يرشدها ؟ ! .

غير أن الذى ينبغى ذكره هنا هو بعض ما أمدنا به العلم الحديث من معرفة اتسع بها مدلول الهداية لأكثر مما التفت اليه ، وعنى به علماؤنا المتقدمون من هداية الحيوانات الى مصالحها ومعيشتها ، وما به بقاؤها وتكاثرها - وبهذه السعة فى معنى الهداية . استبنا فى ضوء العلم سر التعميم المطلق فى قوله تعالى : « **ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » (٢) .

(ب) ولن نتحدث هنا عن عجائب الهداية فى عالم النبات ، وكيف يمتص كل نوع منه ما يناسبه من عناصر الأرض بنسب محدودة ، ومقادير معلومة ، رغم اتحاد التربة واختلاط العناصر فيها . فاذا هذا ملح ، وهذا حلو ، وهذا حامض ، وهذا مز ، وهذا مر ، وهذا بين بين . ترى

---

(١) الأنعام : ٣٨ .
(٢) طه : ٥٠

الشجرتين أو الشجرات متجاورة بل متلاصقة ، التراب واحد ، والماء واحد ، والهواء واحد ، والاضاءة واحدة ، والاشراف واحد ، ولكن شجرة منها لا تخطىء يوما فتأخذ ما ليس من مخصصاتها أو فوق ما ينبغى ، أو دون ما ينبغى . وهى الحقيقة التى سجلها القرآن المعجز فقال : « **وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** » (١) .

(جـ) انما الذى نتحدث عنه هنا ، ونلفت النظر اليه هو ما اهتدى اليه العلم من تكوين خلايا الحياة فى الجسم الحى وعملها وتضامنها ، وكيف تهتدى الى طريقها وتصيب هدفها ، ولا تخطئه ضمن ملايين الاحتمالات .

ان كل فرد منا أمة بل أمم منتظمة من ملايين ، بل بلايين من الخلايا . وكل خلية مواطن صالح يؤدى نصيبه الكامل من الخدمة الخالصة للمجموع فى أمانة وذكاء ومهارة .

وكل خلية من خلايا الحياة تحمل فى تركيبها ، من الخصائص ، مالا تحمله خلية أخرى فى عالم المادة جمعاء . وأول هذه الخصائص قابليتها للتكرار والتنويع وتعويض النقص وحفظ النوع ، وتجديده على النحو الذى ينفرد به كل نوع من الأنواع . فكل خلية من الجسم تعمل ما ينبغى ، على النحو الذى ينبغى ، وفى الوقت الذى ينبغى أن تعمل فيه . ان كل خلية تؤدى عملها المنوط بها لصالح بنية الجسم ، فى تعاون منقطع النظير مع سائر الخلايا ، التى تقدر بعدد الجنس البشرى كله على ظهر الأرض ، كان كل خلية على علم بالخلايا الأخرى وما تطلبه منها ، ولا تضل واحدة منها طريقها لمرض أو عجز طرأ عليها الا تكفل سائرها باصلاح خطئها وتقويم ضلالها .

وما ينهدم وما ينحل كل يوم من هذه الخلايا نتيجة الجهد والعمل ،

---

(١) الرعد : ٤ .

يذهب ويندفع الى حيث ينبغى ان تندفع الأنقاض والأجزاء المنحلة ، ويتلقى الجسم العويض الذى يعيدهـا الى الانتظام من جديد ، عن طريق الغذاء ·

وان العجب ليبلغ منا مداه اذا رجعنا بكل انسان منا الى نقطة البداية فى تاريخه ، الى النطفة (١) ·· الى الخلية الأولى الساذجة ، الخلية الملقحة التى لا تكاد ترى بالمجهر ، والتى تحتوى الدفقة الواحدة منها الوف الألوف · لننظر ماذا يقول العلم فى هذه الخلية الواحدة : كيف تمضى فى انشاء البناء الجسدى للانسان ، وأى هداية منحتها هذه الخلية التى لا قـوام لهـا ولا عقل ولا قـدرة ولا ارادة ، انهـا تبدأ فى الحـال بمجرد استقرارها فى الرحم ، فى عملية بحث عن الغذاء ، حيث تزودها الهداية الالهية بخاصة أكالة ، تحول بها جدار الرحم حولها الى بركـة من الدم السائل المعد للغذاء الطازج ، وبمجرد اطمئنانها على غذائها تبـدأ فى عملية جديدة ، عملية انقسام مستمرة ، تنشأ عنها خلايا ، وتعرف هذه الخلية الساذجة : ماذا هى فاعلة ، ماذا هى تريد · انها تعرف الهدف وتعرف الطريق · انها مكلفة أن تخصص كل مجموعة من هذه الخلايا الجديدة لبناء ركن من أركان هذه « العمارة » الهائلة : عمارة الجسم الانسانى · فهذه المجموعة تنطلق لتنشىء الهيكل العظمى ، وهذه المجموعة تنطلق لتنشىء الجهاز العضلى ، وهذه المجموعة تنطلق لتنشىء الجهاز العصبى ، وهذه المجموعة تنطلق لتنشىء الجهاز اللمفاوى ، الى آخر هذه الأركان الأساسية فى العمارة الانسانية ·

ولكن العمل ليس بمثل هذه البساطة · ان هنالك تخصصا أدق ، فكل عظم من العظام وكل عضلة من العضلات ، وكل عصب من الأعصاب ، لا يشبه الآخر ، لأن العمارة دقيقة الصنع ، عجيبة التكوين ، متنوعة الوظائف ، ومن ثم تنتظم كل مجموعة من الخلايا المنطلقة لبناء ركن

---

(١) قارن ما ذكره أبو حامد الغزالى عن ذلك فى الملحق رقم (٢) من هذا الكتاب وما كتبناه فى : (القرآن والكون) ، (الطب محراب الايمان) ·

من العمارة أن تتفرق طوائف متخصصة ، تقوم كل طائفة منها بنوع معين من العمل فى الركن المخصص لها من العمارة الكبيرة . ان كل خلية صغيرة ، تنطلق وهى تعرف طريقها . تعرف الى أين هى ذاهبة ، وماذا هو مطلوب منها ، ولا تخطىء واحدة منها طريقها فى هذه المتاهة الهائلة ، فالخلايا المكلفة بأن تكون العين ، تعرف أن العين ينبغى أن تكون فى الوجه ، ولا يجوز ابدا أن تكون فى البطن أو القدم أو الذراع ، مع أن كل موضع من هذه المواضع ، يمكن أن تنمو فيه عين ، لو أخذت الخلية الأولى المكلفة بصنع العين ، وزرعت فى أى من هذه المواضع ، لصنعت عينا هنالك . ولكنها هى بذاتها حين تنطلق ، لا تذهب الا للمكان المخصص للعين فى هذا الجهاز الانسانى المعقد فمن ترى قال لها : أن هذا الجهاز يحتاج الى عين فى هذا المكان دون سواه ؟ ويا ترى من ذا الذى رعاها ووجهها وهداها الى طريقها فى تلك المتاهة التى لا هادى فيها ولا دليل .

وكل تلك الخلايا فرادى ومجتمعة ، تعمل فى نطاق ترسمه لها مجموعة معينة من الوحدات كامنة فيها ، وهى وحدات الوراثة (الجينات) الحافظة لسجل النوع ولخصائص الأجداد . فخلية العين - وهى تنقسم وتتكاثر لكى تكون العين - تحاول ان تحافظ فى أثناء العمل على شكل معين للعين ، وخصائص محدودة ، تجعلها عين انسان لا عين حيوان آخر ، وانسان لأجداده شكل معين للعين وخصائص معينة . وأقل انحراف فى تصميم هذه العين من ناحية الشكل أو ناحية الخصائص ، يحيد بها عن الخط المرسوم . فمن ذا الذى أودعها هذه القدرة ، وعلمها ذلك التعليم ؟ وهى الخلية الساذجة التى لا عقل لها ولا ادراك ، ولا ارادة لها ولا قوة ؟ ومن ذا الذى علمها ما يعجز الانسان كله عن تصميمه ، لو وكل اليه تصميم عين أو جزء من عين ، بينما خلية واحدة منه أو عدة خلايا ساذجة تقوم بهذا العمل العظيم !! (١) .

---

(١) هذه العناصر عن رسالة (وجود الله) للدكتور القرضاوى ص ٥١ وما بعدها وانظر : (من آيات الله فى الأنفس) رسالة ماجستير أعدها الطبيب محمود عطية زايد باشرافنا ١٤٠٦ هـ .

ابن رشد والأدلة الكونية :

وننبه ـ هنا ـ الى أن ابن رشد الحفيد قد رأى تقسيم الأدلة الكونية على وجود الله الى دليلين اثنين ؛ هما : (١) **دليل الاختراع أو الخلق** ، (٢) **دليل العناية الالهية** فنراه قد أدمج (التسوية) و (التقدير) و (الهداية) فى دليل واحد أطلق عليه : دليل العناية الالهية ، وابن رشد ـ فى راينا ـ من حير من استدلوا على وجود الله ، من بين عموم الفلاسفة والمتكلمين ـ واصحهم دليلا ؛ ذلك لأنه استخرج أدلته من الكتاب العزيز ، ولم يلجأ كما لجأ المتكلمون والفلاسفة الى الاستدلال بأدلة غير يقينية ولا شرعية ، كما سنذكر بعد قليل (١) ٠

---

(١) ابن رشد : (الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة) ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ من مجموع رسائل ابن رشد ، وانظر الكتاب بتحقيق المرحوم الدكتور محمود قاسم ، طبعة الأنجلو المصرية الثالثة ص ١٥١ ـ ١٥٥ ، وقد كتب له الدكتور قاسم مقدمة ممتازة ٠

(ملحق ٢)

بيان كيفية التفكر فى خلق الله تعالى
لأبى حامد الغــزالى

« اعلم أن كل ما فى الوجود ـ مما سوى الله تعالى ـ فهو فعل الله وخلقه ، وكل ذرة من الذرات ـ من جوهر وعرض وصفة وموصوف ـ ففيها عجائب وغرائب ، تظهر بها حكمة الله ، وقدرته وجلاله وعظمته ، واحصاء ذلك غير ممكن ؛ لأنه لو كان البحر مدادا لذلك ، لنفد البحر البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ، ولكنا نشير الى جمل من ذلك ليكــون كالمثال لما عداه ....

وقال الله تعالى : « ومن آياته » من أول القرآن الى آخره ، ... فلا تتحرك ذرة فى السموات والأرض ، من جماد ولا نبات ، ولا حيوان ، ولا فلك ، ولا كوكب ، الا والله تعالى هو محركها ، وفى حركتها حكمة ، أو حكمتــان ، أو عشر ، أو ألف حكمة ، كــل ذلك شــاهد لله تعــالى بالوحدانية ، ودال على جلاله وكبريــائه ، وهى الآيات الدالة عليــه سبحانه ....

التفكر فى خلق الانسان :

(فمن آياته) : الانسان **المخلوق من النطفة** ـ وأقرب شىء اليك نفسك ـ وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى مــا تنقضى الأعمار فى الوقوف على عشر عشيره ، وأنت غافل عنه .

فيا من هو غافل عن نفسه ، وجاهل بها ، كيف تطمع فى معرفة غيرك ؟ وقد أمرك الله تعالى بالتدبر فى نفسك ، فى كتابه العزيز فقال : « **وفى انفسكم افلا تبصرون** » ، وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال : « **قتل الانسان ما اكفره من اى شىء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم اماته فاقبره ، ثم اذا شاء أنشره** » . **وقال تعالى : « ومــن آياتــه أن خلقكم مــن تــراب ثــم اذا انتم بشر تنتشرون »** ،

وقال : (**الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى**) وقال تعالى : (**الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم**) وقال (**أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصم مبين**) وقال (**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج**) ثم ذكر : كيف جعل النطفة علقة ، والعلقة مضغة ، والمضغة عظاما ، فقال تعالى (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم ثم خلقنا النطفة علقة**) الآية .

فتكرير ذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر فى معناه ، فانظر الآن الى النطفة ـ وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت ـ كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب ، وكيف جمع بين الذكر والأنثى ، وألقى الألفة والمحبة فى قلوبهم ، وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع ، وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع ، وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ؟ .

ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ، ثم كيف جعلها مضغة ، ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهى متساوية متشابهة الى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم ؟ ثم كيف ركب من اللحوم والأعصاب والعروق : الأعضاء الظاهرة ، فدور الرأس وشق السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ ، ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالأصابع ، وقسم الأصابع بالأنامل ؟ ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء ، كل واحد على شكل مخصوص ومقدار لعمل مخصوص ! ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر ؛ فركب العين من سبع طبقات ، لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار ، فلو ذهبنا الى أن نصف ما فى آحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الأعمار .

فانظر الآن : الى العظام وهى أجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ، ثم جعلها قواما للبدن وعمادا لـه ، ثـم قدرهـا بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق . ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه ، مفتقرا للتردد فى حاجاته ، لم يجعل عظمه عظما واحدا ؛ بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة ، وقدر شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها ، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له ، ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منه ، وفى الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها ، فصار العبد ان أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ، ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك .

ثم انظر : **كيف خلق عظام الراس** وكيف جمعها وركبها ، وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الرأس ـ كما تراه ـ فمنها ستة تخص القحف ، وأربعة عشر للحى الأعلى ، واثنان للحى الأسفل ، والبقية هى الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن ، وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الأنياب والأضراس والثنايا : ثم جعل الرقبة للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات ، فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ـ ويطول ذكر وجه الحكمة فيها .

ثم ركب الرقبة على الظهر ، وركب الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة ، وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة ، فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء .

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر ، وعظام الكتف ، وعظام اليدين ، وعظام العانة ، وعظام العجز ، وعظام الفخذين والساقين

واصابع الرجلين ، فلا نطول بذكر عدد ذلك · ومجموع عدد العظام فى بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما ، سوى العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل · **فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة !!**

وليس المقصود من ذكر اعداد العظام أن يعرف عددها ، فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء والمشرحون ، **انما الغرض أن ينظر منها فى مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها ، وخصصها** بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على **الانسان** يحتاج الى قلعه ، ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا **يحتاج الى جبره** ، فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج فى جبرها ، **واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها ، فشتان بين النظرين !!**

ثم انظر : كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهى العضلات ، فخلق فى بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة - والعضلة مركبة من لحم ورباط وأغشية - وهى مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها · **فاربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين ·** وهكذا لكل عضو بعدد مخصوص وقدر مخصوص · وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من **هذا كله** - وشرحه يطول - **فللفكر مجال فى آحاد هذه الأجزاء ، ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن** · وعجائب المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس اعظم ، **فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه** والى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة ما يقضى به العجب ، **وكل ذلك صنع الله فى قطرة ماء قذرة ، فترى من هذا صنعه فى قطرة ماء** ، فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته فى أوضاعها واشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف

صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ؟ فلا تظنن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم ؛ بل هى أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان . بل لا نسبة لجميع ما فى الأرض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى (**أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها**) .

فارجع الآن الى **النطفة وتأمل حالها أولا ، وما صارت اليه ثانيا ، وتأمل أنه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظاما أو عرقا أو عصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون** على ذلك ؟ بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته ، وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه . فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حائط تأنق النقاش فى تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها : كأنه انسان ! عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقة وخفة يده وتمام فطنته ، وعظم فى قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة ، انما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالقدرة وبالعلم وبالارادة ، وشىء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره ، وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص ، فيكثر تعجبك منه وتستعظمه .

وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة ، فخلقها خالقها فى الأصلاب والترائب ، ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها ، وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها . وقسم أجزاءها المتشابهة الى أجزاء مختلفة فأحكم العظام فى أرجائها ، وحسن أشكال أعضائها ، وزين ظاهرها وباطنها ، ورتب عروقها وأعصابها ، وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها ، وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة . وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ، ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها ، ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها ، ثم أظهر فى مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها . ثم شق أذنيه وأودعها ماء

مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها ، وحوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها ، وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة فى حالة النوم . ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله ، وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته ، وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه . وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما فى القلب .

وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع ، فأحكم أصولها وحدد رءوسها وبيض لونها ، ورتب صفوفها متساوية الرءوس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم ، وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام . وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت ، وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها . ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر ، حتى اختلفت بسببها الأصوات ، فلا يتشابه صوتان ، بل يظهر بين كل صوتين فرقا حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة . ثم زين الرأس والأصداغ ، وزين الوجه باللحية والحاجبين ، وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل ، وزين العينين بالأهداب .

ثم خلق الأعضاء الباطنة ، وسخر كل واحد لفعل مخصوص . فسخر المعدة لنضج الغذاء ، والكبد لاحالة الغذاء الى الدم ، والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد . فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها . والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها . والكلية تخدمها بجذب المائية عنها . والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ، ثم تخرجه فى طريق الاحليل : والعروق تخدم الكبد فى ايصال الدم الى سائر أطراف البدن . ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد ، وعرض الكف ، وقسم الأصابع الخمس • وقسم كل

أصبع بثلاث انامل : ووضع الأربعة فى جانب والابهام فى جانب لتدور الابهام على الجميع . ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر ، فى وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الأربع وتفاوت الأربع فى الطول وترتبها فى صف واحد لم يقدروا عليه ؛ اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء ، فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد ، وان جمعها كانت له آلة للضرب ، وان بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له .

ثم خلق الأظفار على رءوسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع ، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التى لا تتناولها الأنامل ، وليحك بها بدنه عند الحاجة ، فالظفر الذى هو أخس الأعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ، ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه . ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ، ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل . ثم خلق هذا كله من النطفة وهى فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث ، ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد اليه البصر لكان يرى التخطيط يظهر عليها شيئا فشيئا ، ولا يرى المصور ولا آلته ! فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه ؟ فسبحانه ما أعظم شانه واظهر برهانه !!

ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته ، فانه لما ضاق الرحم عن الصبى لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك ، وخرج من ذلك المضيق المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه .

ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقادم الثدى ؟ ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا ، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن ، وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبى ، ثم فتح فى حلمة الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج

اللبن منه الا بعد المص تدريجا ، فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ، ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ؟ .

ثم انظر الى عطفه ، ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الأسنان الى تمام الحولين لأنه فى الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغنى عن السن ، واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ، ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها ، **فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة فى تلك اللثات اللينة !!** ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه . فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه .

ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل ، فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ؛ اما كفورا أو شكورا ؛ مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى **(هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) فانظر الى اللطف والكرم ، ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية !!**

والعجب كل العجب ممن يرى خطاً حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه ، فيصرف جميع همه الى التفكر فى النقاش والخطاط وأنه كيف اقتدر عليه ! ولا يزال يستعظمه فى نفسه ويقول : ما أحذقه ! وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ! ثم ينظر الى هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن عن صانعه ومصوره ، فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته ؟ فهذه نبذة من عجائب بدنك التى لا يمكن استقصاؤها ، **فهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل** عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك . ولا تعرف من نفسك الا أن تجوع فتاكل وتشبع فتنام ، وتشتهى

فتجامع ، وتعصب فتقاتل . والبهائم كلها تشاركك فى معرفة ذلك ، **وانما خاصية الانسان - التى حجبت البهائم عنها - معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس ؛ اذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين** . وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير ، اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك ، وأما هو ، فقد خلق الله له القدرة ، ثم عطلها ، وكفر نعمة الله فيها . فاولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا » . هذه رؤية أبى حامد - رحمه الله - قبل ألف سنة ، فما بالك اليوم ، وقد اكتشفت المجاهر والمناظير والتصوير بالموجات والكاميرات الدقيقة .. فهل نعى ونتفكر ليزداد ايماننا بخالقنا سبحانه !!

٣ - دلالة الوحى : (قصص الأنبياء) :

أورد القرآن فى آيات عديدة قصص الأنبياء عليهم السلام ، وهى تدل على وجود الله من ناحيتين : **أولاهما : أن الله نصر أنبياءه فى أوقات الشدة ، وقواهم وشددهم بالمعجزات حيث لم يكن لهم ناصر ولا معين . فقد نجى الله ابراهيم من النار ، وشق البحر لموسى ، ونجاه من بطش فرعون وقومه ، وأخرج يونس من الظلمات (من بطن الحوت فى أعماق البحر) ، وعصم يوسف من الفتنة العاصفة ، ونصر محمدا صلى الله عليه وسلم ، فى كثير من غزواته بما يسره له من أسباب النصر الالهية التى لا تقع فى نطاق الأسباب المعتادة ، أو فى قدرة بشر ، وأنزل عليه القرآن الحكيم الذى عجز الانس والجن عن الاتيان بمثله ، وهكذا ... ولم تكن تلك المعجزات من صنع الأنبياء ، ولا داخلة فى نطاق قدرتهم ، بل انها كانت فوق قدرة جميع البشر ، ولذلك يمكن الاعتماد عليها فى الاستدلال على وجود الله .. وها هو القرآن قائم يتحدى البشر جميعا أن يأتوا بسورة من مثله ، وهيهات لهم هيهات . فهو آية ودليل على وجود الله سبحانه ، وعلى واسع علمه وبالغ حكمته ، وكماله . وكلما تقدم العلم ،**

ونمت معارف البشر ، اكتشف العالمون فى هذا القرآن من البينات ما يزيل شك الشاكين .

أما الناحية الثانية : فهى مستنبطة مما نزل بأقوام الأنبياء من العذاب ؛ ذلك أن كثيرا من أقوام الأنبياء لم يستجيبوا لدعوة الحق ، بل استمروا على ضلالهم ، وظلوا على عنادهم واستكبارهم ، وقد أنذرهم الأنبياء بأن الله الذى أرسلهم سيصب على الكافرين عذابه ، وينزل عليهم نقمته ، فلما أصروا واستكبروا نزل بهم عذاب الله فى الوقت الذى حدده لهم الأنبياء ، ولو كان هذا العذاب فى طاقة البشر لنسبناه الى الأنبياء ، لكنه عذاب يفوق طاقة البشر (١) ، وقد سجل القرآن ذلك فى آيات كثيرة (٢) . وقد صدق الله ، وصدق المرسلين .

توظيف حقائق العلم الحديث فى الاستدلال على صحة العقائد وتثبيتها فى النفوس :

مما لا جدال فيه أن العلم الطبيعى أو الكونى أو التجريبى ؛ أى العلم الذى يدرس الآفاق والأنفس دراسة مؤسسة على التجربة والملاحظة ، قد نما - فى العصر الحديث وازدهر ازدهارا لم يكن للانسان به سابق عهد ، فقد اكتشف كثير من القوانين العلمية ، والسنن الكونية ، والعلاقات بين الظواهر ، مما يجعل هذا العصر - بحق - عصر العلم الطبيعى التجريبى الحديث.

ومما يذكر أن بعض هؤلاء العلماء الطبيعيين - نتيجة لظروف وملابسات معينة على الساحة الغربية - قد أذهلهم هذا التقدم الهائل ،

---

(١) د . مدكور : (مذكرات) ص ٨٩ - ٩٠ ، وانظر للمهتدى على بن ربن الطبرى : (الدين والدولة فى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) بتحقيق عادل نويهض ، طبعة دار الآفاق - بيروت .
وانظر رسالة (وجود الله) ص ٧١ - ٧٣ .

(٢) انظر مثلا : سورة هود ٦٤ - ٦٨ ، ٨١ - ٨٣ ، والشمس ومواضع كثيرة فى كتاب الله تعالى .

وأصابتهم نشوة ، سرعان ما تحولت الى لوثة عقلية وشعورية ؛ فصرخوا بأن : العلم الحديث قضى على العقائد الدينية قضاء مبرما . وقالوا كلاما كثيرا سخيفا لخصه الأستاذ وحيد الدين خان فى فصل : (قضية معارضى الدين) (١) .

وقد نبتت - متأثرة بهذا الاتجاه - ثلاث نظريات فى حقول علمية متفاوتة ؛ هى نظريات : (التطورية) و (تفسير الدين بانه انعاكس للا شعور أو اللاوعى) و (نظرية التفسير المادى للتاريخ والدين والقيم الخ) وهى محور الفلسفة الماركسية . وقد تضافرت هذه النظريات على تفسير الوجود تفسيرا ماديا ميكانيكيا آليا . أو بعبارة أخرى : انهم لم يعترفوا بالله خالق حكيم عليم ، خلق هذا الوجود ، محاولين ايهام البسطاء بانهم ، فى رأيهم هذا ، انما يستندون الى مناهج العلم وطرائقه فى البحث واكتشاف الحقائق ، وان (المادية) أو (تاليه المادة) حقيقة يقرها العلم ويؤكدها .

لكن سرعان ما أخذ هذا التفسير المادى للوجود فى التراجع والاضمحلال ، وبدأ بعض الشاردين من العلماء يثوبون الى رشدهم .. بل أخذ العلم تدريجيا يتجه الى ساحة الايمان ، بل أضحت حقائقه ، وثمرات كشوفه واحدة من وسائل ترسيخ اليقين بوجود الله تعالى وصحة العقائد الايمانية ، ورأينا من بين العلماء من يصرح بأن (تقدم العلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله » وليس الى الكفر به .

واكثر من ذلك بدأ أئمة العلماء التجريبين يضعون مؤلفات تحاول

---

(١) للتوسع انظر : (الاسلام يتحدى) ، (الله) للعقاد ، (قصة الايمان) للشيخ نديم الجسر ، و (مذكرات) الدكتور عبد الحميد مدكور ، ولنا : (القرآن والكون) والكسيس كاريل : (الانسان ذلك المجهول) ، ومؤلفات (لينين) وجوليان هكسلى ، واوجست كونت ، وداروين ، وسيجموند فرويد .. الخ . وانظر (نقض أوهام المادية الجدلية) للدكتور سعيد رمضان البوطى ، ولنا (مدخل نقدى لدراسة الفلسفة .

توظيف نتائج بحوثهم - فى تخصصاتهم العلمية المختلفة - واستثمارها فى مجال تثبيت العقائد الايمانية وتاسيس اليقين (١) . بل ان هيئة قد انشئت - فى رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة - للاهتمام بهذا الاتجاه وتنميته .

وان نتائج هذه العلوم تتضافر على تاكيد حقائق علمية لها أهميتها البالغة فى مجال تاسيس اليقين وترسيخ العقائد الايمانية ، نذكر منها على سبيل المثال : ما انتهوا اليه - فى فروع شتى من العلم ؛ **أن هذا الكون الذى نعيش فيه له بداية ، وله نهاية ، وأنه حادث ، اى ان له أولا ، وله آخرا (٢) ، وأنه مخلوق مصنوع** ، واستنادا الى مبدأ السببية - فلا بد له من صانع خالق .

كما ان نتائج العلم تضافرت على أن هذا الكون مشمول بعناية

---

(١) مثل كتاب كريسى موريسون (العلم يدعو للايمان) و (الله يتجلى فى عصر العلم و (الدراسات التى قدمت الى مؤتمرات : الاعجاز العلمى فى القرآن وكذلك : الاعجاز الطبى) .

(٢) مما يثبت أن للكون بداية : أن العناصر المشعة فيه تفقد اشعاعها بالتدريج ، وطالما أن هذه العناصر تفقد أشعاعها تدريجيا فهذا يعنى أن لهذه العناصر بداية ، فلو كانت بلا بداية لفقدت كامل اشعاعها منذ أمد بعيد . ومعنى ذلك أن المادة ليست أزلية ، اى لها بداية .

- كما أن الكيمياء تكشف أن المواد فى طريقها الى التلاشى والفناء والزوال ، وان كان بعضها يسير نحو الفناء بسرعة اكبر ؛ وهذا يدل على أن الكون ليس أبديا أى أن له نهاية . كما أن العلماء يرون أن الطاقة فى هذا الكون فى تناقض والى نضوب ، وساعتئذ لن تكون حياة ولا أحياء ، وفى هذا دلالة على أن الكون له بداية ، لأن الحياة لم تزل قائمة ، لأنه لو افترض أن الكون بلا بداية فان معنى ذلك أن تكون الحرارة والطاقة قد نصبا منذ وقت بعيد ، ولتوقف كل نشاط فى الوجود . للتوسع راجع (الله يتجلى فى عصر العلم) وهو كتاب وضعه مجموعة من أعيان العلماء الطبيعيين - فى الغرب - استدل كل واحد منهم على وجود الله تعالى ، موظفا حقائق العلم فى تخصصه . وأشرف على تحريره جون كلوفر مونسما ، وترجمة الدكتور الدمرداش سرحان - ونشر فى مؤسسة الحلبى .

حكيمة قادرة ؛ لما رأوا فيه من حكمة ، ودقــة ، وانضبــاط ، وتــوازن ، وانسجام ، ونظام ، وثبات وتدبير ، وتقدير ، وقصد واتقان ، وبعد عن الاعتباط والعشوائية والتخبط أو الاتفاق والمصادفة ٠

ان هذه النتائج العلمية ، أو الحقائق التى أثمرتها بحوث العلماء الطبيعيين ، تفرض على العقل ، وتملأ الشعور والوجدان بأن يعتقد فى (اله) خالق حكيم عليم قادر يتمتع بصفات الكمال والجمال والجلال ، كيف لا ، وقد رأوا صورة ذلك فى كل مظهر ومجلى من مظاهر الوجود ومجاليه ٠

ولا شك عندنا أن نمو هذه العلوم وازدهارها واطرادها ، سيعمل على سوق الناس ـ رويدا رويدا ـ الى ساحة الايمان بالله ، والتسليم له ، والسجود لوجهه الكريم ٠

نقد منهج المتكلمين فى الاستدلال على وجود الله تعالى :

لقد شغلت قضية « البرهنة على وجود الله » عقول المتكلمين قاطبة ، حتى انه ليندر أن تقع على كتاب من كتب النظار لا تتصدره البرهنة على وجود الله تعالى ، أو اثبات البارى • لقد بذلوا جهدا كبيرا جدا فى ذلك (١) ، وتوسلوا الى غايتهم هذه بمحاولة اثبات (حدوث العالم) • فاثبات حدوث العالم منطلق طبيعى لاثبات وجود البارى عز وجل ، من جهة ، وللرد على القائلين بأزلية العالم أو بقدمه من جهة أخرى •

وأعتمد معظم المتكلمين - فى اثبات حدوث العالم - توطئة لاثبات وجود الله تعالى - على دليلين مشهورين ؛ هما : ١ - دليل الجوهر الفرد • ٢ - دليل الممكن والواجب •

---

(١) انظر على سبيل المثال : للباقلانى : (التمهيد) ص ٣٦ - ٤٤ بتحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت •

- وانظر له أيضا : (الانصاف) ص ١٦ وما بعدها ، بتحقيق زاهد الكوثرى ، مؤسسة الخانجى •

- وانظر لأبى منصور عبد القاهر البغدادى : (أصول الدين) مواضع متفرقة ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت •

- وانظر للفخر الرازى : محصل أفكار المتقدمين والمتاخرين ص ١٦٠ وما بعدها ، طبعة دار الكتاب العربى •

- وانظر لشمس الدين السمرقندى : (الصحائف الالهية) ص ١٦٦ وما بعدها ، بتحقيق الدكتور أحمد الشريف ، نشرة الفلاح بالكويت •

- وانظر : (المواقف فى علم الكلام) لعضد الدين الايجى) نشر عالم الكتب • بيروت • ص ٢٥١ وما بعدها •

- وانظر : الجوينى : لمع الأدلة ، ص ٧٦ - ٨٠ ، بتحقيق الأستاذة الدكتورة فوقية حسين ، الدار المصرية للتاليف ١٩٦٥ م •

- وانظر الغزالى : (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص ٢٩ - ٣٠ •

- وانظر أبو منصور الماتريدى : (التوحيد) ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ بتحقيق الدكتور فتح الله خليف •

أولا : دليل الجوهر والعرض :

وهو ينسب الى أبى الهذيل العلاف المعتزلى ، وقد أخذه عنه كثير من متكلمى المعتزلة والأشاعرة . ويقوم هذا الدليل على أن الأجسام تنقسم الى جواهر وأعراض ، فالجواهر ما قامت بنفسها ، والأعراض لا تقوم بنفسها ، بل بالجواهر . وهذه الأعراض متغيرة متحولة ، ومن ثم هى حادثة .. وهذه الأعراض الحادثة ملازمة للجواهر ، وما لا زمه الحادث لا بد أن يكون حادثا مثله . وبما أن الأعراض حادثة لتغيرها وتحولها ، وبما أن الجواهر حادثة لملازمة الأعراض لها ، وما لازم الحادث مثله .. وبما أن الأجسام تتالف من الجواهر والأعراض ، وهما حادثان ، فالأجسام حادثة . وكل حادث لا بد له من محدث يحدثه .. وهذا المحدث هو الله تعالى .

وظن المتكلمون انهم بهذا (اللغز) الذى ذكروه ، انهم قدموا برهانا يقينيا قاطعا ، وأنهم قد أثبتوا به وجود الله تعالى ! .

وانا لنتفق مع (أخينا الدكتور عبد الحميد مدكور) فى أن المتكلمين قد قصدوا غاية نبيلة شريفة اذ أنهم راموا - بهذه الطريقة الفجة - أن يبينوا أن الكون - فى بدايته واستمرار وجوده - مفتقر الى الله تعالى . وأن قدرة الله تعالى هى التى تخلق الأشياء خلقا مستمرا ، وأن هذه المخلوقات لا تستغنى عن قدرة الله لحظة واحدة (١) ، لكنهم لم يوفقوا فى اختيار الوسيلة .. فسلكوا طريقة وعرة متعرجة ، ووظفوا مقدمات غير مسلمة ، وغير يقينية ، ولم تكن براهينهم معتمدة على المقدمات البدهية الحسية التى اعتمدت عليها أدلة القرآن الكريم .. ومن ثم جاءوا بدليل « مبتدع فى الشرع وباطل فى العقل » (٢) .. على حد تعبير ابن تيمية .

---

(١) مذكرات .. ص ٧٥ وما بعدها .
(٢) معارج الوصول ص ٦ .

لقد أعرض المتكلمون - فى اثبات وجود الله - عن الدلالات التى بعث الله تعالى بها رسله ، وقلدوا الفلاسفة ، فانقطع بهم الطريق ، وجاءوا بدليل مبتدع فى الشرع وباطل فى العقل . ومن ثم انتقدهم أئمة العلماء مثل الامام أبى الحسن الأشعرى (١) . وابن رشد الحفيد (٢) ، وابن تيمية (٣) وغيرهم (٤) .

ويمكن تلخيص ضروب النقد الذى وجه الى المتكلمين فى برهانهم هذا فيما يلى :

(أ) « الايمان بوجود الله تعالى من أهم أصول العقيدة . ولذلك ينبغى أن يقوم الحديث فيه على براهين واضحة ومقدمات بديهية يمكن فهمها بلا مشقة ويمكن الاقتناع بها والتسليم لها بلا عناء . وطريقة المتكلمين هذه فاقدة لهذا الشرط ؟ لأنها تعتمد على مقدمات غير واضحة وغير يقينية . والدليل على ذلك ما قام به المتكلمون أنفسهم من جهود مضنية لاثبات صحة المقدمات التى اعتمدت عليها هذه الطريقة . فقد أضطروا الى البرهنة على اثبات وجود الأعراض أولا ، ثم برهنوا ثانيا على أنها حادثة ، ثم برهنوا ثالثا على أن الجواهر لا تخلوا من الأعراض ، ثم برهنوا رابعا على أن ما لا يخلو من الحوادث حادث . وكانوا مضطرين

---

(١) (رسالة أهل الثغر) وقد نشرها الأستاذ الدكتور محمد الجليند بعنوان : (أصول أهل السنة والجماعة) ص ٥٤ - وما بعدها .

(٢) ابن رشد : الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد أهل الملة ، بتحقيق أ . د محمود قاسم ، .

(٣) (معارج الوصول) ، (ونقض المنطق) ، (والرد على المنطقيين) ، (ودرء تعارض العقل والنقل) و (الفتاوى) . وغيرها .

(٤) مقدمة الدكتور محمود قاسم لكتاب ابن رشد (مناهج الأدلة) ، والدكتور عبد الحميد مدكور فى (مذكرات فى علم الكلام) ، والدكتور محمد الجليند فى مقدمة تحقيقه لكتاب (التوحيد) لابن تيمية ص ١٠٦ وما بعدها نشر مؤسسة علوم القرآن . ولنا : (القرآن والكون) ص ٤١ وما بعدها .

الى القيام بهذا الجهد كله لأن المقدمات التى أعتمدوا عليها ليست يقينية بدليل وجود من يخالفهم فى صحة هذه المقدمات (١) ٠

(ب) تؤدى هذه الطريقة الى عدد من المشكلات والشبهات ، والمفروض والمتوقع أن تزيل هذه الطريقة المشكلات ، لا أن تؤدى الى وجودها ، ومن هذه المشكلات التى تؤدى اليها هذه الطريقة قولهم : ان الأعراض كلها حادثة ؛ وهو معترض عليه بأن ذلك لا يصدق على جميع الأعراض بل ينطبق - فقط - على ما نشاهده منها ، أما ما لا نشاهد حدوثه منذ البدء فلا نستطيع تطبيق هذا الحكم عليه كحركات الكواكب والاجرام السماوية التى لم نشاهد حدوثها لأنها سابقة فى الوجود علينا - وهى - مع ذلك - غير متغيرة لأنها تسير على نمط ثابت وقانون مطرد لا يتغير ٠ كما يعترض على قولهم أن الأعراض حادثة بأن الزمان عرض من الاعراض ، ومن العسير على الذهن تصور حدوثه ، لأن الذهن يتصور قبل كل زمان زمانا آخر سابقا عليه ، وهذا قد يؤدى الى تصور قدم العالم ، وهو عكس ما يريد المتكلمون اثباته ٠

وقد كان هذا النقد بعض ما قدمه ابن رشد من اعتراضات على دليل المتكلمين (٢) ٠

(جـ) ان هذه الطريقة ليست طريقة شرعية ، فليست هى التى دعانا الله ورسوله الى الايمان به ،عن طريقها ،ولم تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا عن الصحابة والتابعين ، ولا يعرفها سلف الأمة الآخذون بسنة الرسول عليه السلام ٠ والبحث عن مصدر هذه الطريقة يدل على أنها ماخوذة عن نظرية يونانية ، تقسم الجسم الى جواهر فردة ٠ ومن أشهر القائلين بها ديمقريطس (٣٦١ ٠ ق ٠ م) وهذه الطريقة كانت موضع خلاف بين الفلاسفة أنفسهم فبعضهم يثبتها ، وبعضهم

---

(١) انظر مثلا شرح الأصول الخمسة من ٩٤ الى ١٢٢ طبعة وهبة ٠
(٢) مناهج الأدلة ١٤١ ، ١٤٢ ٠

ينفيها (١) ، ثم أنها تؤدى ـ عند أصحابها ـ الى القول بقدم العالم (٢) لا الى حدوث العالم كما أراد المتكلمون من وراء الاستناد الى هذه النظرية ٠

(د) يترتب على ما سبق أن هذه الطريقة فى الاستدلال ليست موضع قبول ؛ لأنها لا تصلح لاقناع عامة الناس لعجزهم عن فهمها والانتفاع بها ، بسبب ما فيها من مصطلحات غامضة ومقدمات معقدة ٠ ثم لا تصلح هذه الطريقة أيضا لاقناع الخاصة وأهل البرهان ؛ لأن مقدماتها ليست يقينية ٠

فهل يقبل من المتكلمين أن يستندوا الى نظرية مشكوك فيها عند اصحابها وهى فى الوقت ذاته مؤدية الى قدم العالم لتكون دليلا من أدلتهم على وجود الله تعالى ؟! ثم الم يكن الاولى بالمتكلمين أن يعتمدوا على أدلة القرآن الكريم التى تقوم على الوضوح والاقناع ؟! (٣) ٠

ثانيا : دليل الممكن والواجب :

ينسب ابن رشد هذا الدليل الى الجوينى ، وقد رؤى أثره عند أبى منصور الماتريدى (ت ٣٣٣ هـ) من قبل (٤) ٠ وخلاصة هذا الدليل ٠

« أن العالم ممكن ، وكل ممكن يحتاج الى مخصص ومرجح ٠ اذا ، فالعالم ـ لأنه ممكن ـ بحاجة الى مخصص ومرجح ، وهو الله تعالى ٠

وقد عيب على هذا الدليل أنه ليس برهانيا ٠ لأن بعض مقدماته موضع اختلاف ، ثم انه يبدو مصادما للعلم القائم على أن الكون تحكمه قوانين ثابتة مطردة ، وهذا ينقض فكرة (الامكان) التى يتأسس عليها الدليل ٠ يضاف الى كل ذلك أنه ليس شرعيا ، وليس له من الوضوح

---

(١) ونذكر بأن النظام وابن حزم ينفيانها كذلك ٠

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ٣٨ ـ ٤٠ ٠

(٣) عن الدكتور عبد الحميد مدكور (مذكرات) ص ٧٦ ـ ٧٨ ٠

(٤) انظر د ٠ حسام الألوسى ، حوار بين المتكلمين والفلاسفة ص ١٦٩ ، والدكتور على المغربى : (أبو منصور الماتريدى وآراؤه الكلامية) ص ١٣٢ ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ م ٠

والبداهة واليقينية ما يجعله الدليل الأمثل فى قضية الايمان بالله تعالى ، كما أن هذا الدليل من مخلفات الفلاسفة ، وقد قال به ابن سينا والفارابى ، ونقده ابن رشد وابن تيمية وأبو البركات البغدادى نقدا مريرا لاذعا . فهو يلحق سابقه : (دليل الأعراض والجواهر) فى كونه ليس شرعيا ولا برهانيا . وبذلك يمكن أن يقال أن الجهد الذى بذله المتكلمون لا طائل من ورائه ، ولا عناء فيه ؛ وما ذلك الا لاعراضهم عن أدلة الشرع الواضحة البرهانية التى تورث اليقين والاطمئنان والثقة ، وتملأ الكينونة الانسانية كلها ؛ فضلا عن العقل والقلب . وعلى ذلك ، فأدلة المتكلمين على وجود الله (**مبتدعة فى الشرع ... باطلة فى العقل**) .

ثانيا : توحيد الله تعـــالى

١ ـ التوحيد من أبرز خصائص العقيدة الاسلامية :

من ابرز خصائص العقيدة الاسـلامية : (توحيد اللـه تعـالى) ؛ فبه عرفت ، وبه تميزت عن سائر العقائد التى يعتقدها كافة الخلائق من غير المسلمين ، حتى صار التوحيد علما عليها فيقال : (عقيدة التوحيد) و (ديانة التوحيد) ويراد بذلك : (العقيدة الاسلامية) ·

وليس فى العالم اليوم **توحيد حق كـامل صحيح للـه تعالى فى غـير العقيدة الاسلامية** · فالتوحيد من أهم أسس هذه العقيدة الاسلامية الخالدة التى ارتضاها الله لعباده ، ومن أهم خصائصها وميزاتها (١) · واذا كان ذلك كذلك ، فينبغى على كل مسلم ؛ بل على كل انسان أن **يتعرف على حقيقة التوحيد المقصود ، وأن يحققه ـ فى نفسه اعتقادا ويقينا ، وأن يسلك فى حياته بمقتضاه** ·

٢ ـ حقيقة التوحيد واقسامه :

يقتضى الايمان بالله : توحيده سبحانه :

فلا بد من توحيد الله تعالى فى ١ ـ ربوبيته ، ٢ ـ والوهيته ، ٣ ـ وأسمائه وصفاته · ولا يكون العبد مؤمنا بالله حقا ، حتى يعتقد أن

---

(١) أما ما ذكره الكاردينال كوننج فى محاضرته عن (التوحيد فى العالم المعاصر) وذهب الى أن اليهودية والنصرانية (الحاليتين) ديانتان موحدتان مثل الاسلام ، فهو غير مسلم واقعاً · انظر له : (التوحيد فى العالم المعاصر) نشرة القاهرة ١٩٦٥ ، وراجع رسالة الشيخ محمد عبده (التوحيد) ورسالة بديع الزمان النورسى (حقيقة التوحيد) ·

الله تعالى منفرد متوحد بالربوبية ، والالوهية ، وصفات الكمال الحسنى ، واسماء الجلال العلى . اى أن العبد لابد أن يؤمن ايمانا عميقا جازما يقينيا بان الله تعالى رب كل شئ ومليكه ، ولا رب غيره ، ولا مالك سواه ، واله كل شئ ولا اله غيره ، وأنه الكامل فى أسمائه وصفاته ، ولا كامل ـ فيها ـ غيره ، سبحانه .

فان التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع ؛ **أحدها : توحيد الربوبية** .

وثانيها : توحيد الالهية .

وثالثها : توحيد الأسماء والصفات .

(أ) فتوحيد الربوبية : بمعنى أن رب العالم ، ومليكه ، وخالقه وصانعه واحد ، وليس اثنين ، وهو الرب سبحانه الذى جبلت الفطر على الاقرار به .

وربوبية الله لخلقه تعنى : أنه سبحانه ـ المتفرد بخلقهم ، وملكهم وتدبير شئونهم ...

فتوحيد الله فى الربوبية يعنى : الاعتراف والاعتقاد بان الله تعالى هو الفاعل المطلق فى الكون ، المتصرف المطلق بالخلق ، والتدبير ، والتغيير ، والتسيير ، والزيادة ، والنقص ، والاحياء والاماته .. الخ لا يشاركه فى ملكه أو فعله وتصرفه أحد سواه .

فالله وحده هو خالق الخلق ، ومالكهم ، ونافعهم ، وضارهم ، ورازقهم ، ومجيب دعائهم ، ومحييهم ومميتهم ، وله الخلق وله الأمر كله : قال سبحانه عن نفسه « **الا له الخلق والأمر تبارك** الله **رب العالمين** » (١) .

---

(١) الأعراف ٥٤ .

٣ ـ القلوب مفطورة على الايمان بتوحيد الربوبية :

وهذا النوع من التوحيد اعترف به المشركون ، وجبلت على الاقرار به جميع الفطر ، وقد سجل ذلك فى القرآن على السنة الرسل فى صيغة الاستفهام الانكارى :

« افى الله شك فاطر السموات والأرض » (١) .

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٢) .

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » (٣) .

فهذا التوحيد حق لا ريب فيه .. ولم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم ، بل القلوب مفطورة على الايمان به أعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات (٤) .. وان من يتظاهر بانكار الصانع وتجاهله يعاند فطرته المجبول عليها ، وتصديق ما قاله الله عن فرعون وقومه الذين جحدوا ولم يقروا بالخالق المالك سبحانه :

« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » (٥) .

وقد كان فرعون أشهر من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع ،

---

(١) ابراهيم ١٠ .
(٢) لقمان ٢٥ .
(٣) الزخرف ٨٧ .
(٤) شرح الطحاوية ص ١٧ والالحاد الذى نراه فى القرنين الأخيرين (اى انكار الخالق الصانع المالك وجحده) انما هو ثمرة مباشرة للمنهج المادى الغربى ، تبلور فى الفلسفة الماركسية اللينينية ، هذا الالحاد ـ الذى ضم أكثر من ثلث سكان العالم فى القرن العشرين ـ لم يعرف فى الانسانية من قبل ، بهذه الصورة البشعة الطاغية .. ومع ذلك فهو الحاد عناد ومكابرة للفطرة .
(٥) النمل ١٤ .

ومع ذلك قد كان مستيقنا به فى الباطن ، كما قال له موسى : « **لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر** » (١) ٠

ومما يدل - كذلك - على فطرية الاقرار بالربوبية ، قوله تعالى :

« **قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أمن يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله** (٢) ٠

« **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون الله** »(٣)

كل هــذه الأسئلة تتعلق بصفات الربوبيــة وخصائصها ، ويعترف المشركون بأنها كلها لله تعالى وحده ٠

« وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الافصاح ، ولا تكاد سورة من سوره تخلو من ذكره أو الاشارة اليه ، لمـا له من صلة وثقى بأنواع التوحيد الأخرى ، لأن الخالق المدبر هو الجدير وحده بالتوجه اليه بالعبادة والخشوع والخضوع ، وهو المستحق وحده ، للحمد والشكر ، والذكر ، والدعاء ، والرجاء ، والخوف ، وغير ذلك ٠ والعبادة كلها لا تصح أن تكون الا لمن له الخلق والأمر كله » (٤) ٠

ومن جهة أخرى فان الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بصفات الجلال والجمال والكمال ، لأن هذه الصفات لا تكون الا لرب العالمين ، اذ يستحيل ثبوت الربوبية والملك لمن ليس بحى ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا قادر ، ولا متكلم ، ولا فعال لمـا يريد ، ولا حكيم فى أقواله وأفعاله (٥)٠

---

(١) الاسراء ١٠٢ ٠

(٢) يونس ٣١ ٠

(٣) المؤمنون ٨٧ ٠

(٤) الدكتور محمد نعيم ياسين : (الايمان) ص ١٤ - ١٥ وانظر : (تفسير الطبرى جـ ٥ ص ٣٩٥ ، وشرح على القارى على الفقه الأكبر المنسوب للامام أبى حنيفة ص ٩) ٠

(٥) (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) للشيخ عبد الرحمن بن حمد آل الشيخ ، ص ١٣ ٠

ومن ثم فان القرآن يسوق هذا النوع من التوحيد فى مقام حمد الله ، وعبادته ، والانقياد والاستسلام له ، وفى مقام بيان صفاته الجليلة وأسمائه الحسنى :

- **ففى مقام الحمد ، يقول تعالى :**

« الحمد لله رب العالمين » (١) ، « فلله الحمد رب السموات رب الأرض رب العالمين » (٢) .

- **وفى مقام الانقياد والاستسلام له عز وجل :**

« قل ان هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين » (٣) .

- **وفى مقام التوجه لله واخلاص القصد اليه قال عز وجل :**

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » (٤) .
وغير ذلك كثير فى القرآن الكريم .

كما يجمع القرآن بين ربوبية الله عز وجل المتمثلة فى خلقه للسموات والأرض وما فيهما وملكه لهما ، **وقيوميته عليهما ، وبين أسمائه الحسنى وصفاته العلى** ، واقرأ فى ذلك بتدبر آية الكرسى (البقرة ٢٥٥) : تجد ان الذى خلق السموات والأض هو وحده الحى الذى لا يموت ، القيوم ، العليم ، الحفيظ ، العلى العظيم (٥) .

وبعد : فهل يكفى توحيد الربوبية فى اخراج العبد من دائرة الكفر والشرك الى دائرة الايمان والتوحيد :

الحاصل أن المشركين كانوا يقرون بأن الله خالق كل شىء وربه ومليكه ، ومع اقرارهم بربوبيته لم يخرجوا عن مسمى الشرك ، لأنهم لم

---

(١) الفاتحة ٢ .
(٢) الجاثية ٣٦ .
(٣) الأنعام ٧١ .
(٤) الأنعام ١٦٢ .
(٥) (الايمان) ص ١٦ - ١٧ .

يحققوا معنى قول المسلم : لا اله الا الله ، الـذى يتضمنه النوع الثانى **« توحيد الألوهية » الذى هو قطب رحى القرآن ، والذى لأجله جاءت** الرسل ، وأنزلت الكتب ، وعليـه يكون الثواب والعقاب ، وبه يتحقق اخلاص الدين لله (١) .

فالذين يقرون بان الله رب كل شىء ، وخالق كل شىء ، **ولا يوحدونه فى الوهيته ، فيشركون معه غيره فى العبادة ، ولا يوحدونه فى أسمـائه وصفاته ... ، فان هذا التوحيد (توحيد الربوبية) لا ينفعهم ، ولا يخرجهم من دائرة الكفر الى دائرة الايمان ، فالمشركون كانوا مقرين بهذا النوع من** التوحيد ، أى أن الله وحـده خالق كل شىء - ولكن عبدوا معه غيره - فظلوا مشركين . لأنهم لم يوحدوا الله فى الوهيته ، ولم يوحدوه فى أسمائه وصفاته ، فجحدوا بعضها ، أو لم يؤمنوا بها كلها ، قال تعالى :

« وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » (٢) .

وينقل الطبرى قول مجاهد فى هذه الآية الكريمة :

ايمانهم بالله قولهم : ان الله خلقنا ويرزقنا ، ويميتنا . وشركهم بالله : **عبادتهم معه غيره (٣) .**

وينقل الطبرى وابن كثير - فى تفسيريهما - عن جماعة من أعيـان السلف (منهم ابن عباس ، ومجـاهد ، وعطاء ، والشعبى ، وقتادة ، والضحـاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم) قولهم « تسالهم : من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله . وهم مع هذا يعبدون غيره ! » (٤) .

فمعظم العباد لا ينكرون الخـالق ، وربوبيته على الخلق ، ولكن

---

(١) ابن تيمية (رسالة الحسنة والسيئة) ص ٢٦٠ ضمن مجموع بعنوان شذرات البلاتين ، منهاج السنة جـ ٢ ص ٦٢ طبعة بولاق .

(٢) يوسف ١٠٦ .

(٣) تفسير الطبرى جـ ١٦ ص ٢٨٧ .

(٤) تفسير الطبرى جـ ١٦ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٩٤ ، وراجع الطحاوية ص ٧٨ ، واحياء الغزالى جـ ١ ص ١٨٢ .

معظم كفرهم من عبادتهم غير الله عز وجل (١) ، ومن ينكر ربوبية الخالق يجحد - ظاهرا - ما استيقنته نفسه باطنا ، أى : يعاند فطرته ويخاصمها ويحاربها ٠

(ب) اما توحيد الألوهية :

اذا كان (الاله) فى اللغة هو : (المألوه) اى : المعبود ٠ فتوحيد الألوهية معناه اذا : افراده سبحانه بالعبادة ٠ (والعبادة المامور بها هى **كمال الحب لله مع كمال الخضوع له ، أو هى غاية الذل لله ، مع غاية المحبة له سبحانه** ، ولا تصح عبادة الله عز وجل الا بهذين المعنيين جميعا ، ولا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، وانما يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شىء ، وأعظم عنده من كل شىء » (٢) ٠

فتوحيد الألوهية مبناه ومعناه : اخلاص العبودية لله تعالى وحده ، فى باطنها وظاهرها ، بحيث لا يكون شىء منها لغيره سبحانه ، فالموحد : يعبد الله وحده ، ولا يعبد غيره ، فيخلص لله المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والدعاء ، والتوكل ، والطاعة ، والتذلل ، والخضوع ، وجميع أنواع العبادة وأشكالها (٣) ٠

و (توحيد الألوهية) يتضمن - بالضرورة - توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وليس العكس ٠ أى : أن توحيد العبد لله فى ربوبيته وأسمائه وصفاته ، لا يعنى توحيده فى الوهيته ٠

ولا جدال فى وجوب توحيد الله فى ربوبيته ، الا أن هذا النوع ليس كل الواجب وليس هو مناط الايمان والكفر ، ولا مناط الفرق بين التوحيد

---

(١) راجع كتاب (التوحيد) لابن تيمية ص ١٧٢ بتحقيق الدكتور محمد الجليند ، وانظر لابن تيمية مواضع متفرقة فى (الفرقان) و (الرسالة التدمرية) و (العقيدة الواسطية) و (الفتاوى) و (درء التعارض) ٠

(٢) ابن تيمية : رسالة العبودية ، ص ٢٩ ، والتدمرية ص ١٠٩ ابن القيم : اغاثة اللهفان ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ج ٢ ٠

(٣) الايمان ص ٢٠ ٠

والشرك ، والايمان والكفر ، وليس بمجرد الاقرار به يكون المرء موحدا (١).

أما العبد الذى يوحد الله فى الوهيته : **فهو الذى يقر بأن الله هو الخالق وحده** ، المستحق للعبادة وحده ، وبأن له **الأسماء الحسنى والصفات** العلى لا يشاركه فيها غيره : لأن اخلاص العبادة لا يكون لغير الرب الخالق المالك ولا يكون لمن فيه نقص (٢) .

فتوحيد الألوهية : هو دعوة كل رسول الى قومه ابتداء من أول الرسل الى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٣)

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٤) .

وأمر الله نوحا وهودا وصالحا وشعيبا أن يقولوا لأقوامهم : **(اعبدوا الله مالكم من اله غيره » (٥) .**

ومن يتدبر آيات الكتاب يجدها تركز على بيان هذا النوع من التوحيد والاستدلال عليه ، لأنه **مناط الايمان** ، ولا يتحقق ايمان العبد الا بالتحقق به قولا وعملا .

ولما كان (توحيد الألوهية) مناط الايمان ومرتكزه ومداره ومحوره ، كان أول الدين وآخره ، وظاهره وباطنه ، **ومن أجله خلق الانسان ، وارسلت الرسل ، وانزلت الكتب ، وهو الفارق بين الموحدين والمشركين** ، وعليه يقع الجزاء والثواب فى الأولى والآخرة ، كان من **لم يات به : من المشركين** حتى وان أقر بغيره .

---

(١) د . محمد الجليند فى مقدمته الجيدة لكتاب ابن تيمية (التوحيد) ص ٥٨ – ٥٩ ، ومواضع أخرى .

(٢) الطحاوية ، و (الايمان) للدكتور محمد نعيم فى مواضع متفرقة من ص ١٩ – ٢٤ .

(٣) النحل ٣٦ .

(٤) الأنبياء ٢٥ .

(٥) المؤمنون ٢٣ ، هود ٦١ ، والأعراف ٦٥ .

ومن اجل كل ذلك عنى القرآن الكريم بتقريره وتوضيحه والبرهنة عليه ، لأن غالب الشرك الذى وقع ، كان فى هذا النوع من التوحيد ٠

ولذلك كانت (كلمة التوحيد) : (**لا اله الا الله**) مشتملة على جميع انواع التوحيد : توحيد الألوهية ، ويتبعه كل من توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات : ذلك أن معنى (لا اله الا الله) : **لا معبود بحق ألا الله** ٠ وهذا يتضمن ـ بالضرورة ـ توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ٠

٥ ـ من مقتضيات توحيد الألوهية :

١ ـ **اخلاص المحبة لله عز وجل** ، فلا يتخذ المؤمن ندا لله فى الحب ، يحبه كما يحب الله ، أو يقدمه فى المحبة على حب الله عز وجل ، « **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله** » (١) ٠

فمن الشرك الظاهر أن يتخذ العبد من دون الله ندا يحبه كما يحب الله عز وجل ، واذا كان الانسان مفطورا على حب النفس والآباء والأبناء والأزواج والأوطان والأموال والمساكن الفاخرة ، فان اخلاص العبودية لله لا يعنى القضاء على هذه الفطرة ، وانما المطلوب أن يكون حب الله فوق حب كل شىء وكل شخص فى هذه الدنيا ٠ وأن ينفذ ما يقتضيه حبه لله ، حتى وان تعارض مع اى شخص أو شىء يحبه فى هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى :

« **قل ان كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، واخوانكم ، وازواجكم ، وعشيرتكم ، واموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، احب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بامره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين** » (٢) ٠

---

(١) البقرة ١٦٥ ٠
(٢) التوبة ٢٤ ٠

٢ ـ التوجه الى الله وحده بالدعاء ، والتوكل ، والرجاء ، قال تعالى :

« ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين » (١) .

« وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (٢) .

« ان الذين آمنوا ، والذين هاجروا ، والذين جاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله (٣) .

٣ ـ الا يخشى المؤمن الا الله :

فلا يخاف غير الله تعالى : فان مخلوقات الله تعالى لا تضر بمشيئها وقدرتها ، ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، وأن الرزق بيد الله ، والأجل بيد الله . قال تعالى :

« فاياى فارهبون » (٤) .

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم » (٥) .

٤ ـ التوجه الى الله تعالى وحده فى كافة صنوف العبادات ، فهذه العبادات يجب أن تكون خالصة لله وحـده ، ولا يشرك فيها غير الله ، قـال تعـالى :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (٦) .

---

(١) يونس ١٠٦ .
(٢) المـائدة ٢٣ .
(٣) البقرة ٢١٨ .
(٤) النحـل ٥١ .
(٥) يونس ١٧ .
(٦) النســاء ١١٦ وللتوسع انظر : كتاب الايمان للدكتور محمد نعيم ، و (عقيدة المؤمن) لأبى بكر الجزائرى والعقائد للشيخ سيد سابق .

هذه بعض مقتضيات توحيد الألوهية (١) .

(جـ) توحيد الأسماء والصفات :

وحقيقته أن يؤمن العبد ايمانا جازما بأن الله سبحانه متصف - اجمالا - بجميع صفات الكمال ، ومنزه عن كل صفات النقص ، وأنه متفرد - فى هـذا - عن جميع الكائنات .

وأن يؤمن بأن الله تعالى متصف - على التفصيل - بكل الصفات والأسماء التى وصف بها نفسه ، أو سمى بها ذاته العلية ، فى كتابه ، أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم .

على المؤمن ان يثبت لله كل صفة أو اسم ، ورد به القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، من غير تحريف الفاظها أو معانيها . ولا تعطيلها بنفى بعضها عن الله ، ولا تكييفها بتحديد كنهها واثبات كيفية معينة لها ، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين (٢) .

ثلاثة مطالب لتحقيق توحيد الأسماء والصفات :

ويحدد العلامة محمد الأمين الشنقيطى ثلاثة مطالب فى توحيد الأسماء والصفات ، من تجاوزها أو تجاوز واحدا منها لم يكن موحدا ربه فى أسمائه وصفاته ، وهى :

١ - تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق ، وعن أى نقص .
٢ - الايمان بجميع أسماء الله الحسنى وصفاته الثابتة فى القرآن والسنة ، دون زيادة أو نقص ، أو تحريف لها ، أو تعطيل .
٣ - صرف النظر عن أى محاولة لادراك كنه أو كيفية هذه الصفات (٣) .

---

(١) للتوسع انظر لابن تيمية كتابى : (التوحيد) و (العبودية) و (عقيدة المؤمن) لأبى بكر الجزائرى و (عقيد المسلم) للشيخ محمد الغزالى .

(٢) راجع (الايمان) للدكتور محمد نعيم ص ٢٥ (بتصرف) .

(٣) محمد الأمين الشنقيطى : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٤ .

ودليل المطلب الأول وهو : تنزيه البارى عن أن يشبه شىء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين ، قوله تعالى :

« ليس كمثله شىء » (١) ٠
« ولا تضربوا لله الأمثال » (٢) ٠
« ولم يكن له كفوا أحـد » (٣) ٠

ويقتضى هذا الأصل كذلك ، تنزيه الله عن كل ما يناقض ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فتوحيد الله فى صفاته يستلزم ان ينزه المؤمن ربه عن الزوجة ، والولد ، والشريك ، والكفء ، والظهير ، والشفيع الا باذنه ، والولى من الذل ٠٠ وعن النوم والاعياء ، والتعب ، والموت ، والجهل ، والظلم ، والغفلة ، والنسيان ، والنعاس ، والتحيز ، وغير ذلك من صفات النقص ٠

اما المطلب الثانى ، فقد عبر عنه الامام أحمـد بن حنبل بقوله : « لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث » (٤) ٠

وقال نعيم بن حماد شيخ البخارى : (من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، تشبيه ولا تمثيل » (٥) ٠

ويقتضى المطلب الثالث : من المؤمن أن يعتقد فى تلك الصفات والأسماء المنصوص عليها فى القرآن والسنة ، من غير سؤال عن كيفيتها ، ولا بحث عن كنهها ، وذلك لأن معرفة كيفية الصفة ، متوقفة على معرفة كيفية الذات ، لأن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها ، وذات الله عز وجل ، لا يسأل

---

(١) الشـورى ١١ ٠
(٢) النحـل ٧٤ ٠
(٣) الاخـلاص ٤ ٠
(٤) شرح الواسطية ص ٢١ ٠
(٥) السـابق ٠

عن كنهها أو كيفيتها ، وكذلك صفاته سبحانه : لا يصح السؤال عن كيفياتها ، وقد أثر عن طائفة من علماء السلف انهمْ قالوا ـ عندما سئلوا عن كيفية استواء الله على العرش : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

ولو ان سائلا سال : كيف ينزل ربنا الى سماء الدنيا ؟ قيل له : كيف هو ؟ فاذا قال : لا أعلم كيفيته ، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله ، اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، فهو فرع عنه وتابع له ، فكيف تطالب ببيان كيفية سمع الله وبصره وتكلمه واستوائه ونزوله ، وانت لا تعلم كيفية ذاته ؟ ! . واذا كنت تقر بأن الله عز وجل ، حقيقة ثابتة فى نفس الأمر ، مستوجبة لصفات الكمال ، لا يماثلها شىء ، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ، سبحانه ، ثابت فى نفس الأمر ، وهو متصف بصفات الكمال التى لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم (١) .

ومن بين أدلة القرآن على توحيد الأسماء والصفات (سورة الاخلاص) (التى تعدل ثلث القرآن) كما جاء فى حديث البخارى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك (آية الكرسى) وهى أعظم آية فى القرآن الكريم ، فتدبرهما واحفظ حقهما .

ولقد درس العلماء أسماء الله وصفاته من منطلقات متعددة ، وبمناهج متفاوته ـ كما سنشير الى شىء من ذلك فى موضعه من البحث ان شاء الله ، لكن أحكم هذه المناهج وأسلمها على الاطلاق وأصحها جميعا ، منهج السلف رضى الله عنهم ، **وهو المتضمن للعناصر التالية :**

عدم تشبيه صفات الخالق عز وجل بصفات المخلوق ، عدم تحريف الصفات بتاويلها او تغييرها وتبديلها ، بل يقال فيها مثلما اثر عن الشافعى

---

(١) (الايمان) ص ٢٧ ـ ٢٨ (بتصرف) ، ويراجع منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، ص ٢٥ ، والروضة الندية ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ .

رضى الله عنه : « آمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، على مراد الله ، وآمنت برسـول الله ، وبما جاء عن رسـول الله ، على مراد رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم » (١) .

عدم التعطيل ، عدم التكييف ، وهو تعيين كيفية ما للصفات ومحاولة اثبات كنهها ، على ما ذكر بشىء من الايجاز والله تعالى أعلم .

---

(١) راجع فى ذلك مصادر عديدة منها : اللالكائى : (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) والأشعرى : (رسالة أهل الشعر) ، والامام الدارقطنى (على بن عمر ت ٣٨٥ هـ) فى (كتاب الصفات) تحقيق عبد الله الغنيمان ، الاسفراييني الامام أبو المظفر (التبصير فى الدين) تحقيق كمال الحـوت ، ابن تيمية : (التوحيـد) (الواسطية) (التدمرية) (العبودية) (الفتاوى) وان خزيمة (محمد بن اسحاق ت ٣١١ هـ) فى (التوحيد واثبات صفات الرب) تعليق محمد خليل هراس ، الذهبى (العلو للعلى الغفـار) اختصـار الشيخ ناصر الدين الألبـانى ، المكتب الاسلامى ، أحمد بن ابراهيم الواسطى (النصيحة فى صفات الرب جـل وعلا) المكتب الاسلامى . وشرح الطحاوية ، وشرح الفقه الأكبر ، وغير ذلك مثل (الشريعة) للآجرى ، و (المنهاج) للحليمى ، ورسائل الامام حسن البنا ، و (التحف فى مذاهب السلف) للشوكانى (ضمن مجموع رسائل فى العقيدة) نشره عبد الله حجاج . وكتاب (الايمان) للدكتور محمد نعيم ياسين وهو تلخيص نافع فى أصول الايمان ، وقد رجعنا اليه وأفدنا منه .

ثالثا : اسماء الله الحسنى وصفاته ٠

(أ) أسماء الله الحسنى :

تعرف الخالق جل وعلا الى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أسماء الله الحسنى فى حديث شريف ٠٠ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان لله تسعة وتسعين اسما ـ مائة الا واحدا ـ من أحصاها دخل الجنة ، انه وتر يحب الوتر) ـ وفى رواية (من حفظها) (١) ٠ أى من **عرفها وعقل معانيها ، وآمن بها ، وأحسن مراعاتها ، والمحافظة على حدودها فى معاملة الرب عز وجل (٢) ، دخل الجنة ٠**

ورواه الترمذى وزاد عليهم :

« هو الله الذى لا اله الا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحكيم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الاول ، الآخر ، الظاهر ،الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم ٠

(٢) البيهقى (أبو بكر أحمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ) كتاب (الأسماء والصفات) ص ٦ ٠

النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

من معانى بعض هذه الأسماء الحسنى :

- **القدوس** : المطهر من العيوب والنقائص ، والممدوح بالفضائل والمحـاسن .
- **السـلام** : الأمان لخلقه ، أو السالم من العيوب .
- **المؤمن** : المصدق وعده لخلقه والمؤمن لهم من عذابه .
- **المهيمن** : المسيطر المتصرف ، أو الشهيد الرقيب .
- **العزيز** : القاهر الغالب .
- **المتكبر** : العالى عن صفات الخلق المتفرد بصفات العظمة .
- **الجبـار** : المنفذ لأوامره .
- **البـارىء** : الخالق ، وهو فى خلق ذى الروح أظهر ، يقال : بارىء النسم وخالق السموات والأرض .
- **المقيت** : العالم العارف .
- **الحسيب** : الكافى لخلقه .
- **المحصى** : هو الذى أحصى كل شىء بعلمه ، فلا يفوته شىء من الأشياء
- **البـر** : المتعطف على عباده ببره ولطفه .
- **المقسـط** : العادل فى حكمه .
- **الرشـيد** : الذى يرشد الخلق الى مصالحهم .
- **الصبور** : هو الذى لا يعاجل العصاة بالانتقام منهم .
- **الظاهر** : البادى فى أفعاله ، وهو جل ثناؤه موصوف بهذه الصفة ، فلا يمكن معهما أن يجحد وجوده ، وينكر ثبوته .
- **البديع** : المبدع وهو محدث ما لم يكن مثله قط .
- **البـاطن** : الذى لا يحس ولكن يدرك بأفعاله وآثاره .
- **القيوم** : القائم على كل شىء من خلقه يدبره بما يريد ، جل وعلا ، وقال الخطابى : القائم الدائم بلا زوال .
- **الرحمن** : ذو الرحمة الشاملة التى وسعت كل الخلق ، فى ارزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر ، والصالح والطالح .

- **الرحيم** : خاص بالمؤمنين لقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) (١)

بعض الأسماء الحسنى الزائدة عن التسعة والتسعين :

قد وردت آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية بأسماء أخرى لله تعالى زيادة عن هذه التسعة والتسعين اسما ٠

ومن هذه الأسماء الحسنى : (الحنان) ، و (المنان) ، و (البديع) وكذلك ورد اسم (المغيث) ، و (الكفيل) ، و (ذو الطول) ، (الخلاق) ٠٠ وغير ذلك (٢) ٠

قال الامام الحليمى : « ولله جل ثناؤه أسماء سوى ما ذكرنا منها (ذو العرش) ، و (ذو المعارج) ، و (الفرد) ٠٠٠ الخ » ٠

وقال البيهقى : « ٠٠ وهذه الأسامى كلها - التسعة والتسعين وما زاد عليها ، فى كتاب الله تعالى ، وفى سائر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصا أو دلالة ٠٠ ونحن نشير الى مواضعها ان شاء الله تعالى ، فى جماع أبواب معانى هذه الأسماء ، ونضيف اليها ما لم يدخل فى جملتها (يقصد فى حديث الترمذى) » (٣) ٠ هذا وقد أحصى بعض العلماء لله

---

(١) سورة الأحزاب / ٤٣ وللتوسع فى معرفة معانى أسماء الله الحسنى انظر للامام الحليمى : (المنهاج فى شعب الايمان) ج ١ ص ١٨٧ وما بعدها ، وأنظر : الامام البيهقى : (كتاب الأسماء والصفات) ص ٤ وما بعدها ، وانظر كتاب الفخر الرازى (شرح أسماء الله الحسنى) نشرة طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربى ص ١٦٤ وما بعدها ، البيهقى كذلك (الاعتقاد والهداية) ص ٣٠ - ٣٣ نشرة كمال الحوت - عالم الكتب ببيروت ، الامام حسن البنا - العقائد ص ٤٣٨ وما بعدها ، شرح الطحاوية ص ٦٦ وما بعدها ، نشرة شعيب الأرنؤوط ٠

(٢) الحليمى : المنهاج ص ٢٠٩ - ٢١٠ ٠
(المنهاج) للحليمى فهو من أهم الكتب فى هذا الباب ، وهو الذى اعتمد

(٣) البيهقى : كتاب الأسماء والصفات ٠ ص ٨ وما بعدها ٠ وانظر المنهاج للحليمى ، وقد اعتمد عليه البيهقى اعتمادا كاملا فى شرح أسماء الله الحسنى ، وفى كتابه (شعب الايمان) كذلك ٠

تعالى أكثر من ألف اسم ، من القرآن والسنة (١) ٠

أسماء الله توقيفية :

يرى جمهور العلماء أنه لا يجوز أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسما أو وصفا لم يطلقه على نفسه ، ولم يطلقه عليه رسوله صلى الله عليه وسلم ، بقصد اتخاذه اسما له تعالى حتى وان كان يشعر بالكمال ٠٠ وهذا معنى قولهم : أسماء الله توقيفية ، أى لابد أن يكون الشرع قد جاء بها ٠

العلمية والوصفية فى أسماء الله تعالى :

من بين جميع الأسماء الحسنى المتقدمة (علم) واحد ، وضع للدلالة على الذات القدسية ، وهو لفظ الجلالة : (الله) ٠ أما باقى الأسماء الحسنى ،فملاحظ فيها معنى الصفات ، ولهذا صح أن تكون : أخبارا للفظ الجلاله ٠

وهل لفظ الجلالة (الله) مشتق أو غير مشتق ؟ المسألة خلافية و « لا يترتب عليها أمر عملى ، وحسبنا أن نعلم أن اسم الذات هو هذا الاسم المفرد ، وبقية الأسماء مشربة بالوصفية ، وفى هذا الكفاية » (٢) ٠

اسم الله الأعظم :

ورد ذكر اسم الله الأعظم فى أحاديث كثيرة ، منها :

(أ) عن بريدة رضى الله عنه قال : سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو ويقول : اللهم انى أسألك بانى أشهد أنك أنت الله ، لا اله الا أنت ، الأحد الصمد ،الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ٠

---

(١) أبو بكر بن العربى : شرح الترمذى ، والشوكانى (تحفة الذاكرين) ، والفخر الرازى : شرح أسماء الله الحسنى ، وابن برجان الصوفى (شرح أسماء الله الحسنى) رسالة ماجستير (مخطوطة) بدار العلوم ٠

(٢) انظر رسالة (العقائد) للشيخ حسن البنا ص ٤٤٣ ، وراجع البيهقى (الأسماء) ص ١٩ ، والحليمى : المنهاج ، والفخر الرازى ، وابن برجان ، وغيرهم ٠

قال : فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى » (١) .

(ب) عن سعد بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، « هل ادلكم على اسم الله الأعظم ، الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى ؟ : الدعوة التى دعا بها يونس ، حيث نادى فى الظلمات الثلاث : لا اله الا أنت سبحانك ! انى كنت من الظالمين » . فقال رجل : يا رسول الله : هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا تسمع قول الله عز وجل » : « فنجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » (٢) .

(جـ) عن أسماء بنت يزيد ، رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين » : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران » : « الم الله لا اله الا هو الحى القيوم » (٣) . وهنالك أحاديث أخرى ورد فيها أسماء اخرى لله تعالى ، قال عنها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنها اسم الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى .

فما هو اسم الله الأعظم ؟

ان العلماء مختلفون فى تعيين (اسم الله الأعظم بالذات) ، ولهم فى هذا اقوال كثيرة ، جمع منها السيوطى فى رسالته (الاسم الأعظم) أكثر

---

(١) رواه أبو داود والترمذى ، والنسائى وابن ماجه ، وقال المنذرى (صاحب الترغيب والترهيب) : قال شيخنا المقدسى : هو اسناد لا مطعن فيه ، ولا أعلم انه روى فى هذا الباب حديث أجود منه اسنادا ، وقال الحافظ ابن حجر (صاحب فتح البارى) : هذا الحديث أرجح ما ورد - فى هذا الباب - من حيث السند .

(٢) رواه الحاكم . الآية / ٨٧ . الأنبياء .

(٣) رواه أحمد وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، وقال الترمذى عنه : انه حديث حسن صحيح .

من عشرين قولا (١) . كما أن الأحاديث الواردة لم تعين اسما واحدا بالذات ، بل جعلتها عاما فى أسماء كثيرة .

وعلى ذلك فالأصح أن الاسم الأعظم « دعاء مركب من عدة أسماء من أسمائه تعالى اذا دعا به الانسان ، مع توافر شروط الدعاء المطلوبة شرعا ، استجاب الله له ، وقد صرحت به الأحاديث الشريفة فى عدة مواضع » (٢) والله أعلم .

(ب) صفات الله تعالى :

أنت اذا نظرت الى هذا الكون وما فيه من بدائع الحكم ، وغرائب المخلوقات ، ودقيق الصنع ، وكبير الاحكام ، مع العظمة والاتساع ، والتناسق ، والابداع ، والتجدد والاختراع ، ورأيت هذه السماء الصافية بكواكبها وأفلاكها وشموسها وأقمارها ومداراتها ، ومجراتها .

---

(١) السيوطى المتوفى ٩١١ هـ (الدر المنظم فى الاسم الأعظم) ص ٤١ - ٤٨ ضمن مجموع بعنوان (رسائل الاسم الأعظم) للغزالى والسيوطى وابن عربى (محيى الدين) نشرة مكتبة نصير بالقاهرة ، بعناية بدوى طه علام وانظر تفسير القرطبى ج ١ ص ١٠٢ ، و (أحكام القرآن) لابن العربى ج ٢ ص ٧٩٨ ، وللزركشي : (معنى لا اله الا الله) ص ١٣٧ .

(٢) الاستاذ الامام حسن البنا ، العقائد ص ٤٤٧ ، والحق أن ما يدعيه بعض الناس من أن اسم الله الأعظم (سر من الأسرار) يمنح لبعض الناس ، فيتصرفون به فى الكون ، ويخرقون به العادات ، ويحققون به الكرامات ، ويفتحون به المغلقات ، ويكون لهم بحيازته ما ليس لغيرهم من الناس ، أمر زائد على ما ورد عن الله ورسوله - كما رأينا - والحق أن الناس مولعون بالمعميات ، وادعاء الخصوصيات ، والزيادة فى المأثورات ، فقالوا ما لم يرد فى كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن ذلك نهيا شديدا ، فلنقف مع المأثور (حسن البنا) .

- كما يذكر البعض أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى خواص وأسرارا تتعلق به ، أو أن لكل اسم خادما روحانيا يخدم من يواظب على الذكر به ، وهكذا ... فهو - والله أعلم - : من الغلو فى دين الله تعالى ، والزيادة فيه ، وقد نهينا عن ذلك .

ورأيت هذه الأرض بنباتها وخيراتها ومعادنها وكنوزها ، وعناصرها وموادها ، ورأيت عالم الحيوان ، وما فيه من غرائب الهداية والالهام ، بل لو رأيت تركيب الانسان وما احتواه من أجهزة كثيرة ، كل يقوم بعمله ، ويؤدى وظيفته ، ورأيت عالم البحار وما فيه من عجائب وغرائب ، وعرفت القوى الكونية ، وما فيها من حكم واسرار : من كهرباء ومغناطيس وراديوم وأثير ... الخ ، ثم انتقلت من النظر الى ذوات العالم وأوصافها ، الى الروابط والصلات فيما بينها ، وكيف أن كلا منها يتصل بالآخر اتصالا محكما وثيقا ، بحيث يتألف من مجموعها (وحدة كونية) : كل جزء منها يخدم الأجزاء الأخرى كما يخدم العضو فى الجسم الواحد بقية الأعضاء .

لخرجت من كل ذلك ـ من غير أن يأتيك دليل أو برهان ، أو وحى أو قرآن ـ بهذه العقيدة النظرية السهلة وهى : أن لهذا الكون خالقا صانعا موجدا ، **وأن هذا الصانع لابد أن يكون عظيما فوق ما يتصور العقل البشرى الضعيف ، من العظمة ، وقادرا فوق ما يفهم الانسان من معانى القدرة ، وحيا باكمل معانى الحياة ، وأنه مستغن عن كل هذه المخلوقات ، لأنه كان قبل أن تكون ، وعليما باوسع حدود العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الكون لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقها ، وبعدها لأنه الذى سيحكم عليها بالعدم .**

سترى نفسك مملوءا بهذه العقيدة : بان صانع هذا الكون ومدبره **متصف بكل صفات الكمال فوق ما يتصورها العقل البشرى الصغير ، ومنزه عن كل صفات النقص ، وسترى هذه العقيدة (وحى وجدانك لوجدانك وشعور نفسك لنفسك) : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » (١) .**

وصفات الله تبارك وتعالى ـ فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ـ كثيرة جدا ، وكمالاته تبارك وتعالى لا تتناهى ، ولا تدرك كنهها عقول البشر ،

---

(١) سورة الروم آية ٣٠ ، وانظر رسالة (العقائد) للاستاذ حسن البنا ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

سبحانه لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه . ومدلولات هذه الألفاظ (ألفاظ الصفات كالعلم ، والقدرة ، والحياة ، والوجه ، واليد ، والضحك ، والاستواء ... الخ) ، تختلف فى حق الله تعالى عن مدلولاتها فى حق الخلق من حيث الكمال والكيفية اختلافا كليا لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحدا من خلقه .. وكل ما تتخيله من معنى أو مدلول - قياسا على الخلق - فحقيقة الصفة الالهية بخلافه .

سؤال يهجم على بعض الناس :

روى الامام مسلم فى صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد فى نفسه شيئا فليقل : آمنت بالله » . هذا السؤال الخاطىء من أساسه ، أو هذه الوسوسة قد تختلج فى بعض النفوس ، وهو سؤال خاطىء لأننا نهينا عن البحث فى حقيقة الذات الالهية من ناحية ، ولأن كمال الألوهية يقتضى عدم احتياج الاله الى غيره ، فان من صفاته قيامه بنفسه وليس بغيره .. فالكامل لا يحتاج الى غيره ، والناقص هو الذى يحتاج الى غيره . ومع ذلك فمن وجد فى نفسه شيئا من ذلك فامامه الحل الذى دله عليه الرسول صلى الله عليه وسلم (فليقل : آمنت بالله) .

مشكلة الأسماء والصفات ، أو :

موقف علماء العقيدة من صفات الله تعالى :

وردت فى القرآن الحكيم والسنة المطهرة آيات وأحاديث صحيحة فى البخارى ومسلم وغيرهما ، تشتمل على (صفات الله) ، توهم بظاهرها مشابهة الحق تبارك وتعالى لخلقه فى بعض صفاتهم مثل : اضافة الوجه ، والعين ، واليد ، والقدم ، والأصابع ، والمجىء ، والنزول ، والضحك ، والاستواء والفوقية ، لله تعالى .

ووقف الناس من هذه الصفات أربعة مواقف ؟ هى :

١ - **المجسمة المشبهة** : قالوا بظواهر هذه الصفات ، ونسبوا لله وجها ويدا وضحكا ونزولا كوجوه الناس ، وأيدهم ، وضحكهم ونزولهم ، ولا فرق .

وهؤلاء باطل مذهبهم ، ومردود عليهم بقوله تعالى : « **ليس كمثله شىء** » ، « **لم يكن له كفوا أحد** » . وجذور هذا المذهب - الباطل الخارج عن الاسلام - فى أسفار اليهود التى كتبوها بايديهم ، ونسبوها للوحى كما سنوضح ذلك ان شاء الله .

٢ - **الجهمية المعطلة** : الذين ينفون مدلولات هذه الصفات عن الله مطلقا ، وعى أى وجه ، فالله تعالى - فى خيالهم الضال - لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ... الخ ، لأن ذلك يقتضى أن يكون لله جارجة تقوم بذلك .. وهذا مذهب متهافت باطل .

٣ - **مذهب السلف** : قالوا رضوان الله عليهم : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الرب عز وجل : من غير تفسير ، ولا وصف ، ولا تشبيه » (١) - وسئل الامام أحمد رضى الله عنه عن أحاديث الصفات هذه فقال : نؤمن بها ونصدق بها ، ولا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد منها شيئا ، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق اذا كان باسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله تعالى باكثر مما وصف به نفسه : بلا حد ، ولا غاية ، ليس كمثله شىء » (٢) .

٤ - **مذهب الخلف (علماء الكلام والنظار) :**

قالوا - على اختلاف واضح بينهم : انهم يقطعون بان معانى الفاظ

---

(١) اللالكائى : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

(٢) الخلال : (كتاب السنة) . وراجع ما كبناه عن (توحيد الأسماء والصفات) . وانظر مؤلفات (ابن بطة) و (ابن خزيمة) و (ابن منده) والدارقطنى : الحافظ على بن عمر ت ٣٨٥ هـ (كتاب الصفات) و (النصيحة) للواسطى و (ابن تيمية) و (ابن القيم) والذهبى فى (العلو) وغيرهم رحمهم الله .

- وقارن ما كتبه الدكتور أبو اليزيد العجمى فى كتابه (فقه العقيدة عند الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى واحمد) فى جزأين ، نشر دار الهداية ، وما كتبه الدكتور عبد الحميد مدكور فى (مذكرات فى علكم كلام) .

هـذه الآيات والأحاديث لا يراد بها ظواهرها ، وعلى ذلك فهى مجازات لا ما نع من تأويلها ، فأخذوا يؤولون الوجه بالذات ، واليد بالقدرة ، وما الى ذلك طلبا فى تنزيه الله تعالى ، وهربا من التشبيه أو شبهته ٠

والحقيقة المؤلمة المؤسفة أن هذه المسألة قد أثارت خلافا حادا ، وخصومة ولجاجا ، وصراعا مريرا بين علمـاء العقيدة من أنصـار طريقة السـلف واتباع الخلف (١) ٠ بل ان هذه المشكلة قد سيطرت على كتب العقيدة ، وغطتها بظلال الخصومة والعراك ٠ والحقيقة المؤلمة كذلك أنها أثرت على مؤلفات العقيدة فصبغتها بلونها القاتم ، واستنفدت جهودا هائلة وطاقات غالية فى الجدل حولها ، وحولت انتباه علمائنا عن مسائل مهمة أخرى ، مما ضيع فرصا ثمينة لاثراء علم العقيدة على ضوء منهج سديد بعيدا عن جو العراك والشجار بين (السلف والخلف) فى مسالة الصفات ٠

وان هذا العراك قد عمل على تمزيق وحدة الصف واضعافه ، وبذر الفرقة والنفخ فيها ٠ ومما يعتصر له القلب أن نرى مـن يحاول اليـوم

---

(١) وترتب على ذلك أن أضحت كتب العقيدة الاسلامية (ردودا وجدلا وعراكا) انظر على سبيل المثال كتاب بعنـوان (الرد عـلى فلان أو كذا) (الصواعق المرسلة) و (اجتماع الجيوش الاسلامية) وما فى كتب (علماء الكلام) فى هذا الشأن ـ غريب عجيب انظر لابن قتيبة مثلا (مختلف الحديث) فقد ذكر فيه عنهم كلاما عجيبا ، وانظر مؤلفات علماء الكلام وتعسفهم فى التشقيق والتفريع ، وأخذهم بالمصطلح غير الاسلامى ، والبرهان غير القرآنى ، واستمدادهم من الفلاسفة كثيرا من نظرياتهم ، كل ذلك معروف ٠٠ انظر للقاضى عبد الجبار (المغنى) و (شرح الأصول الخمسة) وللباقلانى (التمهيـد) و (الانصـاف) و للفخـر الرازى (المحصل) و (أساس التقديس) ولابن الجوزى (دفع شبهة التشبيه) ، وللعضد : (المواقف) وللماتريدى (التوحيد) و (تأويل السنة) ولابن فورك (مشكل الحديث) والجوينى (اللمع) ، وغير ذلك كثير ٠ وفى هجوم ابن رشد على المتكلمين نراه يرميهم بالتعصب ، وباستخدام منهج جدلى أدى الى تفريق الأمة الى طوائف متناحرة يكفر بعضها بعضا ٠

احياء المعارك السالفة حول مسالة الصفات ، وبعث الفتنة جذعة أشد مما كـانت ٠

راينا فى المسالة :

وانا نرى أن مذهب السلف من آيات وأحاديث الصفات أعلم واحكم وأسلم ، ونرى أن الخلف قصدوا ـ كما صرحوا ـ تنزيه الله تعالى عـن التشـبيه ، فاولوا ٠ وان خطأهم ـ فى التأويل ـ خطا المجتهـدين ٠ **اماالجراة على نفى الاحاديث الثابتة التى وقعت من بعضهم ، فهى أمر غير مقبول ابدا ، ومثلها ـ فى عدم القبول ـ الاعتماد عـلى الأحـاديث الموضوعة والمنكرة والواهية فى باب العقائد والأصول** ٠ وقد كانت هـــذه الجراة هنا وتلك الغفلة هناك من أبرز الثمرات المرة لهذا العراك المؤسف ٠

راى بعض العلماء :

يرى الأستاذ الامام حسن البنا رحمه الله : « انك لو بحثت الأمر لعلمت أن مسـافة الخلف (الاختلاف) بين الطـريقين (طريق السـلف والخلف) لا تحتمل شيئا من هذا ؛ ٠٠ وبيان ذلك من عدة أوجه :

أولا : اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلفه ٠

ثانيا : كل منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص فى حق الله تبارك وتعالى ، غير ظواهرها التى وضـعت لها هـذه الألفـاظ فى حق المخلوقات ، وذلك مترتب على اتفاقهما على نفى التشبيه ٠

ثالثا : كل من الفريقين يعلم ان الألفاظ توضع للتعبير عما يجول فى النفوس ، او يقع تحت الحواس مما يتعلق باصحاب اللغة وواضعيها ، وان اللغات ، مهما اتسعت ، لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم ، وحقائق ما يتعلق بذات الله تبارك وتعالى من هذا القبيل ، فاللغة اقصر من ان تواتينا بالفاظ تدل على هذه الحقائق ، فالتحكم فى تحديد المعانى تغرير ٠

وبهذا ينحصر الخلاف بين الخلف والسلف ، وان كان الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حينما ألجأتهم ضرورة التنزيه الى ذلك ٠

وهذا خلاف لا يستحق ضجة ولا اعناتا ٠ ونحن نعتقد أن راى السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعانى الى الله تبارك وتعالى اسلم واولى بالاتباع حسما لمادة التأويل والتعطيل ٠٠٠ ، ونعتقد الى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ، ولا تستدعى هذا النزاع الطويل بينهم قديما وحديثا ، وصدر الاسلام أوسع من هذا كله (١) ٠

---

(١) حسن البنا : رسالة العقائد ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ٠

رابعا : من مباحث (لا اله الا الله)

١ ـ الشهادة اعتقاد واقرار :

جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« الايمان بضع وسبعون شعبة ؛ أعلاها لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » (١) .

وهذه الشهادة فرض **تجمع الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان ؛ والاعتقاد** والاقرار وان كانا عملين يعملان **بجارحتين مختلفتين فان نوع العمل واحد ،** وما مثلها الا مثل من قال شيئا وكتبه ، فالمقول والمكتوب شىء واحد .

٢ ـ ماذا تتضمن (لا اله الا الله) من عقائد ؟

يذكر الامام الحليمى أن (لا اله الا الله) تتضمن مجموع عدة أشياء ؛

احدهما : اثبات البارى عز وجل ؛ ليقع به مفارقة التعطيل .

والثانى : اثبات وحدانيته ؛ ليقع به البراءة من الشرك .

والثالث : اثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض ؛ لتقع به البراءة من الشبيه .

والرابع : أن وجود كل ما سواه كان من قبل ابداعه واختراعه ؛ لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلة والمعلول .

والخامس : اثبات أنه مدبر ما أبدع ومصرفه على ما شاء ؛ لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع ، أو تدبير الكواكب ، أو تدبير الملائكة .

هذه هى العقائد الخمس التى تحتوى عليها (لا اله الا الله) كما يراها الامام الحليمى ، وعنده أن أسماء الله الحسنى تدور كلها حول هذه العقائد الخمس ، ومن ثم فهى تنظم معنى وحقيقة كل هذه الأسماء

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

وتشتمل عليها كلها ؛ فحصلت أجمع الأفكار واسناها وافخمها واعلاها وأولاها بأن يتقرب الى الله تعالى بها (١) .

٣ - من قال (لا اله الا الله) فادى حقها وفرضها دخل الجنة :

عن أنس ، رضى الله عنه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل ، فقال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! . قال . يا معاذ ! : قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! . يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : « ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، الا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله ، الا اخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : اذا يتكلوا » (٢) فاخبر بها معاذ عند موته تأثما من كتمان العلم .

وروى أبو ذر ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ما من عبد قال : لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا دخل الجنة » قلت : وان زنى وان سرق ؟! قال : « وان زنى وان سرق . » . قلت : « وان زنى وان سرق ! قال : « وان زنى وان سرق » . ثم قال فى الرابعة : « على رغم انف أبى ذر » ؛ قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وان رغم أنف أبى ذر (٣) .

وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة يطول شرحها ، واحاديث هذا الباب نوعان :

احدهما : ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها ، وهذا ظاهر ؛ فان النار لا يخلد فيها احد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها اذا طهر من ذنوبه بالنار .

---

(١) الحليمى : المنهاج جـ ١ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢١٠ .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .

وحديث أبى ذر معناه : أن الزنى والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد ، وهذا حق لا مرية فيه ، **وليس فيه أنه لا يعذب عليهما مع التوحيـد** •

الثـانى : مـا فيه أنـه يحـرم عـلى النـار ، وهـذا قـد حمل بعضـهم عـلى الخلـود فيهـا ، أو عـلى نـار يخلـد فيهـا أهلها ، وهى مـا عدا الدرك الأعلى ، فـان الدرك الأعـلى يدخلـه خلق كثير من عصـاة الموحـدين ، بذنوبهم ، ثـم يخرجـون بشـفاعة الشـافعين ، وبرحمة أرحم الراحمين • وفى الصحيحين : « ان الله تعالى يقول : **وعزتى وجلالى ، لأخرجن من النار من قال : لا اله الا الله** » •

وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن (لا اله الا الله) سبب لدخول الجنة ، والنجاة من النار ، ومقتض لذلك • **ولكن المقتضى لا يعمل عمله الا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه** ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ، وهذا هـو الأظهر • **وقد قيل للحسن : ان ناسا يقولون : من قال (لا اله الا الله) دخل الجنة ؟ فقال :** من قال : (لا اله الا الله) فادى حقها وفرضها دخل الجنة (١) •

وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة ، قد جاءت مقيدة فى أحاديث آخـر ، **ففى بعضها :** « **من قال : (لا الـه الا الله) مخلصا** » • **وفى بعضها :** « **مستيقنا** » ، **وفى بعضها :** « **يقولها حقا من قلبه** » • **وفى بعضها :** « **قد دل بها لسانه واطمان بها قلبه** » •

٤ ـ لابد من تحقق القلب بمعنى الشهادتين :

فتحقق القلب بقول : (لا اله الا الله) الا ياله القلب غير الله ، حبا ، ورجاء ، وخوفا ، وتوكلا ، واستعانة ، وخضوعا ، وانابة ، وطلبا • وتحققه بان محمدا رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، ألا يعبد الله بغـير ما شرعه الله على لسـان محمد •

---

(١) الحافظ ابن رجب الحنبلى : (كلمة الاخلاص وتحقيق معناها) ص ٧ ـ ١٤ ط٤ ، نشر المكتب الاسلامى •

ومن تحقيق هذا المعنى ان قول العبد : (لا اله الا الله) يقتضى ان لا اله له ، غير الله . والاله هو الذى يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ، ومحبة وخوفا ورجاء ، وتوكلا عليه وسؤالا منه ، ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل . فمن أشرك مخلوقا فى شىء من هذه الأمور التى هى من خصائص الالهية كان ذلك قدحا فى اخلاصه فى قول : (لا اله الا الله) ، ونقصا فى توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك .

ولهذا ورد اطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصى التى منشؤها من طاعة غير الله ، أو خوفه ، أو رجائه ، أو التوكل عليه والعمل لأجله ... ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه ، قادح فى كمال التوحيد وتمامه ، ولذلك أطلق الشرع على كثير من الذنوب التى منشؤها من هوى النفس ، أنها كفر وشرك ... وان كان ذلك لا يخرجه عن الملة بالكلية ، **ولهذا قال السلف : كفر دون كفر ، وشرك دون شرك** (١) .

ومن مقتضى شهادة (لا اله الا الله) أن يحب العبد الله أكثر من أى شىء سواه . فان (الاله) هو الذى يطاع ، فلا يعصى محبة وخوفا ورجاء . ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكراهه ما يكرهه ، فمن أحب شيئا مما يكرهه الله ، أو كره شيئا يحبه الله لم يكمل توحيده ، وصدقه فى قول : (لا اله الا الله) ، وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما يحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله (٢) .

٥ - شهادة أن (لا اله الا الله) تستلزم شهادة (أن محمدا رسول الله) :

ولا تتم شهادة أن (لا اله الا الله) الا بشهادة أن (محمدا رسول الله) ؛ فانه اذا علم أنه لا تتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، فلا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من جهة محمد المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه باتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه . فصارت

---

(١) كلمة الاخلاص وتحقيق معناها ص ٢٥ .
(٢) السابق ص ٢٩ .

محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتصديقه ، ومتابعته (١) .

٦ ـ من أسماء (لا اله الا الله) فى القرآن :

احصى الفخر الرازى ـ فى دراسة ممتعة ومفيدة ـ لشهادة أن (لا اله الا الله) أربعة وعشرين اسما ، ذكر أنها قد وردت فى القرآن الكريم ، منها :

ـ أنها : (**كلمة التوحيد**) ، ـ وانها : (**كلمة الاخلاص**) ، بدليل ان سورة (**قل هو الله احد**) تسمى سورة الاخلاص ، وما فيها الا التوحيد .

ـ وانها : (كلمة الاحسان) ، ـ وانها : (دعوة الحق) ، ـ و(كلمة العدل) ، ـ و (الطيب من القول) ، ـ و (الكلمة الطيبة)، ـ و (الكلمة الثابتة) ، ـ وانها : (كلمة التقوى) ، ـ و (الكلمة الباقية) ، ـ و (كلمة الله العليا) ا ـ و (المثل الأعلى) ، ـ و (كلمة السواء) ، ـ وانها : (كلمة النجاة) ، ـ وانها : (العهد) ، ـ و (كلمة الاستقامة) ، ـ و (مقاليد السموات والأرض) ، ـ و (القول السديد) ، ـ و (البر) ، ـ و (الدين الخالص) ، ـ و (الصراط المستقيم) ، ـ و (كلمة الحق) ، ـ و (العروة الوثقى) ، ـ و (كلمة الصدق)(٢).

---

(١) السابق ص ٣٣ .

(٢) الفخر الرازى : شرح أسماء الله الحسنى ص ١٤٣ ـ ١٥٤ ويشرح الرازى أن لتسمية الشهادة بكلمة التوحيد ثمرتين (أ) أن جوهر الانسان خلق فى الأصل مشرفا مكرما (ولقد كرمنا بنى آدم) ومن كرامته أن يكون طاهرا ، والمشرك نجس (انما المشركون نجس) . فالتوحيد يزيل نجاسة الشرك ، فيصير طيبا طاهرا ، فيصير من خواص الله ... (ب) أن الشرك سبب لخراب العالم لقوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا) . واذا كان ذلك كذلك : وجب أن يكون التوحيد سببا لعمارة العالم . فبالأولى أن يكون سببا لعمارة القلب الذى هو محل لمعرفة التوحيد ... الخ . ويستمر فى شرح كافة الأسماء بهذه الطريقة الجميلة المؤثرة ، بعيدا عما ألفناه فيه من أساليب المتكلمين قليلة الغناء =

خامســـا :

مقارنة بين منهج القرآن الكريم فى عرض قضايا الايمان والدعــوة اليها ، ومناهج المتكلمين :

١ ـ لا يخاطب القرآن عقل الانسان فحسب بالدليل العقلى المجرد ؛ لكنه يخاطب الكينونة الانسانية كلها ٠٠ يخاطب كل القوى الواعية المدركة فى الانســان ٠٠ وهو لا يقنع العقل فحسب ، لكنه يملأ الحس ، والشعور ، والضمير ، والوجدان ، والقلب ٠٠

يقدم الدليل تلو الدليل ـ للانسان ـ فى أسلوب حى جذاب ٠٠ يستخدم الاثارة الوجدانية تارة ، وتحريك العاطفة تارة أخرى ، وهز مشاعر الرجاء والخوف ، ويوجه النظر ، ويحث الفكر ، ويستجيش الانسان على التدبر والتعقل والتبصر فى المحس المشاهد من آيات الله الكونية ٠

يقول تعالى فى سورة الواقعة :

﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، افرعيتم ماتمنون ، ءانتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ، على ان نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ، ولقــد علمتم النشـــاة الأولى فلولا تذكرون ٠ افرعيتم ما تحرثون ، االنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، انا لمغرمون ، بل نحن محرومون ، افرايتم المــاء الذى تشربون ، االنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون ، افرايتم النار التى تورون ، االنتم انشاتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ، فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (١) ٠

=

والتاثير والاقناع ٠ وانظر كذلك لابن رجب (كلمة الاخلاص) فصل (فضائل لا اله الا الله) ص ٥٢ ، وانظر للامام بدر الدين الزركشى ت ٧٩٤ هـ كتاب (معنى لا اله الا الله) بتحقيق على محيى الدين القره داغى ، نشر دار الاصلاح ، ١٩٨٢ م ٠

(١) الواقعة الآية ٥٧ ـ ٧٤ ٠

هذا الأسلوب المنطقى يتصف بالحيوية ، لما فيه من الأسئلة الموجهة الى المخاطب ، والاجابة عنها ، الى أن يصل الى النتيجة المطلوبة التى بدأ بها لايراد الدليل عليها ، مع تعدد الأمثلة المأخوذة من حياة الانسان وما يحيط به .

وهكذا فان الأسلوب المنطقى الذى نراه جافا مجردا عن المتكلمين والفلاسفة ، يمتزج فى القرآن الكريم بالأسلوب العاطفى الحى ، دون أن يدخل الضيم على قوة أدلته وصحة براهينه .

فالقرآن يخاطب الانسان ، ويثيره عن طريق منافعه ومصالحه وحاجاته وملذاته ، وعن طريق قضاياه ومشكلاه ، ليحرك تطلعه وقلقه الى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة ومصيره البعيد ، ويجعله بذلك متهيئا للتفكير فى الله ومستعدا لقبول نتائج المنطق المنسجم مع منفعته (١) .

أما أدلة المتكلمين : فهى علاوة على تعقدها ، وغموضها ، وصعوبة مسالكها ، وحشوها بالمصطلحات غير القرآنية ، فانه يلحقها الوهاء والضعف عن ناحية : أن مقدماتها التى انطلقوا منها غير مسلمة لهم وهى موضع شك ، وجدل ، وبعضها باطل بالفعل !!

وكما انها لا تصلح للعامة ، فان عقول العلماء والخاصة ، تنفر منها وتعافها وتتجاوزها . ولقد أحسن الامام الغزالى فى تصوير الفرق الشاسع والبون الواسع بين الدليل القرآنى والدليل الكلامى ، فقال :

« ... فادلة القرآن مثل الغذاء الذى ينتفع به كل انسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء لا ينتفع به الصبى والرضيع والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالأطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة ، ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الأطفال أصلا » (٢) .

---

(١) قارن : الأستاذ محمد المبارك : العقيدة فى القرآن الكريم ص ٣٥.

(٢) الغزالى : الجام العوام ، ضمن مجموع رسائله : « القصور العوالى » ، طبعة الجندى بالقاهرة بدون تاريخ .

كما أن تسرب « فكرة الدور » الى المدارس الكلامية المختلفة ، كالمعتزلة ومتاخرى الأشاعرة خصوصا عند الآمدى والفخر الرازى - الذين بلغوا بها أقصى مداها ، قد أثر على حجية الدليل النقلى فى كافة المسائل الاعتقادية ، وزلزلت التوازن المنهجى بين النقل والعقل فى اطار علم الكلام (١) .

وكذلك فان اعتداد بعض المتكلمين بفكرة (المعارض العقلى المحتمل) قد جعل الأدلة النقلية أدلة ظنية ، مما دفع ابن تيمية لأن يعتبر هذه الفكرة الأخيرة صدا عن سبيل الله تعالى ، ويؤلف فى نقضها كتابه الموسوعى : « درء تعارض العقل والنقل » (٢) .

وان منهج المتكلمين فى الاستدلال - على العقائد - قد وجد معارضة قوية من بعض المفكرين المسلمين ، كما أنه قد جابه رفضا قاطعا من مفكرين آخرين ، أمثال : الامام مالك والامام أحمد بن حنبل والغزالى وابن رشد الحفيد ، وابن تيمية وابن الوزير اليمانى وغيرهم .

والواقع أن علماء الكلام - مع اعترافنا بجهودهم الضخمة واخلاص الكثيرين منهم لقضية الدفاع عن العقيدة - قد وقعوا فى أخطاء أساسية : فى المنطق والمنهج والغاية عند البعض ، وان نقاط القوة فى علم الكلام - فى نظرنا - يمكن تلمسها فى وقوفهم الصلب ضد التحديات الخارجية للاسلام ، والمتمثلة فى التنويه وفى تحريفات اليهود والنصارى . ومـــا يؤسف له أن جهود بعض علماء العقيدة المعاصرين متاثرة بمنهج علماء الكلام السابقين ، ولم يخرج كثير منهم عن الأطر المرسومة ، والتعابير المعهودة ، والقضايا والمســائل المبحوثة .

---

(١) انظر للدكتور حسن الشافعى : من قضايا المنهج فى علم الكلام ص ٥٤ من سلسلة دراسات عربية واسلامية . العدد الأول القاهرة ١٤٠٤ هـ .
(٢) حققه الدكتور محمد رشاد سالم ، ونشرته جامعة الامام محمد بن سعود فى أحـد عشر جزءا .

ولقد نبه ابن رشد (١) وابن تيمية والشاطبى وابن القيم - من قبل - على خطورة هذا الاتجاه ، كما أن أئمة الدين من أمثال مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد قد كرهوه وبدعوا أصحابه .

وعلم الكلام يستند الى صناعة المنطق ، ولم نر المنطق المجرد الجاف ، باقيسته وقضاياه الكلية والجزئية والموجبة والسالبة ، كان - فى يوم من الأيام - طريقا لدخول الناس فى عقيدة أو مذهب أو دين ، كما أنه قلما ينفذ الى النفوس ، فلابد من وجود عناصر أخرى تعينه ، وتجعله مقبولا مستساغا (٢) .

(ب) نقد المتكلمين فى استدلالهم على وحدانية الله تعالى :

ذهب معظم المتكلمين الى أن التوحيد يشمل ثلاثة جوانب ، هى :

١ - توحيد الذات الالهية ، أى أنه - تعالى - واحد فى ذاته لا قسيم له .

٢ - توحيد الصفات ، أى أنه - تعالى - لا شبيه له .

٣ - توحيد الأفعال ، اى انه - تعالى - واحد فى افعال لا شريك له .

واشهر هذه الانواع الثلاثة هو النوع الأخير المسمى عندهم (توحيد الأفعال) بمعنى أن خالق العالم واحد ، ويحتجون له بما يذكرونه من دليل التمانع وغيره . وأدلة المتكلمين على التوحيد مطلوبها : اثبات هذا النوع ، أى اثبات (توحيد الأفعال) .

ولئن نظرنا الى تقسيم التوحيد على انـه : (توحيد الربوبية) و (توحيد الألوهية) و (توحيد الأسماء والصفات) ، عرفنا أن توحيد الربوبية ، هو ما أسماه المتكلمون بتوحيد الأفعال ، بمعنى انه لا شريك فيها .

وهو الذى كد المتكلمون عقولهم فى تقريره والاستدلال عليه ، وظنوا -

---

(١) يراجع كتاب : مناهج الأدلة فى عقائد الملة للقاضى أبى الوليد ابن رشد الحفيد ، صاحب بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، حققه وقدم لـه المرحوم الدكتور / محمود قاسم : الأنجلو بمصر .

(٢) العقيدة فى القرآن ص ٦ .

خطأ - أنه التوحيد الذى بعثت به الرسل ، وأنزلت من أجله الكتب ، وأنه الذى يتعلق به حد التوحيد والشرك ، وخلطوا فى ذلك بين معنى الربوبية ومعنى الألوهية ، فجعلوا معنى الألوهية : القدرة على الاختراع والخلق ، واعتقدوا ن الاله هو القادر على الاختراع ، وجعلوا هذا أخص صفات الاله .

ومما ينبغى ان يشار اليه هنا أن المتكلمين - كما اخطأوا فى معرفة حقيقة التوحيد - اخطأوا كذلك فى الطرق التى سلكوها فى تقرير هـذا التوحيد . ولم يقدروا أدلة القرآن قدرها . ولمـا ظنوا أن مجرد الاعتقاد فى توحيد الربوبية كاف فى حقيقة التوحيد ، أخذوا يستدلون على ذلك بأدلة لا ترقى الى تقرير التوحيد كما جاءت به الرسل ، وكما أراده الله من عباده ، وحملوا الآية : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١) على أن هذا دليل التمانع وأخذوا يستدلون به على اثبات التوحيد .

ويرى ابن تيمية - موافقا فى ذلك ابن رشـد - أن الآية ليست مشتملة على دليل التمانع ، لأن التمانع الذى يتحدثون عنه هو : امتناع صدور العالم عن ربين خالقين له . فظنوا - خطأ - أن الآية الكريمة مسوقة لنفى هذا النوع من الشركة ، الشركة فى الخالقية أو الربوبية ، وصار كل منهم يذكر فى ذلك طريقا غير طريق صاحبه . والآية ليست مسوقة لنفى التعدد فى الربوبية لأن هذا لم يذهب اليه أهل الشرك ، بل هى مسوقة لنفى التعدد فى الألوهية ، ونفى أن يكون هناك من يستحق العبادة من دون الله . لأن توحيد الربوبية كان معترفا به من جميعهم ، فليسوا فى حاجة الى تقريره ، وانما هم فى حاجة الى بيان أن من أقروا بربوبيته وحده ، يجب أن يعبد وحـده .

ومقصود القرآن هو توحيد الألوهية ، وهـو متضمن - ضرورة - لتوحيد الربوبية من غير عكس ، ولهذا قالت الآية : **« لو كان فيهما آلهة**

---

(١) الأنبيـاء ٢٢ .

الا الله لفسدتا » . ولم تقل : لو كان فيهما الهان ، لأن الفرض المقدر هو آلهة كثيرة تعبد مع الله كما كان واقع المشركين (١) .

ويستدل (ابن تيمية) على نفى التعدد فى الألوهية - الذى هو مقصود القرآن ومناط التوحيد والكفر - بقوله تعالى :

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .... نفت الآية أن يكون لله (ولد) وبهذا نفت تأليه الوسائط بين الله وعباده . كما نفت أن تكون هناك آلهة احرى تستحق العبادة على سبيل الشركة معه ، لأنه لو كان هناك من يستحق العبادة معه فلا يحلو الأمر من أحد احتمالين ، هما :

١ - (أن يدهب كل اله بما حلق) على فرض أن يكون كل اله قادرا ، وهذا منتف واقعا ، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم .

٢ - أن يكون أحدهم قادرا دون الآخرين ، وهنا يصدق الفرض الثانى فى الآية (ولعلا بعضهم على بعض) . ومعلوم أن ذلك لم يقع ، فدل على امتناع أن يكون هناك اله قادر ، وآخر ، أو آخرون عاجزون .

ولو فرض وقوع ذلك ، لكان القادر هو الاله ، دون بقيتهم ، وعندئذ يستحق وحده العبادة .. وهذا لعمرى دليل شرعى وعقلى فى آن واحد ، **يفى بالمطلوب ، ويحقق المقصود ، يقنع العقل ، ويملأ القلب معا .. وهذا شان البراهين القرآنية كلها .**

---

(١) انظر المراجع التالية : (الرسالة التدمرية) لابن تيمية ، (وشرح العقيدة الواسطية) له (وشرح العقيدة الطحاوية) ، (ودرء تعارض العقل والنقل) ، (والفتاوى) ، (والكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة) لابن رشد .

وانظر المقدمة الممتازة التى كتبها الدكتور محمد الجليند لكتاب (التوحيد) لابن تيمية ص ٥٧ - ٦٠ (بتصرف) وراجع (مذكرات الدكتور مدكور ص ٣١ .

سادسا : تصور الديانتين اليهودية والنصرانية للتوحيد :

لا أود الاطالة فى بحث هذه المسألة ، لأنى قد تناولتها بشىء من البسط ، فى دراساتى المتعلقة بمقارنة الأديان ، وساكتفى بالاشارة الى أهم عناصرها مع الاحالة الى بعض المصــادر والمراجع ٠

١ ـ التوحيد فى الديانة اليهودية :

الديانة اليهودية فى الأصل ديانة (توحيد) ، لكن بنى اسرائيل الذين بعث الله فيهم موسى عليه الســلام مغرمون بعبادة العجل والوثن ٠٠ ويذكر القرآن الكريم واقعة عبادتهم العجل من دون الله رغم وجود رسولين كريمين بين أظهرهم (موسى وهارون عليهما السلام) ، ورغم المعجزات الباهرة التى رأوها بأعينهم ، يقول الله تعالى :

« واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » (١) ، « ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » (٢) ، « واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قــل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » (٣) ٠

ولم يقتصر أمرهم على عبادة عجل واحد ، لكن كتبهم التى يقدسونها تذكر **أنهم عبدوا أوثان الأمم الأخرى من دون الله** ، جاء فى ســفر الملوك الأول (١١ : ٢٣) يخاطب ربهم سليمان بن داود ، عليهما السلام قائلا عن بنى اسرائيل :

« ٠٠ لأنهم تركونى ، وسجدوا لعشتروت الهة الصيدونيين ، ولكموش اله المؤابيين ، ولملكوم اله بنى عمون ٠٠٠ الخ » ٠

---

(١) البقرة ٥١ ٠
(٢) البقرة ٩٢ ـ ٩٣ ٠
(٣) البقرة ٩٣ وانظر الآيات ١٥٣ من سورة النساء ، ١٥٨ من سورة الأعراف ، ٨٥ ـ ٩١ من سورة طــه ٠٠ وآيات كثيرة ٠

وجاء فى سفر الملوك الأول (١٧ : ٧ - ٢٣) :

« ٠٠ وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين ، وعملوا سوارى ، وسجدوا لجميع جند السماء ، وعبدوا البعل ، وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار ، وعرفوا عرافة » وغير ذلك كثير جدا فى كتبهم (١) ٠

هذه صورة للانصراف الصريح جملة وتفصيلا عن الاله الواحد سبحانه الى الوثنية ممثلة فى **العجل** ، **وبعل** ، **وعشتروت** ، **وملكوم** ، **وكموش** ، وغير ذلك ٠

أما الصورة الأخرى فتتمثل فى تصورهم للاله الواحد سبحانه ، تصورا وثنيا خالصا ، فالههم اله قبلى خاص بهم وحدهم فى مقابل آلهة الأمم والقبائل الأخرى الوثنية ٠

وهو لا يختلف عن الانسان فى صفاته ، وافعاله ، وطموحاته ، وتطلعاته ، وقصوره ونقصه ، فهو اله ينام ويرقد ، ويصارع بعض عباده ويهزم منهم ، ويندم ويتحسر لأنه لم يكن يعرف ما سيكون عليه الانسان ، وعندما يفاجأ بسلوك البشر يندم ويتحسر ، وهو يشم رائحة الشواء فيتلذذ له ، ٠٠ وهو يخاف من شعبه ، وعينه ترمد ، ويراه بنو اسرائيل بأعينهم كما يرون أنفسهم ٠٠ الخ ٠

ويعلق متى (انجيل متى ١٣ : ١٥) واصفا لسلوكهم الردىء قائلا : « ٠٠ قد غلظ قلب هذا الشعب وثقلت آذانهم عن السمع » ويعلق الحبر السموأل - وهو خبير بهم - قائلا : « لهذه الطائفة من فنون الضلال والاختلال ما تنأى عن مثله العقول ، ويخالفه المشروع والمعقول ! » ويذكر : « ٠٠ ويطول الكتاب ، اذا عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم ، على أن أحبارهم قد

---

(١) راجع كتاب الحبر اليهودى الذى أسلم (السموال المغربى ٥٧٠ هـ) المسمى (افحام اليهود) بتحقيقنا ، نشرة دار الهداية ١٩٨٦ م ، للتوسع راجع كتابنا : (فى مقارنة الأديان) نشر دار الهداية بالقاهرة ٠

تهذبوا كثيرا عن معتقد آبائهم ، بما استفادوه من توحيد المسلمين » (١) .

وخلاصة المسألة : أن تصور الديانة اليهودية الحالية للتوحيد . تصور وثنى أصوله فى عقائد الأمم الوثنية الكافرة مثل قدماء المصريين ، واليونان ، والرومان ، والهنود ، والبابليين وغيرهم .

٢ - التوحيد فى الديانة النصرانية :

بعث الله عيسى عليه السلام ، فى بنى اسرائيل ليجدد لهم الدين ويدعوهم الى توحيد الله تعالى ، فصموا آذانهم وعموا .. ، وبعد رفع عيسى عليه السلام ، انحرفوا بديانته الى الوثنية انحرافا كاملا ، خصوصا بعد دخول بولس ثم الامبراطور الوثنى الرومانى قسطنطين فى الديانة النصرانية (٢) ، وبعد مجمع (نيقية المسكونى الأول) سنة ٣٢٥ م .

وغيرت عقائد الديانة النصرانية التى بعث بها عيسى عليه السلام ، الى عقائد وثنية :

فقالوا بالتجسد والحلول : أى تجسد الله أو ابن الله فى عيسى .

وقالوا بالتثليث : أى أن الله ثلاثة (الأب ، والابن ، وروح القدس .. والثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة) .

---

(١) (افحام اليهود) ، للتوسع راجع الكتب التالية : (رسالة فى اللاهوت والسياسة) لباروخ سبينوزا ، ترجمة د . حسن حنفى ، و (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) لابن حزم . ولنا : (فى مقارنة الأديان) ، و (الفلكلور فى العهد القديم) لجيمس فريزر ،
Alister kee : Constantine Versus Christ., SCM. 1982.
واقرأ الفصل الذى كتبه (J.M.Robertson) بعنوان :
(The God of the Jews) فى كتابه (Pagans Christs)
، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، للدكتور عبد المنعم الحفنى .

(٢) انظر : ول ديورانت ، قيصر والمسيح ، ترجمة محمد بدران ، نشر جامعة الدول العربية (قصة الحضارة ١١) . وانظر :
- Alister Kee : Constantine Versus Christ. SCM. 1982.
وانظر الفصل الذى كتبه (Robin Lane Fox) بعنوان :
(Constantine and the Church) فى كتابه : (Pagans and Christians

وقالوا بالصلب : أى صلب ابن الاله ، ودفنه فى قبر ، ومكثه فيه ثلاثة أيام ، ثم بعثه وقيامته من القبر ٠

وقالوا ان ابن الاله صلب فداء وكفارة عن خطيئة الانسان الأزلية الأصلية ٠

وقالوا غير ذلك من مبادىء عقدية استمدوها بشكل مباشر من عقائد الأمم الوثنية الكافرة السابقة عليهم مثل : قدماء المصريين ، واليونان ، والرومان ، والهنود ٠٠٠ الخ ٠٠ ويحدد القرآن الكريم مصدر عقائدهم فى آية كريمة جامعة :

« ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » (١) ٠

وقد نهاهم الله عن وثنيتهم قائلا :

« ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما هو اله واحد » (٢) ٠

والأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية ، لم تعد فرضا علميا او تخمينا أو استنتاجا ، لكنها بعد تقدم العلوم النقدية ، واكتشاف الوثائق ، وقراءة المخطوطات والنقوش ، قطع علماء الأديان الغربيون بان هذه العقائد النصرانية ان هى - فى حقيقة الأمر وواقع الحال - الا خرافات وأساطير عرفتها الأمم الوثنية القديمة ، وسجلتها فى آثارها ، ثم استمدتها النصرانية منها ، ونقلتها نقلا حرفيا ٠

وقد أفاض العلماء الغربيون فى البرهنة على ذلك ، اعتمادا على الموازنة العلمية بين ما عليه هذه الديانة النصرانية ، وما عرف من أساطير دينية وخرافات وثنية عند الأمم القديمة ٠

وقد وضع أساتذة اللاهوت وعلماء الحفريات مئات ، بل عشرات المئات من الكتب والدراسات التى تثبت هذه الحقيقة الناصعة ، وهى :

---

(١) سورة التوبة ٣٠ ٠
(٢) سورة النساء ١٧١ ٠

وثنية العقائد النصرانية (١) ٠٠ ومع الوثنية لا يستساغ بل لا يصح الحديث عن التوحيد !!

(١) انظر نماذج كثيرة جدا لهذه الكتب ، ونقولا منها فى مقدمتنا وتعليقنا على كتاب الطاهر البيروتى : (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) نشر دار الصحوة بالقاهرة ٠

وانظر على سبيل المثال ٠

- Dean Spence . Early Christianity and Paganisn, Hoo Vine.
- Edwyn Bevan, Hellenism and Christianity, London, First Published in 1921.
- J.M. Robertson : Pagans Christs, University Books, N.y, 1967.
- Roben Lane Fox : Pagans and Christians, Viking, 1986.

وانظر ما كتبه الجاحظ فى (المختار فى الرد على النصارى) بتحقيقنا ، وما كتبه ابن حزم فى (الفصل) والباقلانى فى (التمهيد) والجوينى فى (شفاء العليل) والغزالى فى (الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل) بتحقيقنا ٠ و (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية ، والأجوبة الفاخرة للقرافى ، و (النصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية) بتحقيقنا ، و (تحفة الأريب) للترجمان ، وراجع (اظهار الحق) لرحمة الله الهندى ٠

- The myth of God Incarnate, Edited By John Hick, SCM.

الأصـــل الثانى

الإيمان بالملائكة

الأصل الثانى : الايمـان بالملائكة

الركن الثانى من أركان الايمان : أن يعتقد المؤمن اعتقادا جازما أن لله تعالى خلقا نورانيا روحانيا أسماهم : الملائكة ... ويؤمن بما ذكره الله ورسوله عنهم ، فلا يزيد عليه ولا ينقص منه . والايمان بالملائكة مترتب على الايمان بالله تعالى ، لأن من مقتضيات الايمان به عز وجل ، الايمان بكل ما طلب الينا أن نؤمن به ، بالكيفية التى أخبرنا بها سبحانه ، وعلى ذلك فالذى لا يؤمن بالملائكة لا يكون مؤمنا بالله تعالى ايمانا حقيقيا خالصا .

والدليل على وجوب الايمان بالملائكة من الكتاب والسنة ، قال تعالى :

« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله » (١) .

« ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » (٢) .

وفى السنة أحاديث كثيرة تتحدث عن ملائكة الله ، وقد ذكر الامام البخارى فى صحيحه أكثر من ثلاثين حديثا عن الملائكة . منها حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٣) .

فوجود الملائكة ثابت مقرر بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والايمان بهم يشكل الركن الثانى من أركان الايمان ، وعدم الاعتقاد بوجودهم على على الصورة التى أخبر الله بها ورسوله ، كفر بالله تعالى .

والملائكة كثيرون لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، وهنالك أحاديث

---

(١) البقرة ٢٨٥ .
(٢) النسـاء ١٣٦ .
(٣) متفق عليه . واللفظ لمسلم .

يستفاد منها ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « **أطت السماء ، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد** » (١) ، وفى حديث المعراج قال صلى الله عليه وسلم : « **فرفع لى البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك** » (٢) ٠

وكذلك الملائكة الذين يحفظون البشر ، ويسجلون عليهم أعمالهم ، وغيرهم كثير ٠

ويجب علينا الايمان بالملائكة على الاجمال ، وبمن ذكرت أسماؤهم فى القرآن والسنة على التفصيل ، ومن هؤلاء رؤساؤهم الثلاثة : جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ٠

وجبريل هو الملك الموكل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح ، ويسمى الروح الأمين وروح القدس ، وقد ورد ذكر اسمه فى القرآن مقرونا باطيب الثناء من الله تعالى ، عليه :

« **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه ، وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** » (٣) ٠

وقال تعالى :

« **فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، والليل اذا عسعس ، والصبح اذا تنفس ، انه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين** » (٤) ٠ **وقال : « علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى** » (٥) ٠

وقال بعض العلماء ان ميكال أو ميكائيل هو الملك الموكل بالمطر الذى

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والبزار ٠
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٣٢ ٠
(٣) البقرة ٩٧ ــ ٩٨ ٠
(٤) سورة التكوير ١٥ ــ ٢١ ٠
(٥) النجم ٥ ٦ ٠

به حياة الأحياء على الأرض ، واسرافيل هو الموكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم ٠

وقد ورد ذكر (مالك) خازن النار فى القرآن الكريم ، قال تعالى :

« ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك » (١) ٠

وجملة القول أن الملائكة الذين ذكرت أسماؤهم فى القرآن أو السنة يجب ان نؤمن بهم وبوظائفهم وأعمالهم التى ذكرت ووصفت لهم ٠ وأولئك الذين لم يذكروا بأسمائهم ، علينا أن نؤمن بهم اجمالا ، ونؤمن بأصنافهم وأعمالهم كما وصفت فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة ٠

فنؤمن بالكرام الكاتبين الذين جعلهم الله علينا حافظين ، قال عز وجل :

« وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » (٢) ٠

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » (٣) ٠

« أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون » (٤) ٠

« ولقد خلقنا الانسان ، ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ، اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (٥) ٠

– ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض الأرواح ، قال تعالى :

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ، ثم الى ربكم ترجعون » (٦)

---

(١) الزخرف ٧٧ ٠
(٢) الانفطار ١٠ – ١٢ ٠
(٣) الرعد ١١ ٠
(٤) الزخرف ٨٠ ٠
(٥) سورة ق ١٧ – ١٨ ٠
(٦) السجدة ١١ ٠

ولم يصرح القرآن باسمه ، ولا الأحاديث الصحيحة ، وان كان قد جاء في بعض الآثار أن اسمه : (عزرائيل) ٠

- ونؤمن بحملة العرش ، قال تعالى : **« ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » (١)** ٠

- ونؤمن بالملائكة الموكلين بالجنة واستقبال المؤمنين فيها ٠

- ونؤمن بحرنة جهنم ، وبكل نوع ووظيفته كما وصفت لنا في **القرآن أو السنة ٠ وعن ملائكة الجنة قال تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (١) ، وعن ملائكة النار يقول تعالى : « عليها تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا » (٣)** ٠

والملائكة قد حلقهم الله من نور كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم** » (٤) فهم أجسام نورانية روحانية على معنى انهم أرواح لا شيء معها من ماء أو نار أو تراب ، وانما لا يرون للطافتهم (٥) ، وليس لهم جسم مادى حتى تدركهم الحواس الانسانية ، ومن ثم فانهم لا يشبهون البشر ، فهم لا ينامون ، ولا ياكلون ، ولا يفترون ، ولا يتناسلون ، مطهرون من الشهوات الحيوانية ، ومنزهون عن الآثام والخطايا ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التى يتصف بها أبناء آدم ٠ وهم مفطورون على الخير ، لا يعرفون الشر ، ولا يأتونه ، ولا يامرون به ٠

---

(١) الحاقة ١٧ ٠

(٢) الرعد ٢٣ - ٢٤ ٠

(٣) المدثر ٣٠ - ٣٢ ٠

(٤) رواه مسلم ٠

(٥) الحليمى : المنهاج ج ١ ص ٣٠٨ ، وانظر للدكتور محمد نعيم ياسين : (الايمان) ص ٤١ - ٥٨ ، وانظر لابن القيم : (اغاثة اللهفان =

ومع ذلك فقد منحهم الله تعالى القدرة على التشكل فى صورة بشرية وقد ذكر الله أن الملك الذى جاء مريم عليها السلام تمثل لها فى صورة بشرية ، قال تعالى :

« .. فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » (١) .

وكذلك ما جاء فى الحديث الصحيح من أن جبريل قد جاء للنبى صلى الله عليه وسلم فى **صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر (٢) .**

ونؤمن أن الله خلقهم قبل البشر ، قال تعالى : **« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » (٣) .**

- كما ذكر القرآن أن لهم أجنحة :

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق ما يشاء » (٤) .

وعن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح » (٥) .**

نؤمن بكل ذلك على الاجمال أما حقيقة الملائكة وكيف خلقهم الله ، وتفصيلات أحوالهم ، فقد استأثر الله سبحانه بها ، وهذه خصيصة عامة من خصائص العقائد الاسلامية ، التى أظهرت من حقائق الغيب ، وعرفت به فى حدود ما يحتاج اليه البشر ، ويصلح أحوالهم ، فى المعاش والمعاد ،

=

من مصائد الشيطان) جـ ٢ ص ١٢٠ - ١٢٦ ، وانظر شرح الطحاوية ص ٢٧٣ وما بعدها ، وانظر لأبى بكر الجزائرى (عقيدة المؤمن) ص ١٨٦ وما بعدها ، وللدكتور عمر سليمان الأشقر كتاب (عالم الملائكة) طبعة ١٩٧٩ م وانظر كتاب أصول الايمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، نشر مكتبة المعارف بالرياض ، وانظر شرح الفقه الأكبر لعلى القارى ، وغير ذلك .

(١) مريم ١٧ .

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود وابن ماجة والترمذى وابن حنبل .

(٣) البقرة ٣٠ .

(٤) فاطر ١ .

(٥) متفق عليه .

وما تطيقه عقولهم ، فلم يطلعنا الله جل وعلا على جميع المغيبات ، سواء منها ما تعلق بجلاله وصفاته ، وأسمائه ، وما تعلق بحقيقة مخلوقاته الغيبية ٠

والمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق ، مجملا أو مفصلا ، ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ، ولا يخوض فيه (١) ٠

والملائكة (عباد) لله مكرمون ، فهم ليسوا ذرية له سبحانه وتعالى ٠ وليسوا بنات له كما زعم المشركون ، وعلاقتهم بالله علاقة الخوف والخشية والخضوع والامتثال الكامل ، وهذه سمات العبودية الخالصة التامة لله رب العالمين ٠ فالملائكة خلق من خلق الله ، طاعتهم له تامة ، وعبوديتهم له سبحانه مطلقة ، وليس لهم من الأمر شيء ، وليس لهم من الألوهية شبهة أو شركة ، حتى الشفاعة لا تقع منهم الا باذن الله تعالى ٠

- ونؤمن بالملك الموكل بالرحم لحديث البخارى ومسلم ، (واللفظ لمسلم) : « ان الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكا ، فيقول : أى رب نطفة ، أى رب علقة ، أى رب مضغة ، فاذا أراد الله أن يقضى خلقا قال الملك : أى رب ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه » ٠

ويلخص شارح العقيدة الطحاوية موضوع الملائكة ، فيقول :

« وأما الملائكة ، فهم الموكلون بالسموات والأرض ، فكل حركة فى العالم فهى ناشئة عن الملائكة (باذن الله وتكليفه لهم) » كما قال تعالى : **« فالمدبرات أمرا » (٢) ، « فالمقسمات أمرا » (٣) ، وهم الملائكة** عند أهل الايمان واتباع الرسل ٠٠٠

« وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنها موكلة بأصناف

---

(١) الايمان ٤٢ ٠
(٢) سورة النازعات ٥ ٠
(٣) الذاريات ٤ ٠

المخلوقات ... ، وانه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة ، ووكل بالرحم ملائكة تدبر امر النطفة حتى يتم خلقها ، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله ، واحصائه وكتابته ، ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالسؤال فى القبر ملائكة ، ووكل بالافلاك ملائكة يحركونها ، ووكل بالشمس والقمر ملائكة ، ووكل بالنار وايقادها وتعذيب اهلها وعمارتها ملائكة ، ووكل بالجنة وعمارتها ، وغرسها ، وعمل آلاتها ملائكة .

فالملائكة أعظم جنود الله ، فمنهم :

« والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقيات ذكرا » (١) .

ومنهم :

« والنازاعات غرقا ، والنشاطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا » (٢) .

« والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا » (٣) .

ومعنى التأنيث فى ذلك كله : الفرق ، والطوائف والجماعات ، التى مفردها : (فرقة) ، و (طائفة) ، و (جماعة) .

« ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش ، وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس ، الى غير ذلك من أصناف الملائكة التى لا يحصيها الا الله » .

ولفظ (الملك) يشعر بانه رسول منفذ لأمر مرسله ، فليس لهم من الأمر شىء ، بل الأمر كله لله الواحد القهار ، وهم ينفذون أمره :

« لا يسبقونه بالأمر ، وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » (٤) .

---

(١) المرسلات ١ ـ ٤ .
(٢) النازعات ١ ـ ٤ .
(٣) الصافات ١ ـ ٣ .
(٤) سورة الأنبياء ٢٧ ـ ٢٨ .

« يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) ٠

فهم عباد مكرمون ، منهم الصافون ، ومنهم المسبحون ، ليس منهم الا له مقام معلوم ، ولا يتخطاه ، وهو على عمل قد أمر به ، لا يقصر عنه ، ولا يتعداه ، وأعلاهم الذين عنده « لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٢) ٠

فهم رسل الله فى خلقه وامره ، وسفراؤه بينه وبين عباده ، ينزلون الامر من عنده فى أقطار العالم ، ويصعدون اليه بالأمر ، قد أطت السموات بهم ، وحق لها أن تئط ٠

والقرآن مملوء بذكر الملائكة واصنافهم ، ومراتبهم ، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم ، وصلاته بصلاتهم ، ويضيفهم اليه فى مواضع التشريف ٠ وتارة يذكر حفهم بالعرش ، وحملهم له ومراتبهم من الدنو والقرب ٠ وتارة يصفهم بالاكرام والكرم ، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والاخلاص ، قال تعالى :

« كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » (٣) ٠

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم » (٤) ٠

« هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور »(٥)

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا » (٦) ٠

« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » (٧) ٠

« بل عباد مكرمون » (٨) ٠

« ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ، وله يسجدون » (٩) ٠

---

(١) النحل ٥ ٠
(٢) الأنبيا ١٩ ـ ٢٠ ٠
(٣) البقرة ٢٨٥ ٠
(٤) آل عمران ١٨ ٠
(٥) الأحزاب ٤٣ ٠
(٦) غافر ٧ ٠
(٧) الزمر ٧٥ ٠
(٨) الأنبياء ٢٦ ٠
(٩) الأعراف ٢٠٦ ٠

« فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون » (١) .

« كراما كاتبين » (٢) .

« كرام بررة » (٣) .

(يشهده المقربون) (٤) .

« لا يسمعون الى الملأ الأعلى » (٥) .

« وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم ، فلهذا كان الايمان بالملائكة أحد أصول الايمان واركانه » (٦) .

علماء الكلام لم يوفوا هذا الركن حقه :

ومما استوقفنى وانا أبحث هذا الموضوع ، أنى وجدت : ان كتب علم الكلام والعقيدة تقصر القول فى موضوع الملائكة ، ولا توفيه حقه من البحث والدرس ، ولم ينج من هذا التقصير الا مؤلفون معدودون مذكورون (٧) ، ومع ان الايمان بالملائكة يشكل الأصل الثانى للاعتقاد أو الركن الثانى من أركان الايمان ، ومع أن الكتاب والسنة قد بسطا القول فى هذا الموضوع ، فان اكثر المؤلفين - فى حقل العقيدة والكلام - لم يعطوه استحقاقه ؛ بل أنهم قد اختزلوا الكلام على هذا الأصل فى جزئية واحدة تناقلوها وكرروها واعادوها وهى :

هل الأنبياء أفضل من الملائكة ؟ وهل الملائكة معصومون من الأخطاء (٨) . وكان الأجدر بهم أن يسترشدوا بطريقة الكتاب والسنة فى عرض هذا الأصل الثانى من أصول الاعتقاد .

---

(١) فصلت ٣٨
(٢) الانفطار ١١ .
(٣) عبس ١٦ .
(٤) المطففين ٢١ .
(٥) الصافات .
(٦) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
(٧) مثل الحليمى ، وابن تيمية ، وابن القيم وغيرهم .
(٨) انظر : (المواقف) للعضد ص ٣٦٦ - ٣٦٩ ، كتاب أصول الدين لعبد القاهر البغدادى ص ١٦٦ .

ولعل الذى جر علماء الكلام لهذه المناقشة الوجيزة ، وهذا اللمس الخفيف لموضوع الملائكة - المتمثل فى محاولة الاجابة على هذا السؤال : « هل الملائكة افضل من الانبياء » ؟ - كلام الفلاسفة واستدلالهم المفصل على رأيهم الذاهب الى تفضيل الملائكة على الرسل (١) ٠

أثر الايمان بالملائكة على الانسان :

للايمان بالملائكة أثر ايجابى على الانسان ؛ لأنه من الايمان بالغيب الذى هو من من أوصاف المتقين ، قال عز وجل :

« الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون » (٢) ٠

ومن آثاره الطيبة انه يعصم المؤمنين من الوقوع فى الخرافات والأوهام التى يقع فيها من لا يؤمنون بالغيب ، ولا يتلقون معارفهم عن الوحى الالهى ٠

ومن هذه الآثار الطيبة : أن هذا الايمان يدفع الى الاستقامة على منهج الله تعالى ؛ فان من يوقن بوجود ملائك الرحمن من حوله ، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله ، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحيى من الله ومن جنوده ، فلا يخالفه ولا يعصيه ، لا فى العلانية ، ولا فى السر ، اذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شىء محسوب ومكتوب ومشهود عليه ٠

ومن هذه الآثار : الصبر ، وعدم اليأس ، والشعور بالأنس والطمانينة ؛ كل هذه المعانى - وغيرها - من ثمرات الايمان بالملائكة وما أخبرنا الوحى من أحوالها وأفعالها وملازمتها ٠٠ وهكذا فالايمان بالملائكة له اعمق الأثر فى نفس المؤمن وقلبه وعمله واستقامته ، فوجودهم نعمة من الله ، والايمان بهم نعمة أخرى (٣) ٠ واقرأ ما كتبه الامام ابن القيم فى ذلك المعنى :

---

(١) أنظر : المحصل للفخر الرازى ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، وانظر : الصحائف الالهية ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ٠

(٢) أول البقرة ٠

(٣) راجع كتاب الايمان ص ٥٧ - ٥٨ ٠

والملائكة الموكلة بالانسان - من حين كونه نطفة الى آخر أمره - لهم وله شان آخر : فانهم موكلون بتخليقه ونقله من طور الى طور ، وتصويره ، وحفظه ، فى أطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه وعمله ، وأجله ، وشقاوته ، وسعادته ، وملازمته فى جميع أحواله ، واحصاء اقواله وافعاله ، وحفظه فى حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره ، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه فى البرزخ ، وبعد البعث .

وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب ، وهم المثبتون للعبد المؤمن باذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه ، والمقاتلون الذابون عنه ، وهم أولياؤه فى الدنيا والآخرة ، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه اليه ، وينهونه عن الشر ، ويحذرونه منه ، فهم أولياؤه وأنصاره ، وحفظته ومعلموه ، وناصحوه ، والداعون له ، والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه مادام فى طاعة ربه ، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير ، ويبشرونه بكرامة الله تعالى فى منامه ، وعند موته ، ويوم بعثه . وهم الذين يزهدونه فى الدنيا ، ويرغبونه فى الآخرة ، وهم الذين يذكرونه اذا نسى ، وينشطونه اذا كسل ، ويثبتونه اذا جزع . وهم الذين يسعون فى مصالح دنياه وآخرته ، فهم رسل الله فى خلقه وأمره ، وسفراؤه بينه وبين عباده ، تتنزل بالأمر من عنده فى أقطار العالم وتصعد اليه بالأمر » (١) .

---

(١) ابن قيم الجوزية : (اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) ج ٢ ص ١٢٥ - ١٢٦ ، طبعة الحلبى بمصر ١٩٦١ م .

الأصل الثالث

الايمان بالكتب

الأصل الثالث : الايمـان بالكتب

يشكل الايمان بالكتب الركن الثالث من أركان العقيدة ، ومعناه : أن يصدق المؤمن تصديقا جازما بما أوحى الله تعالى من كلامه الى من اصطفى من رسله ، وحفظ ، ودون فى كتب قيمة وصحف مطهرة .

وما عرف من هذه الكتب على وجه الاجمال ، ينبغى الايمان به على وجه الاجمال كما جاء فى قوله تعالى :

« كان الناس أمة واحـدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق » (١) .

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (٢) .

وما عرف من هذه الكتب تفصيلا ، يعنى باسمائها وصفاتها ومضمونها يجب الايمان به على وجه التفصيل ، والمصدر فى ذلك هو القرآن الكريم وحده كما سنذكر فيما بعد ، يقول تعالى ذاكرا من هذه الكتب التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، والزبور ، وصحب ابراهيم وموسى عليهما السلام :

« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (٣) .

« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا » (٤) .

« ثم قفينا على آثارهم برسلنـا وقفينا بعيسى ابن مـريم وآتينـاه الانجيل » (٥) .

« ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى » (٦) .

---

(١) سورة البقرة ٢١٣ .
(٢) الحـديد ٢٥ .
(٣) المـائدة ٤٣ ـ ٤٤ .
(٤) الاسراء ٥٥ .
(٥) الحـديد ٢٧ .
(٦) الأعلى ١٥ ـ ١٦

وقد ورد فى هذه الآيات الكريمة أسماء ثلاثة كتب الهيه انزلها الله على ثلاثة رسل كرام ، هذه الكتب هى : **التوراة التى انزلها الله على موسى** عليه السلام ، والزبور الذى انزله الله على داود عليه السلام ، والانجيل الذى انزله الله على عيسى عليه السلام . هذا الى جانب **الصحف الالهية** التى انزلها الله تعالى على كل من ابراهيم وموسى عليهما السلام .

وقد ورد فى آيات أخرى بعض ما جاء فى هذه الكتب **من أحكام واخبار** ، مثل قوله تعالى عن التوراة : « **وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون** » (١) .

ويشير القرآن الى ان **التوراة والانجيل قد اشتملا على بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم** ، وعلى وصف ما سيكون عليه أصحابه ، قال تعالى :

« **محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** » (٢) .

وقد نصت هذه الآية القرآنية على ان وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصف أصحابه فى كل من التوراة والانجيل (٣) بنفس المعنى الذى حوته هذه الآية القرآنية الكريمة .

---

(١) سورة المائدة ٤٥ .

(٢) سورة الفتح ٢٩ .

(٣) والحق ان شيئا كثيرا من مضمون هذه الآية الكريمة لا يزال مكتوبا فى أسفارهم الحالية ، أمسك الله ايديهم عن تبديله وتغييره لحكمة عالية ؛ وليكون شاهدا عليهم .. ولقد تناول كثير من المهتدين الى دين الاسلام من علماء اليهود والنصارى دراسة هذه المسالة ، مسالة بشارات =

كما جاءت اشارة قرآنية عن بعض مضمون الصحف التى أنزلها الله على ابراهيم وموسى :

« قد افلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ، ان هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » (١) .

وقوله سبحانه :

« أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ، الا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » (٢) .

=

اسفارهم التى يقدسونها (العهد القديم والعهد الجديد) بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووصفه ، ووصف أصحابه ، انظر فى هذا مقدمة تحقيقنا لكتاب (نصر بن يحيى المتطبب - كان نصرانيا فاسلم) بعنوان : (النصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية) .

- وانظر كتاب المهتدى السموأل بن يحيى المغربى (افحام اليهود) بتحقيقنا ايضا .

- وانظر للمهتدى : على بن ربن الطبرى : (الدين والدولة فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) .

- وانظر كتاب المهتدى عبد الله الترجمان : (تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب) . وكتاب المهتدى المعاصر الأستاذ ابراهيم خليل أحمد (فيلبس سابقا) : (محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل)

- وانظر كتاب المهتدى المعاصر البروفيسور عبد الأحد داود : (محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المقدس) مترجم عن الانجليزية ، ومنشور فى الدوحة . وغير ذلك من مراجع .

كما ان علماءنا المسلمين الذين كتبوا فى أعلام النبوة ودلائلها قد بحثوا فى موضوع البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل وذكروا كثيرا منها .

انظر تعليقاتنا على كتابى : (النصيحة الايمانية) و (افحام اليهود) وهذا موضوع يحتاج الى دراسة .

(١) آخر سورة الأعلى .

(٢) سورة النجم ٣٦ - ٤١ .

فقد اشارت هذه الآيات القرآنية على ان فى صحف كل من ابراهيم وموسى اخبارا بان النفس المذنبة لا يحمل عنها ذنبها يوم القيامة غيرها ، وأن الانسان ليس له الا نتائج العمل الذى عمله ، وسعى فيه بنفسه ، كما أن سعى الانسان سوف يعرف به ، ويجزاه كاملا غير منقوص ٠

فهده الكتب التى ذكرت فى القرآن الكريم بأسمائها ، وأسماء أصحابها الذين نزلت عليهم ، يؤمن بها المؤمن كما ذكرت مفصلة ، أما باقى الكتب التى لم يرد فى القرآن أسماؤها أو أسماء من أنزلت عليهم من الرسل ، فيجب أن يؤمن بها العبد ايمانا مجملا بلا زيادة ولا نقصان ، ولا يؤمن ببعض هذه الكتب ويكفر ببعضها تعصبا وجهلا وضلالا ، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة ، والانجيل المبدل ، وكفروا بالقرآن المحفوظ الباقى غضا طريا كما نزل ، والصافى المحض ، الذى لم يشب ٠ فكانوا كمن آمن بالباطل وكفر بالحق ٠

والمصدر الوحيد الذى يرجع اليه فى معرفة الكتب الالهية بالتفصيل الحق الثابت ، هو القرآن الكريم وحده ٠ اذ هو الكتاب المحفوظ حفظا لا يتطرق اليه – معه – الزيادة ، ولا النقص ، ولا التحريف ولا التغيير أو التدبيل ، بحال من الأحوال ؛ لانه من وقت نزول الآية منه ، أو الآيات ، أو السور القصيرة أو الطويلة ، ورجال كثيرون أمناء بررة عدول أتقياء أنقياء أصفياء ، متوفرون على كتابته فى سطورهم ، وحفظه فى صدورهم ، باشراف الرسول صلى الله عليه وسلم وأمين الوحى جبريل على السلام (الذى كان يراجع القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر القرآن من كل عام) ٠ فما أن تم نزوله – فى خلال الثلاث والعشرين سنة – من عهد النبوة المحمدية ، حتى كان قد فرغ مئات الرجال والنساء الأذكياء الأتقياء من حفظه على صحائف صدورهم وقلوبهم ، وعلى صحائف السطور فى نفس الوقت ٠

ولم يمض طويل زمن حتى أصبح الحفاظ المجيدون عشرات الآلاف من الرجال الأفاضل والنساء الفضليات ، واستمر محفوظا فى الصدور

ومسجلا فى السطور (١) ، ترعاه ـ حق الرعاية ـ دول ، وأمم ، وشعوب ، وحكومات ، تتوارث حفظه ورعايته الأجيال الطاهرة جيلا بعد جيل الى يوم الناس هذا ، حيث هيأ الله وسائل حفظ جديدة فتح الله مغاليقها للناس ؛ من طباعة متقدمة ، وأشرطة مسجلة ، وخزانات (الكمبيوتر) الخ ، وسيبقى هذا الكتاب محفوظا يستحيل تغييره أو تبديله أو تحريفه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وليس حفظ القرآن بهذه الصورة الدقيقة المعجزة راجعا الى عبقرية المسلمين أو العرب ؛ لكن الأمر يرجع الى أن الله قد تولى وتكفل بنفسه ، سبحانه ، حفظ هذا الكتاب ، وأخبر بذلك قائلا :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) .

« وانه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (٣) .

دلالة القرآن على أنه كتاب الله تعالى وعلى الكتب الأخرى دلالة عقلية برهانيـة :

بعد أن آمن المؤمن بالركنين السابقين من أركان الايمان والاعتقاد ، وهما : الايمان بالله عز وجل ، والايمان بالملائكة ـ بعد أن آمن المؤمن بذلك فهو ليس بحاجة الى دليل عقلى أو حسى ليؤمن بالكتب الالهية ، ولكنا من منطلق الحرص على ألا يتلقى المؤمن عقائده بالوراثة والتقليد والتبعية ،

---

(١) للتوسع فى هذه النقطة راجع : (التسهيل فى علوم التنزيل) لابن جزى الكلبى ، و (الاتقان فى علوم القرآن) للسيوطى ، و (البرهان فى علوم القرآن) للزركشى ، وراجع كتب التفسير التالية : تفسير ابن عطية الأندلسى ، ومفاتيح الغيب للفخر الرازى ، وابن جرير ، والقرطبى ، والبغوى ، والنسفى ، والشوكانى ، وابن كثير ، والظلال وغير ذلك ، كما يراجع كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضى عبد الجبار الأسد آبادى .

(٢) سورة الحجر ٩ .

(٣) فصلت ٤١ ـ ٤٢ .

وحرصا على أن يؤسس المؤمن اعتقاده على اليقين الجازم المبنى على الدليل والبرهان فانا نذكره - هنا - باصل كل الأدلة ، وام كل البراهين ، ليقيم اعتقاده بالكتب - عليهما ، كما أقام ويقيم كل معتقداته ؛ اذ هما الدليلان اللذان لا يسقطان ، والبرهانان اللذان لا يعلبان وهما : دليلا الأثر والخبر اللذان ثبت بهما كل عيب ، وآمن به عقلاء البشر .

- فمن دليل الأثر ، نكتفى باثر واحد وهو القرآن الكريم ، الكتاب الذى دل وجوده دلالة قوية ، قطعية على وجود منزله ، وعلى علمه وخكمته ، وقدرته ، ورحمته ، ودل على نبوة من أنزل عليه ، وعلى رسالته ، وعلمه ، وحكمته ، وفضله ، وشرفه وكماله .

كما دل بالتالى على ذات نفسه ؛ بانه كتاب الله ، ووحيه ، وتنزيله ، كما قرر نزول كتب الله السابقة عليه ؛ حيث ذكر صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وانجيل عيسى ، وصحف موسى عليهم السلام ، وذكر طرفا مما جاء فيها من أخبار وأحكام . كما قرر أن لله كتبا اخرى على الاجمال .

ان القرآن قد حوى معارف وعلوما وأخبارا وهداية واسلوبا لم يتات للبشر : أفرادا وجماعات وأمما وشعوبا ان ياتوا بمثله ، وقد تحدى القرآن بذلك - والتحدى لا يزال قائما - فى قول الله تعالى :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعض لبعض ظهرا » (١) .

والقرآن ليس من تاليف محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس من وضعه ونظمه ، فهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ؛ وحكم العادة البشرية المسلمة ، جار على أن من لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يجلس بين يدى معلم قط ، يستحيل فى حقه أن ياتى بمثل هذا القرآن فى علومه ، ومعارفه ، وشرائعه ، وآدابه ، وقصصه ، وأخباره وسبكه ونظمه ، ياتى بمثله من عند نفسه ، لا سيما وأن

---

(١) الاسراء ٨٨ .

المنزل عليه صلى الله عليه وسلم - قد قضى أربعين سنة من عمره المبارك ، لم يتكلم بوحى ، ولم ينطق بقرآن قط .

« اذا أردت ان تعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو ملقى عليه ، فانظر الى كلامه - صلى الله عليه - كيف يمتاز عن القرآن . وتلمح ما بين الكلامين والأسلوبين ، ومعلوم أن كلام الانسان بتشابه ، وما للنبى صلى الله عليه ، كلمة تشاكل القرآن » (١) .

وخلاصة القول : أن دلالة القرآن على ما ذكر - من وجود الله تعالى ، وعلمه ، وحكمته ، وعلى نبوة محمد ورسالته وفضله ، وشرفه ، **وعلى أن** القرآن نفسه وحى الله ، وكتابه ، وأن الكتب التى سبقته هى كذلك كتب الله ، منزلة وموحى بها الى من نزلت عليهم من رسل الله - **دلالة عقلية منطقية لا ترد بحال ، وبرهان عقلى لا يغلب بآخر (٢) . وبعد : فأى أثر من الآثار الدالة على غيرها دل دلالة القرآن الكريم على نفسه وعلى غيره من كتب الله تعالى ! ؟ .**

ومن الأدلة القرآنية على وجوب الايمان بالكتب ، قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق » (٣) .

---

(١) هذا الكلام للمتكلم ابن عقيل ، نقل عنه ابن الجوزى فى كتابه (الوفا بأحوال المصطفى) ج ١ ص ٢٧٠ بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م . والواقع أن لكثير من المستشرقين مزاعم ودعاوى وأكاذيب خلاصتها : (أن القرآن الكريم من تأليف محمد) انظر بعضها فى كتاب (مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية) ج ١ ص ٢١ - ٥٧ .

(٢) عن الشيخ أبى بكر الجزائرى (عقيدة المؤمن) ص ٢٤٠ - ٢٤٢

(٣) الزمر ٣٩ .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » (١) ٠

وقد أمر الله المؤمنين بأن يؤمنوا بالكتب الالهية ، فقال :

« يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى انزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالا بعيدا » (٢) ٠

وقال تعالى :

« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (٣) ٠

منزلة القرآن بين الكتب الالهية السابقة عليه :

للقرآن الكريم منزلة رفيعة بين سائر الكتب التى أنزلها الله تعالى ؛ مثل التوراة والانجيل والزبور ، فالقرآن **ناسخ لهذه الكتب لفظا وحكما** ، فلا تقرأ للتعبد ، ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام وذلك ، لما دخلها من التحريف والتغيير (كما سنبين ذلك) ، ولأن شرائعها وأحكامها كانت لبنى اسرائيل خاصة ، ومن ثم فقد **أمر** الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، **أن** يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من ديانات وملل ، بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

« انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٤) ٠

ولأن القرآن **خاتم الكتب** ، لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسالات فلا نبوة ولا رسالة بعده ٠

والقرآن **مهيمن على الكتب السابقة ورقيب وميزان ومقياس** ، فما صححه منها وأقره فهو صحيح وما ابطله منها ونفاه ، بطل وانتفى ٠ **قال تعالى :**

---

(١) النســاء ١١٣ ٠
(٢) النســاء ١٣٦ ٠
(٣) البقرة ٢٨٥ ٠
(٤) النســاء ١٠٥ ٠

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » (١) أى أنه مصدق لأصله السماوى ، ومصدق بالحق الذى فيه تحسب (٢) ، ومبطل للباطل الذى أدخل عليه ، كما أن تشريعات القرآن وهدايته عامة للناس جميعا ، لعموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى :

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (٣) ، وقوله : « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (٤) وقوله : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (٥) ٠

ومما يمير القرآن - الى جانب ما سبق - **شموله لخلاصة التعاليم الالهية المتعلقة بأصول الهداية البشرية وفروعها** ، واحتواؤه على المنهج الأكمل لسعادة الانسان فى الدنيا وفى الآخرة متى آمن به ، وعمل بما فيه قال تعالى : **« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » (٦) ٠**

---

(١) المائدة ٤٨ ٠

(٢) حاول بعض النصارى أن يلووا عنق هذه الآية ويفهموا منها غير ما تعطيه من معنى للايهام والتلبيس ، والاستدلال بها على أن القرآن يعترف بل يصدق التوراة الحالية والانجيل الحالى ، وقالوا فى ذلك كلاما طويلا منذ (يوحنا الدمشقى) وتلميذه (تيودور ابو قرة) الى بولس راهب أنطاكية ، الى القسيس فندر ، الى بعض المستشرقين ، الى المبشرين المعاصرين ٠٠ انظر فى تفنيد دعاواهم : (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ابن تيمية نشرة المطبعة المدنية بمصر ٠ و (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) للامام أحمد بن ادريس القرافى و (اظهار الحق) لرحمة الله الهندى ٠

(٣) أول سورة الفرقان ٠

(٤) الأعراف ١٥٨ ٠

(٥) سبأ ٢٨ ٠

(٦) المائدة ١٥/١٦ ٠

ومن ميزات القرآن أن الله تعالى قد حفظه بنفسه سبحانه ، ولم يكل حفظه للناس كما وقع للكتب السابقة ، فبقى كتابا عزيزا ، محفوظا بحفظ الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبقى تنزيل العزيز الحميد ، فلم يبدل أو يحرف أو يغير .

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) .

وعلى ذلك ، فالقرآن العظيم **هو الكتاب الوحيد الذى ثبتت نسبته بصورة قطعية الى الرسول الذى أوحي اليه به ، وهو محمد صلى الله عليه** وسلم ، فقد نقل هذا الكتاب بسوره وآياته ، وطريقة ترتيبه ، وكيفية تلاوته ، الى كل عصر جاء بعد عصر نزوله ، بالتواتر ، بحيث لا يشك فى أن القرآن الذى نتلوه هو الذى نزله الله على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم (٢) .

بيان القرآن عن بعض ما فى القرآن الكريم من الهدى والخير والنور والبشارة والرحمة :

فى القرآن الكريم ، للناس كافة ، ما يحقق لهم السعادة الحقة التامة الثابتة الخالدة ، اذ منه لهم :

١ - **الهدى** الموصل الى كل خير ، والمبلغ الى كل كمال يتطلع اليه المتقون :

« الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (٣) .

٢ - **الرحمة** باتم معنى لها :

« الم ، تلك آيات الكتاب الحكيم ، هدى ورحمة للمحسنين » (٤) .

---

(١) الحجر / ٩ .

(٢) انظر المراجع التالية : (عقيدة المؤمن) ص ٢٤٨ - ٢٥١ ، (الايمان) ص ٨٦ ، (مبادىء الاسلام) للشيخ أبى الأعلى المودودى ، ص ٧٨ .

(٣) أول سورة البقرة . (٤) أول سورة لقمان .

٣ - **الشفاء** التام العام لجميع أمراض الناس النفسية ، والعقلية ، والقلبية ، والاجتماعية ؛ شفاء من الكفر والالحاد ، والشرك والشك ، والقلق ، والحيرة ، والخوف ، والكبر ، والحسد ، والبخل والشح ، والظلم ٠٠ الى آخره ، قال منزله سبحانه عنه :

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » (١) ٠

٤ - البرهان والنور الكاشف لجميع الظلمات ، المبدد لسائر الشكوك والجهالات ، قال تعالى :

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا اليكم نورا مبينا » (٢) ٠

٥ - الروح الذى تتوقف عليه حياة الانسان ؛ **فالقرآن هو الروح** اللازمة للحياة الانسانية الفاضلة الكريمة ، والناس من غير أن تسرى فيهم الروح القرآنية أموات حقا ، لا ينتفعون بوجودهم ، ولا بحياتهم المادية ، قال تعالى :

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ٠ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (٣) ٠

٦ - الحق الالهى الثابت فى نفسه ، المحقق المثبت لغيره من كل ما هو حق ، فكل حق يؤيده القرآن ، ويقرره ، قال تعالى :

« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » (٤) « وانزلنا اليك الكتاب بالحق » (٥) أى : متلبسا به ، مشتملا عليه ، مؤيدا له ، ومقررا ٠

٧ - البيان والتبيان لكل شىء يحتاج الانسان اليه ، مما تتوقف عليه سعادته فى الأولى والآخرة :

---

(١) الاسراء / ٨٢ ٠
(٢) النساء / ١٧٤ ٠
(٣) الشورى ٥٢ ٠
(٤) الاسراء / ١٠٥ ٠
(٥) المائدة ٤٨ ٠

« ونزلنا عليك الكتـاب تبيانا لكل شىء ، وهـدى ورحمـة وبشرى للمسلمين » (١) ٠

٨ ـ الخير العام لكل انسان ، وجان ، وحيوان ، **فما من كائن فى** الوجود الا وناله من خير هذا القرآن ، من يوم نزوله الى يوم **رفعه وقبضه** :

« وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا » (٢) ٠

٩ ـ البشرى بالسعادة فى الدنيا والآخرة :

« ونزلنـا عليك الكتـاب تبيانا لكل شىء وهـدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (٣) ٠

١٠ ـ الموعظة الداعية الى اكتساب كل فضيلة ، والراجرة عن كل رذيلة ، قال تعالى :

« يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور »(٤)٠

١١ ـ الذكر الالهى الذى تحيا عليه القلوب ، وتطيب بتلاوته الأرواح ، وتزكو بالعمل به النفوس (٥) ، والمجتمعات : قال تعالى :

« ص والقرآن ذى الذكر » (٦) ، « وانه لذكر لك ولقومك » (٧) ٠

---

(١) النحل / ٨٩ ٠
(٢) النخل ٣٠ ٠
(٣) النحل ٨٩ ٠
(٤) يونس / ٥٧ ٠
(٥) اهتم علماؤنا بدراسة القرآن عن نفسه ، وعن أسمائه ، وفضائله ، وما فيه من الهدى والخير والبشرى للناس وانظر ذلك فى كتب التفسير ، وكتب علوم القرآن ، وقد افدنا فى ذلك من الشيخ أبى بكر الجزائرى ، فى (عقيدة المؤمن) ص ٢٥٢ وما بعدها ٠
(٦) أول سورة ص ٠
(٧) الزخرف / ٤٤ ٠

تحريف التوراة والانجيل

(١) فـلا بد اذن ـ حتى يكتمل ايمان المرء ـ من أن يؤمن ايمانا صادقا بهذا الأصل الثابت من أصول الاعتقاد ؛ أى أن يؤمن بالكتب التى انزلها الله على رسله ، وهى :

١ ـ التوراة التى أنزلها الله على موسى ٢ ـ الانجيل الذى أنزلـه الله على عيسى ، ٣ ـ الزبور الذى أنزله الله على داود ٤ ـ صحف ابراهيم وموسى ٠ ٥ ـ القرآن الكريم الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يؤمن أن هذا القرآن هو الكتاب الخاتم لهذه الكتب والمهيمن عليها كما ذكر ، وأن يؤمن ـ فى نفس الوقت ـ أن التوراة والانجيل قـد حرفا وغيرا وبدلا ٠ ومما يذكر هنا : **أن الايمان بتحريف التوراة والانجيل حزء متمم لهذا الأصل الثالث من اصول الايمان ٠**

لأن الله قد أخبرنا فى القرآن الحكيم أن بنى اسرائيل قد بدلوا وحرفوا كلام الله تعالى ، ولم يكونوا أمناء على الوحى ، وقال سبحانه :

« وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (١) ٠

« من الذين هادوا يحـرفون الكلم عن مواضـعه ويقولون سـمعنا وعصينا » (٢) « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٣) ٠

وتدبر قول الحق سبحانه : **(من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)** فانه تحريف متعمد مع سبق الاصرار ٠ فالقرآن يخبرنا ان بنى اسرائيل قد حرفوا

---

(١) آل عمران / ٧٨ ٠
(٢) النساء / ٤٦ ٠
(٣) البقرة / ٧٥ ٠

كتبهم ، وبدلوها ، وغيروها ، وزيفوها ، وايماننا يقتضينا أن نؤمن بذلك ايمانا قاطعا ٠

والواقع أن الدراسات المنهجية الغربية الحديثة التي وضعت التوراة الحالية على محك الامتحان والنقد والتمحيص والموازنة ، انتهت - هذه الدراسات - الى نتيجة يقينية جازمة مؤداها :

أن هذه الكتب التوراة والاناجيل أو باسمها الجديد : (العهد القديم والعهد الجديد) ليست وحيا من عند الله تعالى ، وليست من وضع موسى وعيسى عليهما السلام ، وانما هي من وضع البشر ؛ من وضع مؤلفين مجهولين ٠ واجتهد العلماء الغربيون في البحث عن المصادر التي استقى منها أولئك المؤلفون المجهولون مادة هذه الأسفار ، وبعد فحص وتدقيق وتمحيص وضعوا أيديهم على هذه المصادر ؛ وهي كتب الديانات الوثنية القديمة ، مثل مخطوطات المفكر المصرى القديم (أمنوبى) و (اخناتون) وبقوانين (حمورابى) ويرى كثير من العلماء الغربيين أن مؤلفى (أسفار العهد القديم) قد نقلوا نقلا تاما من صحف المصريين القدماء (١) وغيرهم ، ووضعوها فى أسفارهم ، ولووا بها السنتهم ، وقالوا : هى من عند الله ، وما هى من عند الله ٠

وقد وضع الباحث فى التراث الفلكلورى الأسطورى للشعوب (جيمس فريزر) يده على مصادر أخرى لما كتب فى التوراة ، وزعم أنه من عند

---

(١) انظر للعلامة جيمس هنرى بريستد : كتابيه : (فجر الضمير) و (تاريخ مصر) وانظر ما كتبه (هوجر جرسمان) عن د ٠ أحمد فخرى فى (مصر الفرعونية) ص ٣٠٨ و (هيو برت جريم) و (أدولف ارمن) والعلامة (زيته) والاستاذ سليم حسن ، والدكتور عبد العزيز صالح ، وانظر الدكتور بدران محمد بدران : (التوراة) ص ١٧٨ - ٢٠٠ ، توزيع دار الأنصار بالقاهرة ٠

وانظر كتابنا : (مدخل نقدى لدراسة الفلسفة) فصل (الفكر المصرى القديم) طبعة ١٩٨٧ م ٠

الله ، وهو فى حقيقة أمره خرافات وأساطير للأمم القديمة (١) .

كما أن العلماء قد وضعوا أيديهم على المصادر التي أخذ منها كتاب الاناجيل مادتهم ، ويكفى أن تقارن بين ما فى هـذه الاناجيل ومـا كتبه المصريون القدماء عن آلهتهم ، وما كتبه الهنود عن (كرشنا) و (برهما) و (بوذا) وما كتبه اليونانيون والرومانيون عن آلهتهم وعن تثليثها ، وصلبها ، وتجسدها ، الى آخره ، لتعرف المصادر التى أخذ منها مؤلفو هذه الاناجيل مادتهم (٢) .

ومما يجدر دكره أن كثيرا من علماء الكنيسة - الروم - يقرون بذلك ، واقرأ ان شئت المقدمات والتعليقات التي كتبها علماء الكنيسة فى فرنسا على النسخة الفرنسية للكتاب المقدس ، وقد ترجمت هذه المقدمات والحواشى فى الطبعة العربية للكتاب المقدس التى نشرتها دار المشرق فى بيروت أخيرا ، وأقرها النائب الرسولى (بولس باسيم) .

ومما يذكر هنا أن حركة (نقد الكتاب المقدس) التى اضطلع بها علماء ولاهوتيون ومفكرون غربيون منـذ القرن السـابع عشر بزعامة كـل من (ريتشارد سيمون R.simon) و (جان استروك J. Astruc) (و باروخ سبينوزا B. spinoza) قد توصلت - بعد جهود مكثفة رائعة الى نتائج يقينية تقطع بان هذه الأسفار ليست وحيا وأنها من وضع مؤلفين كثيرين ، وأنها مستمدة من مصادر وثنية قديمة .

درس هؤلاء العلماء سند هذه الكتب ومحتواها أو متنها ، فاقروا بانقطاع سندها تماما ، وانها لا تنسب بحال الى موسى أو عيسى أو حتى

---

(١) جيمس فريزر : (الفلكلور فى أسفار العهـد القـديم) ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم ، نشرة دار المعارف فى جزأين .

وانظر : (اليهودية والفكر الهلليني - اليوناني الوثني) بالانجليزية
(Judaism and Hellenism) By : Martin Hengel. SCM.

(٢) (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) للطاهر البيرونى ، بتحقيقنا وتعليقنا .

الى أى من حواربى المسيح عليه السلام • كما أن مضمونها فى غاية الوهاء والتناقض والتدابر والنكارة والشذوذ ، وكل ذلك يقطع بان هذه الكتب محرفة مبدلة ، وأنها ليست وحيا من عند الله تعالى (١) •

وعلى المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى عليهما السلام ، لكن بنى اسرائيل قد غيروهما وبدلوهما وحرفوهما •

ونشير هنا الى فضل الدراسات الاسلامية المنهجية الناقدة لهذه الأسفار منذ القرن الهجرى الأول ، على عقول بعض أحبار اليهود وعلماء النصارى ممن قاموا بدراسة كتبهم دراسة منهجية موضوعية ناقدة • ولعل أقدم نقد للتوراة قام به حبر يهودى معروف له مكانته العلمية ، هو الحبر ابن عزرا الغرناطى الذى توفى فى غرناطة سنة ٥٦٢ هـ - ١١٦٧ م - ثم توالت دراسات نقدية فردية ، الى أن قامت حركة واسعة فى الغرب فى القرن السابع عشر كما ذكرنا •

ولأن موضوع تحريف التوراة والانجيل واسع جدا ، ولأننا درسناه فى كتابين من قبل هما :

(فى مقارنة الأديان - فصل : النقد العلمى لسند التوراة ، وفصل الاناجيل بين انقطاع السند وتناقض المتن) وكتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية : دراسة وتحقيق) فانى لا أحب أن أطيل على القارىء الكريم هنا ، بل أكتفى بتسجيل نقد الحبر اليهودى ابن عزرا الغرناطى للتوراة الحالية ، فحسب ، مع الاحالة الى قائمة بالمراجع العلمية المفيدة فى هذا الموضوع (٢) •

---

(١) لنا - (فى مقارنة الأديان) طبعة دار الهداية •

(٢) للتوسع فى ذلك انظر على سبيل المثال : (انجيل برنابا) ترجمة د • خليل سعادة ، مطبعة محمد صبيح بالقاهرة ١٩٥٨ م - رسالة سبنوزا (فى اللاهوت والسياسة) ، و (الفصل) لابن حزم ، (شفاء =

٢ ـ الفيلسوف سبينوزا يشرح الفكر النقدى للحبر ابن عزرا (١) :

يسوق سبينوزا ـ أولا ـ الأقوال التى صاغها ابن عزرا ـ متعمدا ـ

=

العليل) للجوينى ، و (تثبيت دلائل النبوة) للقاضى عبد الجبار ، و (التمهيد) للباقلانى ، و (الجواب الصحيح) لابن تيمية . ولنا (فى مقارنة الأديان) وللطاهر البيروتى (العقائد الوثنية) وتعليقاتنا عليه . و (افحام اليهود) للسموأل ، و (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية) للأستاذ أحمد عبد الوهاب ، (اختلافات فى ترجمات الكتاب المقدس) له أيضا . و (اظهار الحق) لرحمة الله الهندى ، و (محاضرات فى النصرانية للامام محمد أبو زهرة ، وانظر :

Johon H. Hayes : An Introduction to Old Testament Study.

Otto Kaiser : Introduction to the Old Testament, Oxford, 1973.

Otto Eissfeldt : The old Testament, An Introduction, Oxford, 1974.

Werner G. Kummel : Introduction To the New Testament, USA. 1984.

Elaine Pagels : The Gnostic Gospels, New york, 1981.

وانظر حواشى كتاب (العقائد الوثنية) وكذلك (فى مقارنة الأديان) فقد ذكرنا فيهما أكثر من مائتى مرجع عربى وأجنبى تتعلق بالموضوع .

(١) الرسالة ص ٢٦٦ وابن عزرا هو الحبر المفسر اليهودى الغرناطى ابراهيم بن عزرا ، ولد سنة ١٠٩٢ م وتوفى فى غرناطة سنة ٥٦٢ هـ ـ ١١٦٧م .. وهو عالم اسرائيلى معروف له وزنه العلمى وتقديره . أما قول الفيلسوف سبينوزا : ان ابن عزرا كان أول من اكتشف خطأ نسبة الأسفار الخمسة الى موسى عليه السلام ، فان كان يقصد أنه أول عالم يهودى يكتشف ذلك أو يتحدث عنه فقد يكون كلامه صحيحا مقبولا . أما ان كان يقصد أنه أول باحث يكتشف ذلك على الاطلاق ، فكلامه غير صحيح ، ولا يعتمد على أسس علمية موضوعية ؛ ذلك أن ابن عزرا هذا قد عاش فى الأندلس وتوفى بها سنة ٥٦٢ هـ ، أى بعد مائة سنة من وفاة عالم الأندلس ابن حزم ، وابن حزم قد أفاض فى هذه المسالة ودرسها بتوسع وتفصيل تامين ، وما كتبه ابن حزم مسجل فى كتابه الموسوعى القيم المسمى : « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وسنتناوله بالشرح ان شاء الله .

=

بطريقة مبهمة غامضة جدا ، أقرب الى أسلوب « الشفرة أو كلمة السر » منه الى أسلوب البحث العلمى ؛ وذلك خوفا من بطش الاحبار الفريسيين به ، أو ملاحقتهم له ، ثم يشرحها سبينوزا شرحا مفصلا ناصعا ، نستنتج منه ضرورة **خطأ نسبة الأسفار الخمسة الى موسى** - على النحو التالى :

« هذه هى أقــوال ابن عزرا فى شرحه على التثنية : « **فيما وراء نهر الاردن ٠٠ الخ ٠ لو كنت تعرف** سر الاثنى عشرة ٠٠٠ **كتب موسى شريعته ايضا ٠٠٠ وكان الكنعانى** على الأرض ٠٠٠ سيوحى به **على جبل الله ٠٠٠ هــا هــو ذا سريره ، سرير مــن حــديد ، حينئذ تعرف الحقيقــة ٠٠٠ »** هذه كلمات ابن عزرا ، ويعلق عليها سبينورا قائلا :

« **بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت - فى الوقت ذاته - ان موسى ليس هو مؤلف** الأسفار الخمسة ؛ **بل ان مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل ، وأن موسى كتب سفرا مختلفا !! »** (١) ٠

=

وانا لنقول واثقين : ان ابن عررا ما كان له أن يذكر ما ذكره من قدح فى سند التوراة لولا اطلاعه على ما كتبه ابن حزم ٠٠ ، كما أن ابن عزرا هذا كان قنطرة - الى جانب الحبر اليهودى المغربى الفاسى سليمان بن مليح الذى نشر تفسيره للعهد القديم سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٤ م فى القسطنطينية ، وغيرهما - انتقل بواسطتها فكر ابن حزم النقدى الى سبينوزا نفسه ٠٠ وقد تاثر سبينوزا به تاثرا عميقا وعلى هذا فان سبينوزا ليس رائد هدا المجال ، مجال نقد الكتاب المقدس نقدا علميا منهجيا ؛ يعتمد على دراسة النصوص ذاتها ؛ لكنه سبق بكثير من الائمة الأعلام ، منهم ابن حرم المتوفى سنة ٤٦٥ م وامام الحرمين الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، والامام القرطبى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وغيرهم من علماء مقارنة الأديان المسلمين ، أو من المهتدين الى الاسلام مــن علماء اليهود والنصــارى مثل : عــلى بن ربن الطبرى (القرن الثالث الهجرى) والحســن بن أيوب (قبل القــرن الرابــع) والسموأل يحيى المغربى سنة ٥٧٠ هـ ، والحسن بن سعيد الاسكندرانى ، وابن قوسين اليهودى ٠٠ الخ ٠

انظر لنا (فى مقارنة الأديان) ص ٧١ وما بعدها ٠

(١) اسبنيوزا : (رسالة فى اللاهوت والسياسة) ص ٢٦٦ ترجمة د٠ حسن حنفى ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

هذه هى النتائج الثلاث التى استخلصها سبينوزا من كلام ابن عزرا السابق ؛ وهى تلخص لنا قضية سند التوراة ، من رأسها الى اخمصها ، وتلخص رأى سبينوزا نفسه فى ذات الوقت ؛ لأنها تشتمل على :

١ - ان موسى ، عليه السلام ، لم يكتب هذه الأسفار التى يطلق عليها اليهود والنصارى أنها :

التوراة وينسبونها الى موسى .

٢ - أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جدا .

٣ - أن موسى عليه السلام قد كتب سفرا مختلفا عن هذه الأسفار الخمسة المروجة المشهورة .

لكن كيف استنتج سبينوزا هذه النتائج البالغة الوضوح والقطع من كلام ابن عزرا البالغ الغموض والابهام ؟

لأن كلام ابن عزرا كان يرمز الى جملة حيثيات صادقة تسلم الى هذه النتائج ، على النحو التالى :

١ - ان موسى عليه السلام ، لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالى ، التى جاء فيها : « فيما وراء نهر الأردن ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا (١) ... الخ ؛ بسبب واضح جدا هو أن موسى لم يعبر نهر الأردن ، ومات فى البرية كما جاء فى آخر سفر التثنية ذاته (٢) .

٢ - قد نقش سفر موسى الأصلى كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد (٣) ، يتكون من اثنتى عشرة حجرة ، حسب عدد الأحبار . ومعنى ذلك : أن سفر موسى (الأصلى) كان - فى حجمه - اقل بكثير من الأسفار

---

(١) سفر التثنية ١ : ٥ « فى عبر الأردن ، فى أرض مؤاب ، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا : الرب الهنا كلمنا فى حوريب .. » .

(٢) سفر التثنية (٣٤ : ٥ - ٦) .

(٣) جاء فى سفر التثنية (٢٧ : ٢ - ٨) : « تبنون مذبحا للرب من الحجارة .. ، وتكتبون على الحجارة جميع كلام هذه التوراة كتابة واضحة » . وانظر سفر يشوع (٨ : ٣٢) وكتب هناك تثنية اشتراع موسى التى كتبها بحضرة بنى اسرائيل » .

الخمسة المتداولة .. وهذا مـا رمز اليه ابن عزرا بقوله : « سر الاثنى عشرة » .

٣ ـ يذكر الحبر كذلك أنه قد ورد فى سفر التثنية : « وقد كتب موسى هذه التوراة » (١) .. ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك ؛ بل لابد من ان يكون قائلها كاتبا آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

٤ ـ يذكر ابن عزرا نصا من سفر التكوين (١٢ : ١) يقص فيه الراوى (**يقصد سيينوزا بالراوى : جامع الأسفار الحالية من مرويـات تاريخية ومصادر مختلفة مختلطة**) رحلة ابراهيم عليه السلام ، فى بلاد الكنعانيين ، ويعلق عليها الراوى (مؤلف التوراة الحالية) بقوله : « والكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض » .

وهذا التعليق يدل بوضوح على أن الامر ـ عندما كان يكتب ـ لم يكن كذلك ... **فلابد ان هذه الكلمات قد كتبت بعد موت موسى بزمن ليس بالقليل ، بعد ان طرد بنو اسرائيل الكنعانيين من هذه المناطق** .

ويشير ابن عزرا الى هـذا المعنى فى شرحه لهـذا النص نفسـه ، فيقول : « وكان الكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض » قد يعنى هذا أن كنعان حفيد نوح ، استولى على هذه الأرض التى كان يحتلها من قبل شخص آخر (والأمر ليس كـذلك فى واقع الامر) . فـان لـم يكن الأمر كـذلك : **فهناك سر على من يعرفه الا يبوح به !!** . ولم يكن هنالك شخص قبـل كنعان يحتل هذه الأرض ؛ لأنه حسب ما جاء فى سفر التكوين : الاصحاح العاشر : كنعان هو أول من فلح هذه البقاع وقطنها .

فقد اثبت الراوى (مؤلف الأسفار الحالية) اذا : أن وضع هـذه الأرض لم يكن كذلك وقتما كان يكتب ، **واذا فالراوى (واضـع التوراة**

---

(١) جـاء فى التثنيـة (٣١ : ٩ ـ ١٠) : « وكتب موسى هـذه التوراة وسلمها الى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب . وامرهم موسى قائلا ..... » .

الحالية) لم يكن موسى قطعا ؛ لأن الكنعانيين - فى زمان موسى - كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض ... وهذا هو السر الذى يلوح به ابن عزرا ، وينصح بكتمانه !!!

٥ - ذكر الحبر أنه جاء فى سفر التثنية (١) : أن جبل موريا سمى جبل الله ، ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم الا بعد الشروع فى بناء الهيكل ، وهذه التسمية متأخرة جدا عن زمان موسى عليه السلام . واضح أن الراوى هو الذى يحكى أن هذا المكان يسمى اليوم جبل الله .

ولا شك أن العبرانيين المعاصرين لهذا الكاتب كانوا يعرفون بلاد يائير التى تنتمى الى قبيلة يهوذا ، ولكنهم لا يعلمون أنها تحت حكم عرجون ، وأنها ارض العمالقة ؛ لذلك اضطر الى ان يشرح ما هى هذه البلاد التى كان يطلق عليها قديما هذا الاسم ، وأن يخبرنا - فى الوقت نفسه - لم سماها سكانها فى هذا الوقت باسم يائير ، مع أنهم ينتمون الى قبيلة منسى (٢) .

بهذا الفكر الواضح الواثق شرح سبينوزا الغاز وأحاجى ابن عزرا التى قدمها على أنها حيثيات دالة على خطأ نسبة الأسفار الخمسة الحالية (التكوين ، والخروج ، والأحبار ، والعدد والتثنية) المسماة بالتوراة - الى جبل موسى عليه السلام ، وعلى أنها - أى هذه الأسفار - روايات تاريخية جمعها مؤلف أو أكثر من ماثورات أو محفوظات أو تواريخ موضوعة ، لا نعرف عنها شيئا ، ثم نسبها الأحبار الفريسيون الى موسى زورا وافتراء .

ويحسن بنا أن نوجز للقارىء الكريم هذه الحيثيات فى نقاط ، على النحو التالى :

---

(١) (٢٢ : ١٤) : « وسمى ابراهيم ذلك الموضع يهوه يراه ؛ حتى انه يقال اليوم : جبل الرب يرى » .

(٢) رسالة سبينوزا فى اللاهوت والسياسة ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

١ - اشارت الأسفار الحمسة الى وقائع لم تحدث الا بعد موسى عليه السلام يقينا ، وجعلته شريكا فى صنعها ٠

٢ - أن توراة موسى الحقيقية كانت - بنص الأسفار الحالية - أصغر - فى الحجم - بكثير من هذه الأسفار الحمسة المعروفة ٠

٣ - اسلوب صياغة هده الأسفار الحالية يجزم بان موسى ، عليه السلام ، لم يكن واضعها ؛ وذلك من طريقة اسناد الضمائر ، أو التعليق على نص الرواية وشرحها ٠٠٠ الخ ٠

٤ - تشير هذه الأسفار الى أسماء اماكن لم تعرف بهذه الأسماء الا بعد **موت موسى عليه السلام بزمن طويل ، ولم يكن ذلك على سبيل التنبؤ الاعجازى من موسى** ، ولكن كان على سبيل القص الروائى ٠

سبينوزا يفحص سند الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى على أنها التوراة :

تمثل جهد سبينورا نفسه - الى جانب شرحه التحليلى لفكر ابن عزرا - فى اضافة حيثيات أخرى فاتت الحبر ابن عررا ، ثم تعميق بعض افكاره بامثلة أخرى لم يتطرق لها ، وشروحات أخرى ٠ ولئن كان المفسر اليهودى ابن عررا قد وقف عند الأسفار الخمسة فى نقده ، فان الفيلسوف اليهودى سبينوزا ، قد طبق منهجه النقدى الرصين على أهم أسفار العهد القديم الأخرى ، ثم اعلن النتيجة التى انتهى اليها فى لغة واثقة قاطعة ، فقال :

« من هذه الملاحظات كلها يظهر واضحا وضوح النهار : ان موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ؛ بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة !! (١) ٠

علينا اذا أن نتتبعه فى ملاحظات تلك التى أوصلته الى هذه النتيجة الحاسمة ، فنراه أولا ينقد سلفه ابن عزرا ، لأنه **« قد فاته ان يذكر أهم**

---

(١) الرسالة ص ٢٧١ ٠

الأمور ؛ اذ يمكن ابداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على هـذه الأسفار » ٠٠٠٠ ثم يقدم أربع ملاحظات جديرة بالتامل ، هى :

١ - لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وانما تعطى عنه شهادات عديدة ، لا يصح البتة أن يكون هو الـذى أعطاها عن نفسه ؛ ومن ثم لا يسـوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها ٠٠٠٠٠٠ وهذه الشهادات مثل :

« تحدث الله مع موسى » ٠

« وكان الله مع موسى وجها لوجه » ٠

« وكان موسى رجلا حليما جدا أكثر من جميع الناس » (١) ٠

« فسخط موسى على وكلاء الجيش » (٢) ٠

« موسى رجل الله » (٣) ٠

« لقد مـات موسى خادم الله ولـم يقم مـن بعـده فى بنى اسرائيل كموسى » (٤) ٠

وعلى العكس من ذلك ، فان موسى يتحدث ويقص افعاله بضـمير المتكلم فى سفر التثنية التى كتبت فيها الشريعـة ، التى شرحها موسى للشعب ، والتى كتبها بنفسه ، فيقول مثلا :

« كلمنى الرب »٠

---

(١) سفر العدد ٢٥ : ٣ ٠

(٢) سفر العدد ٣١ : ١٤ ٠

(٣) سفر التثنية ١٣ : ١ ٠

(٤) يرى سبينوزا أن سفر التثنية الحالى هو السفر الوحيد الذى يمكن نسبة محتواه الى موسى ؛ لأنه قد احتوى على الشريعة التى شرحها موسى لبنى اسرائيل ومن جانبنا نقول : ان هذا السفر قد احتوى على وصايا خلقية ، وآداب شرعية لا ريب أن فيها بقية وحى وأثار نبوة ؛ لأنها من معدن التعاليم والاداب التى يدعو الأنبياء اليها ، ولا باس برأى سبينوزا هذا ؛ لأن مثل هذه التعاليم قد حث عليها القرآن الحكيم والسنة المطهرة ، ومن ثم فهى صادقة فى - سفر التثنية - فى جزء كبير من مضمونها ومحتواها ٠

« رجوت الرب » .... الخ (١) .

الا فى آخر السفر ، حيث يستمر المؤلف بعد ان نقل اقوال موسى - يحكى فى رواية كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة ، التى شرحها موسى كتابة ، ثم أعطاهم تحذيرا أخيرا ، وبعد ذلك انتهت حياته .

« كل ذلك ، اعنى : طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها تدعو الى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر » (٢) .

٢ - يجب ان نذكر أيضا أن هذه الرواية - الواردة فى الأسفار الحالية - لا تقص فقط موت موسى . ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه بل تروى - أيضا - أنه فاق جميع الأنبياء ، اذا ما قورن بالأنبياء الذين جاءوا بعده .

« ولم يقم من بعد نبى فى اسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجها لوجه » (٣) .

هذه شهادة لم يكن من الممكن ان يدلى بها موسى نفسه ، او شخص آخر اتى بعده مباشرة ؛ بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة ، وقرا عن أنبياء عديدين بعد موسى ... ولا سيما ان المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبرة :

« ولم يقم من بعد نبى فى اسرائيل » .

ويقول عن القبر :

« ولم يعرف احد قبره الى يومنا هذا » .

٣ - يجب ان نذكر - ايضا - والكلام للفيلسوف سبينوزا - **ان بعض الأماكن ، لم تطلق عليها الأسماء التى عرفت بها ، فى زمن موسى ؛ بل**

---

(١) التثنية ٢ : ١ / ١٧ .
(٢) الرسالة ص ٢٦٩ .
(٣) التثنية ٣٤ : ١ .

اطلق عليها أسماء عرفت بها بعده بوقت طويل ؛ اذ يقال - فى التوراة - تابع أعداءه حتى (دان) (١) ، وهو اسم لم تأخذه المدينة - التى تحمله - الا بعد موت يشوع بمدة طويلة (ويشوع هو فتى موسى عليه السلام وخليفته) جاء فى سفر القضاة :

« سموا المدينة (دان) ، باسم أبيهم الذى ولد لاسرائيل ، وكان اسم المدينة قبل ذلك : لاييش (٢) » فكيف يذكر موسى - وهو يقص قصة ابراهيم عليه السلام : أنه جد فى طلب أعدائه الى مدينة دان ، وهى لم يطلق عليها هذا الاسم الا بعده بزمن طويل جدا ٠ ؟!

٤ - تمتد روايات التوراة - فى بعض الأحيان - الى ما بعد موسى ٠٠ فيروى سفر الخروج : أن بنى اسرائيل أكلوا المن أربعين سنة حتى وصلوا الى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان (٣) ، أى حتى اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع (٤) ٠

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكموا الأدوميين زمن داود - بعد موسى بزمان طويل جدا - « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل أن يملك ملك فى بنى اسرائيل » (٥) ٠

هذه هى الملاحظات أو البراهين التى أوردها باروخ سبينوزا ، وهى تضاف الى ما أورده ابن عزرا ، وبناء عليها يقرر سبينوزا :

« من هذه الملاحظات كلها ، يظهر واضحا وضوح النهار : أن موسى

---

(١) سفر التكوين ١٤ : ١٤ ٠
(٢) سفر القضاة ١٨ : ٢٩ ٠
(٣) سفر الخروج ١٦ : ٣٥ « وأكل بنو اسرائيل المن أربعين سنة الى أن ذهبوا الى أرض عامرة ، أكلوا المن الى حين وافوا أرض كنعان » ٠
(٤) يشوع : ٥ : ١٢ « فانقطع المن من الغد منذ أكلوا من غلة الأرض ٠٠ » ٠
(٥) التكوين ٢٦ : ٣١ ٠

لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص آخر ، عاش بعد موسى بقرون عديدة ! ! » (١) ٠

أين توراة موسى ؟ !

يبحث سبينوزا بحثا دقيقا عن السفر الحقيقى الذى كتبه موسى عليه السلام ، والعلاقة بينه وبين هذه الأسفار الخمسة التى لم يكتبها موسى قط ، وان كان الأحبار الفريسيون يصرون على نسبتها اليه كذبا وزورا ٠

يرى سبينوزا ، طبقا لاشارات الأسفار الحالية ، أن موسى كتب بنفسه ـ عن الرب ـ سفرا يسمى : « سفر حروب الرب » ، يحتوى على قصة الحرب مع العماليق (٢) ٠

وهناك اشارة الى سفر آخر يسمى : (سفر العهد) ، قرأه موسى امام الاسرائيليين عندما عقدوا عهدا مع الرب ، ويرجح سبينوزا أن مضمون هذا السفر متضمن فى الاصحاح العشرين من سفر الخروج الحالى (٣) ٠

وهنالك ذكر لسفر يسمى : « توراة الرب » أو « توراة الله » ٠٠٠ ثم شرح موسى الشرائع التى سنها ، وأخذ من الشعب ميثاقا جديدا بان يظلوا

---

(١) الرسالة ص ٢٧١ وينبغى علينا أن نذكر القارىء الكريم بان سبينوزا لم يبن احكامه هذه على استنتاجات العقل **من مصادر خارج نصوص التوراة ذاتها ، أو على الأحكام السابقة عنها ، وانما بنى احكامه على ملاحظاته المرتكزة على قراءة هذه الأسفار ، وفحصها فحصا دقيقا ٠ أى ان نص هذه الأسفار ـ بما احتوى عليه ـ يتضمن هذه النتيجة الحاسمة التى قطع بها سبينوزا ، ومن قبله الحبر اليهودى ابن عزرا ٠**

(٢) جاء فى سفر الخروج ١٧ : ١٤ « وقال الرب لموسى : اكتب هذا ذكرا فى الكتاب ٠٠ الخ » وجاء فى سفر العدد ٢١ : ١٤ « ولذلك يقال فى كتاب حروب الرب ٠٠ » ٠

(٣) يشعر هذا بان ذلك السفر كان وجيزا جدا فأمكن له قراءته أمام الشعب فى موقف واحد ، وكلمة سفر تطلق على : الرسالة أو الورقة أو الكتاب ٠

حاضعين للشريعة ، ثم كتب ذلك كله فى سفر توراة الله (١) ٠

ثم قطع يشوع عهدا مع بنى اسرائيل بعد موت موسى ، **وكتبه فى** سفر « توراة الرب » ٠ **اين سفر (توراة الله) أو (توراة الرب) ؟**

يجيب سبينوزا :

« لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى على عهد موسى ، وفى نفس الوقت على عهد يشوع ، **فيجب ان نعترف ضروة بأن هذا السفر قد فقد ٠ !! »** ٠٠ و « **نستنتج اذا ان سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية ؛ بل كان سفر مختلفا كلية » (٢) !!**

---

(١) ٢٠ : ٢٢ - ٢٤ ٠

(٢) الرسالة ص ٢٧٢ ٠

الأصــــل الرابع

الإيمــــان بالرسل

الأصل الرابع : الايمان بالرسل

معنى النبى والرسول :

« النبوة » : اسم مشتق من النبا ، وهو الخبر · الا أن المراد به فى هذا الموضع خبر خاص ، وهو : **الذى يلزم الله عز وجل به أحـدا من عباده فيميزه ـ بالقائه اليه ـ عن غيره ، ويوقفه به على شريعته بما فيها من امر ونهى ووعظ وارشاد ووعد ووعيد ؛ فتكون النبوة على هذا : الخبر والمعرفة بالمخبرات الموصوفة التى ذكرتها ؛ والنبى** : هو المخبر بها ·

فان انضاف الى هذا التوفيق : **امر تبليغه الى الناس ودعائهم اليه ،** كان نبيا رسولا · **وان القى اليه ما ذكرنا ليعمل به فى خاصته ، ولم يؤمر بتبليغه والدعاء اليه ، كان نبيا ولم يكن رسولا ··· فكل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولا** (١) ·

الرسل المذكورون فى القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى ـ فى القرآن الكريم ـ أسماء **خمسة وعشرين رسولا ؛ هم :**

« آدم ، ونوح ، وادريس ، وصالح ، وابراهيم ، وهـود ، ولوط ، ويونس ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، واليسع ، وذو الكفل ، وداود ، وزكريا ، وسليمان ، والياس ، ويحيى ، وعيسى ، وخاتمهم محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين »· قال تعالى :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ،

---

(١) الامام الحليمى : المنهاج جـ ١ ص ٢٣٩ ، وانظر : شرح الفقه الأكبر لعلى القارى ، وشرح الطحاوية ص ١١٠ ، وفيها : أن من نبأه الله بخبر السماء ؛ ان أمره أن يبلغ غيره فهو نبى رسول ، وان لم يأمره أن يبلغ غيره ، فهو نبى وليس برسول ·· والنبوة جزء من الرسالة ·

ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ، واسماعيل واليسع ويونس ، ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين » (١) .

اشتملت هذه الآيات الأربع على أسماء ثمانية عشر رسولا ، وورد ذكر الآخرين فى آيات أخرى :

قال تعالى : « **والى عاد أخاهم هودا » (٢) ، و « والى ثمود اخاهم صالحا » (٣) ، و « والى مدين اخاهم شعيبا » (٤) ، و « ان الله اصطفى آدم ونوحا » (٥) ، و « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » (٦) ، « محمد رسول الله والذين معه ... » (٧) .**

هؤلاء هم الرسل المذكورون باسمائهم فى القرآن الكريم ، ولله تعالى انبياء ورسل آخرون لم يذكر الله فى القرآن أسماءهم او ازمانهم ، أو اقوامهم ، ولا يعلم أسماء هؤلاء الأنبياء والرسل الا الله تعالى ، يقول عز وجل :

« ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » (٨) .

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٩) ، و « ولكل امة رسول »(١٠).

اولو العزم من الرسل :

يرى أكثر العلماء أن أولى العزم من الرسل ـ يعنى أصحاب الاجتهاد والصبر العظيم ـ خمسة رسل هم : محمد ، وابراهيم ، وموسى ، ونوح ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام ؛ وقد وردت اسماؤهم عليهم السلام ، فى قوله تعالى :

---

(١) سورة الأنعام ٨٣ ـ ٨٦ .
(٢) هود ٥٠ ، الأعراف ٦٥ .
(٣) هود ٦١ ، الأعراف ٧٣ .
(٤) هود ٨٤ ، الأعراف ٨٥ .
(٥) آل عمران ٣٣ .
(٦) الأنبياء ٨٥ .
(٧) الفتح ٢٩ .
(٨) غافر ٧٨ .
(٩) فاطر ٢٤ .
(١٠) يونس ٤٧ .

« واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم » ٠

الايمان بالرسل :

يستلزم الايمان بالله جل ثناؤه اعتقادا واقرارا ، الايمان برسل الله صلوات الله عليهم ـ عامة ـ اعتقادا واقرارا ٠ الا أن الايمان بمن عدا نبينا محمد صلوات الله عليه هو : الايمان بانهم كانوا مرسلين الى الذين ذكروا لهم ، أنهم رسل الله اليهم ، وكانوا فى ذلك صادقين محقين ، والايمان بالمصطفى نبينا صلوات الله عليه هو : التصديق بأنه نبى الله ورسوله الى الذين بعث فيهم والى من بعدهم ـ من الانس والجن ـ الى قيام الساعة ٠

فيجب على المؤمن بالله تعالى ان يؤمن برسل الله الذين ذكرت أسماؤهم فى القرآن الكريم ، **ويؤمن على الاجمال بأن لله رسلا أرسلهم الى الناس ،** ولم تذكر أسماؤهم فى القرآن والسنة ، ولا يجوز أن تثبت لأحد ما من البشر أنه نبى أو رسول ، ما دام اسمه لم يرد فى القرآن ضمن رسل الله وأنبيائه ، قال تعالى :

« آمنوا بالله ورسوله » (١) و « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (٢) ٠

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (٣) ٠

« والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم أولئك يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما » (٤) ٠

مهمة الرسل :

وقد أرسل الله هؤلاء الرسل الى أقوامهم بالبشارة والنذارة :

---

(١) الحديد ٧ ٠
(٢) البقرة ٢٨٥ ٠
(٣) النساء ١٥٠ ٠
(٤) النساء ١٥٢ ٠

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون » (١) ٠

فهذا تبشير بالأمن وحسن العاقبة وحسن المثوبة والرضوان والجنة ان آمنوا واصلحوا ٠ وانذار بغضب الله وبالعذاب الأليم ، ان هم عصوا وفسقوا عن أمر ربهم ٠

وقد نهض الرسل اجمعون بدعوة الناس الى توحيد الله توحيدا خالصا ، توحيده سبحانه فى ألوهيته ، وربوبيته ، وأسمائه وصفاته ٠

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبو الطاغوت »(٢)

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٣) ٠

فهذه وحدة الدين ، وهذا دين التوحيد من لدن أول رسول الى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام (٤) ٠

وعلى المؤمن أن يؤمن بهم جميعا - دون تفريق بين أحد منهم ، فيؤمن بالبعض ويكفر بالآخرين ، فلا بد من الايمان بجماعتهم كلهم ٠

تفضيل بعض الرسل على بعض :

جاء فى القرآن أن الله تعالى قد فضل الرسل بعضهم على بعض ، فقال عز وجل :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ؛ منهم من كلم الله ورفع

---

(١) الأنعام ٤٨ - ٤٩ ٠
(٢) النحل ٣٦ ٠
(٣) الشورى ١٣ ٠
(٤) الطحاوية ص ١١٥ والفتاوى لابن تيمية ج ١٨ ص ٩٣ - ٩٨ ، ١٠١ - ١٠٢ ، ج ٧ (كتاب الايمان) ٠

بعضهم درجات » (١) .

« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » (٢) .

وهنالك كلام طويل عن نوع هذا التفضيل وفى أى شىء يكون (٣) . وكيف يجمع بين قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلونى على موسى » (٤) وقوله : « انا سيد الناس يوم القيامة » (٥) وقوله : « انا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع » (٦) .

والرسل معصومون فيما يبلغون عن ربهم ، وفيما عدا ذلك فهم معصومون من الكبائر دون الصغائر ، لكنهم لا يقيمون عليها ، ولا تذكر صغيرة لنبى الا مقرونة بتوبة ، يذكر ابن تيمية : « ان القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر - دون الصغائر - هو قول اكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى انه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الآمدى أن هذا قول اكثر الأشعرية ، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم الا ما يوافق هذا القول » (٧) .

ماذا يجب علينا نحو الرسل :

يجب علينا أن نؤمن بأن كل رسول أرسله الله قد أدى أمانته ، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل ، وبينها بيانا واضحا شافيا كافيا .

---

(١) البقرة ٢٥٣ . (٢) الاسراء ٥٥ .

(٣) انظره فى مصادر كثيرة منها : شرح الطحاوية ص ١١٢ - ١١٦ وللامام الماتريدى : تأويلات أهل السنة جـ ١ ص ١٨ ، جـ ٢ ص ٦٧ .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه مسلم وأحمد وأبو داود ا جـ ١ ص ٢٤١ ، ٥٥٠ ، شرح الفقه الأكبر ص ٥٦ - ٥٧ ، البغدادى : أصول الدين ص ١٦٧ - ١٦٩ .

(٧) انظر (الفتاوى) جـ ٤ ص ٣١٩ - ٣٢١ ومواضع أخرى متفرقة وانظر للفخر الرازى (عصمة الأنبياء) ، الماتريدى : التأويلات جـ ١ ص ٤٢١ والمواقف ص ٣٥٨ - ٣٦٦ ، شرح العقائد النسفية ص ٤٦٧ .

ويجب علينا أن نؤمن بانهم اكمل الخلق علما وعملا ، واصدقهم واكملهم أخلاقا ، وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد ، وانه عصمهم ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير فى التبليغ ، وعن الذنوب كلها .

كما نؤمن بان رسل الله - جميعا كانوا رجالا من البشر ، فلم يكونوا من الملائكة ، ولم يرسل الله امرأة ويكلفها بابلاغ رسالته الى الخلق ، قال تعالى :

« وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم » (١) .

هذا ، ويرى بعض العلماء أن الله قد أنعم على بعض النساء بالنبوة - وليس بالرسالة - كمريم عليها السلام ، ومن هؤلاء : أبو الحسن الأشعرى ، والقرطبى ، وابن حزم (٢) .

الرسل من جملة البشر :

ونؤمن بانهم كانوا جميعا من البشر ، ولم يخصهم الله بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية ، وانما اختارهم الله سبحانه من الرجال ، الذين ياكلون ويشربون ، ويمشون فى الأسواق ، وينامون ويستيقظون ، ويضحكون ، ويحزنون ، ولهم ذرية وأزواج ، ويتعرضون للأذى والاضطهاد ، وانهم يموتون ، وقد يقتلون بغير حق ، وانهم يتألمون ، ويصيبهم المرض ، وسائر الأعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية بين الخلق ، وقد تضافرت الآيات القرآنية على ذلك ، قال تعالى :

« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى ، انما الهكم اله واحد » (٣) .

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » (٤) .

---

(١) الأنبياء ٧ .

(٢) راجع للدكتور عمر سليمان الأشقر : (الرسل والرسالات) ص ٨٦ .

(٣) الكهف   (٤) آل عمران ١٤٤ .

« وما ارسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الأسـواق » (١) .

« ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية » (٢) .

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام » (٣) .

ونؤمن أن الرسـل جميعا لا يملكون شيئا من خصائص الألوهية ، فلا يتصرفون فى الكون ، ولا يملكون النفع والضر ، ولا يؤثرون فى ارادة الله تعالى ، ولا يعلمون الغيب الا ما أطلعهم الله عليه ، قال تعالى :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » (٤) .

« وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » (٥) .

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (٦) .

ونؤمن بأن الله قد أهلهم بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق ، تؤهلهم لتلقى الوحى والاضطلاع باعباء الرسـالة ليكونوا قدوة للنـاس وأسوة ، يقتدى بهم فى أمور الدين والدنيا ، فيجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله معصومون عن أى نقيصة فادحـة فى دينهم وطاعتهم لله تعالى وبلاغهم ، أو فى مقدرتهم على تبليغ الرسالة التى حملوها ؛ قال تعالى :

« أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٧) .

---

(١) الفرقان ٢٠ .
(٢) الرعـد ٣٨ .
(٣) المـائدة ٧٥
(٤) المـائدة ٧٢ ، ١٧ .
(٥) التوبة ٣٠ .
(٦) الأعراف ١٨٨ .
(٧) الأنعام ٨٩ .

فهم قد كملهم الله سبحانه فى الأمانة والصدق والفطانة والتبليغ وغيرها من الأخلاق التى لابد منها للقيام بالحمل الذى حملهم الله اياه (١) وبالمسئولية التى كلفهم بها ٠ وملاك الأمر أن الله تعالى لا يرسل الى خلقه الا خيارهم وصفوتهم خلقا وسلوكا ونسبا ، فقد اقتضت حكمته أن يختار هؤلاء ، دون سواهم ، وأن يهبهم صفات تميزهم عن غيرهم فامتازوا ـ كما ذكرنا ـ بصدق الدعوة ، والاخلاص والتوبة ، ونزهوا عن جميع الرذائل ، وسائر الأخلاق الذميمة ، ولهذا اختصت النبوة باشرف أفراد النوع الانسانى من كمال العقل والذكاء ، والفطنة وقوة الرأى والعصمة من الزلل ، والزيغ والكذب والبهتان (٢) ٠

الوحى ، وطرقه ، والحاجة اليه :

الوحى الالهى : هو ما يوحى به الله تعالى من كلماته الصادقة فى أخبارها ، العادلة فى أحكامها ـ بطريقة من طرق الوحى ـ الى من يصطفى من عباده ٠٠ وشاهد ذلك ـ اليوم ـ القرآن الكريم ، فهو وحى الله المحفوظ ؛

« وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (٣) ٠

ولتلقى الوحى طرق بينها الله تعالى فى كتابه بقوله :

« وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم » (٤) ٠

فللوحى الالهى وجوه ، أعلاها : **درجة تكليم الله عز وجل من كلم منهم** ، قال تعالى : (**وكلم الله موسى تكليما** » (٥) وقال : « **هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى : اذهب الى فرعون انه طغى** » (٦) ، ومنها : أن يلهم الله تعالى واحدا منهم بالكلام يسمعه ٠٠٠

---

(١) كتاب الايمان للدكتور نعيم ياسين ص ٦٤ ـ ٦٨ (بتصرف) ٠

(٢) راجع المصادر الآتية : المنهاج للحليمى ص ٢٣٩ وما بعدها ، فتاوى ابن تيمية ج ١٥ ص ٣٠ ، السفارينى لوامع الأنوار البهية ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ج ٢ طبعة دمشق ، (النبوة والأنبياء) للندوى ، و (الايمان) ٠

(٣) النمل ٦ ٠

(٤) الشورى ٥١ ٠

(٥) النساء ١٦٤ ٠

(٦) النازعات ١٥ ـ ١٧ ٠

فيجده فى نفسه من غير موصل يقدمه اليه .. ومنها : أن يوحى اليه على **لسان ملك فيراه** ، فيكلمه كما يكلم واحد من البشر صاحبه فيقع له العلم بما يسمعه منه .

ومنها : (**ان يامر الملك فينفث فى روعه**) (١) .

فطرق الوحى كما حددته الآية ثلاثة ، هى :

١ - الوحى المباشر ، وهو أن يعد الله تعالى قلب الرسول اعدادا خاصا ، ثم يلقى عليه بكلماته ، فيتلقاها الرسول ويعيها وعيا كاملا صحيحا .

٢ - أن يخاطب الله تعالى من أعده لذلك من أنبيائه ورسله ، فيسمعه كلامه المباشر مع القرب أو بدونه ، ولكن من وراء حجاب ، فيسمع النبى الكلام ، ولا يرى المتكلم ، وقد تم هذا للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج فى الملكوت الأعلى ؛ اذ عرج به حتى بلغ سدرة المنتهى ، وكلمه ربه تعالى ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، غير أنه لم ير ربه .

كما كلم الله موسى عليه السلام تكليما من وراء حجاب ، « **قال رب أرنى انظر اليك** » قال الله تعالى : « **لن ترانى** » (٢) .

٣ - أن يوحى الله تعالى الى من اصطفاه ، بواسطة ملك يرسله اليه ؛ وكان جبريل موكلا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ومازال معه يأتيه بوحى ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم . والملك الرسول يأتى أحيانا فى صورة الملائكية ، وأحيانا يتمثل بشرا كما تمثل لمريم البتول عليها السلام ، وقال لها :

« **قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا** » (٣) .

وكما جاء للرسول فى صورة دحية بن خليفة الكلبى ، وفى صورة أعرابى كما فى حديث مسلم الذى سأل فيه عن الاسلام والايمان والاحسان ،

---

(١) المنهاج جـ ١ ص ٢٤٠ .
(٢) سورة الأعراف ١٤٣ .
(٣) سورة مريم ٢٠ .

وبعد أن أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال للصحابة : « **انه جبريل اتاكم يعلمكم امر دينكم** » (١) .

حاجة الناس الى الرسل :

ولا ريب أن حاجة الناس للرسل وللوحى الالهى ، حاجة ملحه وضرورية لأسباب عديدة منها : أن الانسان فى حياته على الأرض لابد له من تعاليم من ربه تنظم حياته ، ولابد له من هدى يعيش عليه ، ولا يكون ذلك بغير الوحى (٢) .

كما أن الانسان مكون من جسم وروح ، وأن العالم عالمان . علوى وسفلى ، وأن الحياة حياتان : أولى تنقضى ، وثانية تدوم ولا تنتهى وتبقى أبدا ولا تنقص ، فالانسان بحاجة الى تعاليم الوحى لتعرفه وتخبره عن الروح والعالم العلوى ، والحياة الآخرة بل وتنظم له حياته الدنيا ليسعد فيها ، ويستعد لحياته الخالدة ... وهذه أمور لا يستقل عقل الانسان بادراكها .. وعلى الجملة ، فان الله تعالى قد أراد من الانسان – فى هذه الحياة – اعتقادا صحيحا وسلوكا قويما ، يحقق مصلحته ويجلب سعادته ، وليس له أن يدرك ذلك مستقلا بحسه وعقله ، فكان أن تفضل الله – رحمة بالانسان – فاختار رجالا واصطفاهم ، وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه للناس (٣) .

الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفيه مطالب :

الأول : أن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتضمن الايمان له ، أى أن الاعتقاد والتصديق بانه رسول من عند الله ، يتضمن – ضرورة –

---

(١) مسلم (١ – ٢٨ – ٢٩) وانظر (الوحى المحمدى) للاستاذ محمد رشيد رضا ، والوحى للأستاذ مصطفى عبد الرازق ، سلسلة المكتبة الفلسفية ، والمنهاج ، و (الفتاوى) وتاويلات أهل السنة ج ١ ص ٥٢٥ ، ج ٢ ص ١٩١ – ١٩٢ – المنقذ من الضلال ص ٣٨ – ٣٩ .

(٢) قارن الجزائرى (عقيدة المؤمن) ص ٢٦٨ .

(٣) قارن المبحث الخاص بقصور الفلسفة العقلية فى مجال الالهيات من هذا الكتاب .

الطاعة له ... ، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ، يتفرع ويتشعب فروعا وشعبا .

أولها : تصديقه فى أن الله عز وجل ثناؤه أرسله .

ثانيا : تصديقه فى أنه عز اسمه ، أرسله بما يقول ، وأن الذى يؤديه هو رسالة الله التى أرسله بها .

ثالثها : تصديقه فى أنه أرسله الى من يذكر أنه أرسله اليهم .

رابعها : تصديقه فى أنه خاتم النبيين ، لا رسـول ولا نبى بعده ، والشريعة المشروعة له آخر الشرائع ، وعليها تقوم الساعة .

خامسها : تصديقه فى صفة ارساله اذ اثبتها لقومه ، فان قال أوحى الى على لسان ملك صدق فى أن الذى يأتيه ملك ، والذى ينزل عليه وحى ، وان قال الهمنى ربى ، صدق فى أن ما يجده فى قلبه قذف من الله ليقع بذلك تنزيهه عن الوسوسة ، أى يصدق ويطاع فى كل ما يقول (١) .

الثانى : الايمان بانه خاتم الأنبياء والرسل وأن كل من ادعى الرسالة او النبوة بعده فهو كذاب ، وقد تنبأ صلى الله عليـه وسلم بانه « لا تقوم الســاعة حتى يظهر دجالون كذابون قريبا من ثلاثين ، كلهم يزعم انه رسـول الله » (٢) .

وقال تعالى واصفا ـ رسوله :

« ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٣) .

وأن ما يزعمه محى الدين بن عربى أن محمدا صلى الله عليه وسلم ختم الله به الرسالة ، ولم يختم به النبوة ، وأن النبوة سارية لا تتوقف الى قيام الساعة ، يخالف فيه القرآن والسنة الصحيحة ، ولا وجه له ، وقـد

---

(١) المنهاج ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ جـ ١ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) الأحزاب ٤٥ .

استعله المتنبؤن المحدثون مثل القاديانى وغيره من زمرة الكذابين (١) ٠ فليس بعد قول الله : (وخاتم النبيين) قول وقد أجمع علماء الأمة وثقاتها على ذلك ، ومن ينكره ينكر معلوما من الدين بالضرورة (٢) ٠

الثالث : دلائل وأعلام نبوته صلى الله عليه وسلم :

دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا ، لا يمكن حصرها ، وقد كتب فيها الكاتبون مؤلفات ضخمة ذكروا فيها دلائل يقينية ، وأعلاما قاطعة تثبت نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ٠ وذكر العلماء من بين هذه الدلائل الكثيرة على نبوته **هذا القرآن الآية الباقية الخالدة ، ومعجزاته الأخرى صلى الله عليه وسلم** ، التى ذكرت فى القرآن والسنة الصحيحة ، **وكذلك بشارات الكتب السابقة** (٤) مثل التوراة والزبور والانجيل ثبوته صلى الله عليه وسلم ٠

الرابع : شمائله ، واخلاقه ، وهديه صلى الله عليه وسلم :

نؤمن أن الله تعالى قد حباه أخلاق القرآن كلها ، مما يدل على صدقه

---

(١) انظر : بحثنا : (محيى الدين بن عربى : الرجل والمذهب) منشور فى حولية دار العلوم ، وانظر بحث المودودى (ختم الأنبياء) نشر المكتب الاسلامى ٠

(٢) انظر مؤلفات علماء العقيدة والكلام كلها ، فلا خلاف بينهم على ذلك ٠

(٣) انظر من بين هذه الكتب الكثيرة جدا : (الشفا) للقاضى عياض ، (تثبيت دلائل النبوة) للقاضى عبد الجبار ، و (أعلام النبوة) للماوردى ، و (دلائل النبوة) لأبى اسحاق الحربى ت ٢٥٥ هـ ، و (دلائل النبوة) لابن قتيبة ، و (دلائل النبوة) للبيهقى ، و (دلائل النبوة) لأبى نعيم ، ودلائل النبوة للمستغفرى ، والدلائل لأبى القاسم الأصفهانى ، والخصائص الكبرى للسيوطى ، والوفا بأحوال المصطفى ، لابن الجوزى : وغير ذلك كثير جدا ٠

(٤) انظر فى ذلك كتب علماء اليهود والنصارى الذين أسلموا وعلى رأسها (الدين والدولة فى اثبات نبوة سيدنا محمد) لعلى بن ربن الطبرى ، (مسالك النظر فى نبوة سيد البشر) للاسكندرانى (كان يهوديا فأسلم ، كتبنا فى مقارنة الأديان) ٠

وتأييد الله له ، فما سمع منه أحد كذبا ، لا فى أمور الدين ، ولا فى أمور الدنيا ، ولا قبل البعثة ولا بعدها ، وما فعل قبيحا ولا منفرا ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، وما فرق أحدا من أعدائه مهما عظم الخوف واشتد الأمر مثل يومى أحد والأحزاب ، وكان عظيم الرحمة والشفقة بأمته ، وان سيرته تبرز ذلك جليا فهى مسجلة بأدق تفاصيلها يوما بيوم ، وهى مكتوبة ومنشورة ، ومتواترة ويقينية ثابتة ، كما أن علماءنا - أثابهم الله - قد كتبوا أجل المؤلفات فى شمائله وأخلاقه وهديه صلى الله عليه وسلم (١) . وكان فى أعظم درجات الكرم والسخاء ، وكان زاهدا فى الدنيا ، قانعا باليسير منها ، لا يدخر شيئا ، وكان فى غاية الفصاحة ، أوتى جوامع الكلم ، وكان حليما صفوحا ، متواضعا للمؤمنين ، عابدا لله ، مجاهدا فى سبيله ، متوكلا عليه ... وقد ظل - صلى الله عليه وسلم - طوال عمره ، من أوله الى آخره - على هذه الأخلاق الربانية العالية ، لم يبدل ولم يغير (٢) ، وقد أشار الله تعالى الى ذلك قائلا :

« وما أنا من المتكلفين » (٣) . ومعروف أن المتكلف لا يمكنه أن يثبت على هذه الأخلاق طوال عمره دون أن يبدلها أو يغيرها ... صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) انظر كتب السنة والسيرة النبوية المطهرة ، والتاريخ والمغازى . وكتب الدلائل والشمائل وأشهرها : (الخصائص) (الشمائل) و (وزاد المعاد فى هدى خير العباد) للامام ابن القيم وهو من أجل الكتب فى هذا الباب ، وكذلك (احياء) الامام أبى حامد الغزالى رحمهم الله جميعا .

(٢) وانظر (الاعتقاد والهداية) للبيهقى ص ١٦٨ وما بعدها ، للأستاذ أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء ، طبع وهبة ، وانظر د . نعيم ياسين ، مرجع سابق ص ٧٤ ، و د . عمر الأشقر ، مرجع سابق ، والرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوى ، المكتب الاسلامى .

(٣) سورة ص : ٨٦ .

مكانة الرسل
بين التوراة الحالية والقرآن الكريم

سنقابل فى هذا المبحث بين ما ورد فى التوراة وكتب العهد القديم ، وما جاء فى القرآن الكريم خاصا بالأنبياء عليهم السلام ؛ ولأن مثل هذا المبحث الوجيز يعجز عن سوق كل ما جاء فى حق جميع أنبياء الله فى التوراة والقرآن ، فاننا سنقتصر على بعض هؤلاء الرسل الكرام ، كما سنقتصر على النصوص التوراتية ومقابلتها بالنصوص القرآنية من غير تعويل على شروح العلماء واستنباطاتهم ، حرصا على الايجاز .

وليعذرنا القارىء الكريم اذ ننقل له نصوصا من التوراة المنسوبة الى موسى (★) عليه السلام فى حق الأنبياء ، ما كان لنا أن نتلفظ أو نستشهد بها لولا أن القرآن قد حكى عن بنى اسرائيل ما افتروه على الله جل جلاله وعظم سلطانه ، مثل قولهم :

« ان الله فقير ونحن اغنياء » (١) « يد الله مغلولة » (٢) « عزير ابن الله » (٣) كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » (٤) .

ورحم الله أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ اذ يقول : « لولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا ... لكنت لأن أخر من السماء أحب الى من

---

(١) سورة آل عمران ١٨١ .
(٢) سورة المائدة ٦٤ .
(٣) سورة التوبة ٣٠ .
(٤) رواه البخارى ، انظر ص ٤٩٦ جـ ٦ من فتح البارى لابن حجر العسقلانى ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل .
(★) تقرر التوراة الحالية أنها تنزيل من رب العالمين ؛ حيث ذكر فيها : « ودعا الله موسى الى رأس الجبل ، فصعد موسى » الخروج ١٩ : ٢٠ « ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات » الخروج ١/٢٠ « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى عهد الرب ولجميع شيوخ اسرائيل » سفر التثنية ٩/٣١ .

أن الفظ بحرف مما يقولون ، ولكنى لا أصل الى اظهار جميع مخازيهم وما يسرون من فضائحهم ، الا بالاخبار عنهم والحكاية منهم » (١) ٠

١ ـ نوح ـ عليه السلام ـ فى التوراة والقرآن :

تصور التوراة نوحا ـ عليه السـلام ـ على أنه رجل خمر وسكر ، يعاقر الخمر حتى تدور برأسه ٠٠ وتذهب بعقله ، فيتعرى ٠٠ وتنكشف سوأته ، فيراه ابنه حام على هذا الحال المزرى ٠٠ فيخبر أخويه بذلك ٠٠ وعندما يفيق نوح من خمره وسكره يلعن ابنه حام ، ويحكم عليه بالعبودية والمذلة لأخويه ٠

« ٠٠٠ وابتدأ نوح يكون فلاحا ، وغرس كرما ، وشرب منه الخمر ، فسكر ، وتعرى داخل خبائه ، فابصر حام ابو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا ، فاخذ سام ويافث الرداء ، ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا الى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما الى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لاخوته ، وقال : مبارك الرب اله سام ٠ وليكن كنعان عبدا لهم » (٢) ٠

هذه هى صورة نوح عليه السلام ، التى يرى اليهود والنصارى أن الله قد كلم بها موسى عليه السلام ، ثم كتبها موسى ووضعها فى التوراة ، ووضع التوراة فى التابوت ، وسلمها لبنى اسرائيل ، وجعل الهارويين من بنى لاوى ـ أحد أسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر ـ حفظة لهـا وحراسـا عليها ٠

وأحسب من جانبى ـ أن الأمر لا يعدو أن يكون تاويلا لنظرية بنى

---

(١) الجاحظ : المختار فى الرد على النصارى ، بتحقيقنا ، ونشر دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٤ هـ وقد نقل ابن حزم صاحب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) ، هذه العبارة عنه ، انظر ج ١ ص ٣٢٨ ٠

(٢) سفر التكوين ٩ : ٢١ ـ ٢٦ ٠

اسرائيل العنصرية العرقية القاضية برفع سلالتهم فوق كل السلالات ...
ووراء اختلاق هذه القصة الخبيثة باعثان شنيعان خسيسان ، هما :

اولهما - تأصيل اصطفاء السلالة الاسرائيلية ورفعها - عرقيا وعنصريا - فوق الكنعانيين أعدائهم التقليديين ؛ ذلك أن الكنعانيين ان هم الا الفلسطينيون أصحاب الأرض التى أستولى عليها بنو اسرائيل .... وكانت بينهم دماء وحروب وثارات !!

ثانيهما - التشنيع على أول رسل الله نوح عليه السلام والتشغيب عليه ، تنفيذا لخطتهم الخبيثة فى تشويه صورة كرام البشر عموما ، ورسل الله خصوصا ، على ما سيذكر ان شاء الله .

أما صورة نوح - عليه السلام - فى القرآن الكريم ، فهى - على عكس ما جاء فى التوراة - فهى صورة وضيئة مشرقة ، فهو - عليه السلام - أول رسل الله الى الناس (١) ، وهو من صفوة الصفوة ، وخلاصة الخلاصة ، فهو واحد من أولى العزم من الرسل الكرام :

« واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » (٢) .

يعلق العلامة الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله : ان الله قد أخذ عليهم العهد والميثاق فى اقامة دين الله وابلاغ رسالته والتعاون والتناصر (٣)
هذا وقد أرشد الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبر أولو العزم ومنهم نوح عليه السلام .

---

(١) روى البخارى فى حديث الشفاعة « ... يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا ، أشفع لنا الى ربك » انظره فى فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ٦/ ص ٣٧١ .
(٢) سورة الأحزاب / ٧ .
(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، حـ ٦ ص ٣٨٣ طبعة دار الشعب بمصر .

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (١) ٠

ويشهد الله عز وجل بأن نوحا كان عبدا شكورا :

« ٠٠٠ ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا » (٢) ٠

وان الله عز اسمه قد اصطفى نوحا وهداه الى صراطه المستقيم ٠

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (٣) ٠

« ونوحا هدينا من قبل » (٤) ٠

وقد أطلق اسمه على سورة من سور القرآن العظيم ؛ تنويها بشأنه ، واعلاء لذكره ، وثناءه عليه ، وتشريفا له ، فهو عليه السلام ، قد أنعم الله عليه ، وهداه ، واصطفاه ، واجتباه ، وواثقه على تبليغ رسالته الى عباده (٥) ٠٠ فكيف يذكر الله تعالى ـ فيما تفتريه التوراة على الله ـ أنه كان سكيرا عربيدا متهتكا متعريا كاشفا لعورته ؟ ! ، أو كيف يسوغ فى العقل ـ لغير متصون أن يلعن ابنه لأنه اطلع على عورته ٠٠ وهل يعقل أن يكتب موسى عليه السلام هذا الكلام عن أخيه نوح عليه السلام ٠ ٠ ٠ وهل يرضى هذا لنفسه واحد من كرام الناس ؟ !! فضلا عن صفوة الناس ؟ ٠٠ لكنه الحقد الفريسى الاسرائيلى على خيرة البشر وهداتهم !!

وهل اصبح أبناء حام عبيدا كما جاء فى التوراة على لسان نوح ؟ يعلق ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ على ذلك بأسلوبه الساحر المعروف متهكما بواضع التوراة ، فيقول :

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥ ٠

(٢) الاسراء / ٣ ٠

(٣) آل عمران ٣٣ ٠

(٤) الأنعام ٨٤ ٠

(٥) وذكر نوح عليه السلام فى سورة النساء / ١٦٣ ، الأعراف /٥٩ ، يونس / ٧١ ، هو ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، الأنبياء ٧٦ ، مريم / ٥٨ ، المؤمنون / ٢٣ ، العنكبوت ١٤ ، الأحزاب ٢٧ ، الشورى ١٣ ، الحديد ٢٦ ، الصافات ٧٥ ، ٧٩ ، نوح ١ ، ١٢ ، ٢٦ ٠

« ... ثم نسى المحرف ، وقال بعد ستة أسطر : (بنو حام هم : كوش ، ومصرايم ، وفرحا ... الخ وكوش بن حام ولد له نمروذ الذى ابتدأ يكون جبارا فى الأرض .. وكان أول مملكته بابل) فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح عليه السلام !؛ لأن أبناء حام صاروا ملوكا على أبناء سام ، ولم يصبحوا عبيدا كما حكم نوح على أبناء حام بزعمهم (١) !!

٢ ـ لوط ـ عليه السلام ـ فى التوراة والقرآن :

تذكر التوراة أن لوطا ، عليه السلام ـ قد تلكأ فى الاستجابة لأمر الله لـه بالخروج من المدينة التى حل عليها عذاب الله ، وقد دفعه الملكان دفعا للخروج ، وتزعم التوراة كذلك أن امرأته قد نجت معه :

« ولمـا طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين : قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باثم المدينة ، ولمـا توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه .. وأخرجاه ، ووضعاه خارج المدينة » (٢) .

ليس هذا فحسب ، لكن التوراة الفريسية تأبى الا أن تمرغ وجه لوط ـ حاشاه ـ فى الوحل ، فتنسب اليه ، عليه السلام ـ جريمة معاقرة الخمر ، والسكر ، والزنى بابنتيه !! والانجـاب منهما سفاحا ! وهـذا مما يأبـاه لأنفسهم شرار الخلق وأراذلهم فما بالك بالرسل الأئمة الهداة ؟ !

« ... وصعد لوط من صوعر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه ؛ لأنه خاف أن يسكن فى صوعر ، فسكن فى المغارة هو وابنتاه ،

وقالت البكر للصغيرة : ابونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض !! ، هلم نسقى أبانا خمرا ، ونضطجع معه ؛ فنحى من أبينا نسلا !! ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها !!!

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : انى قد اضطجعت البارحة

(١) ابن حزم : الفصل ، جـ ١ ص ٢١١ ـ ٢١٢ .
(٢) سفر التكوين ١٩ : ١٥ ـ ١٧ .

مع أبى ، تعالى نسقيه خمرا الليلة أيضا ، فادخلى عليه ... اضطجعى معه ، فنحى من أبينا نسلا !! فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ايضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها !! ،

فحبلت ابنتا لوط من أبيهما !! ، فولدت البكر ابنا دعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين الى اليوم ، والصغيرة ولدت أيضا ابنا دعت اسمه : بن عمى ، وهو أبو بنى عمون الى اليوم (١) .

ولا ريب أن هذا تحريف اسرائيلى باعثه : وصم اعدائهم التقليديين : بنى موآب وبنى عمون ، وأى جريمة افحش أو أقذع من كونهم أبناء زنى ، واى زنى !! وكذلك وصم لوط عليه السلام بكل هذه الخساسات والمناكر !! ، وأيضا الطعن فى شرف نبى الله داود عليه السلام ؛ لأن جدته لأمه كانت من بنى موآب !!

ويعلق على ذلك حبر من كبار أحبار يهود بعد ان شرح الله صدره للاسلام فى نهاية القرن السادس الهجرى ، فيكشف غرضهم الخبيث من وراء دس هذه القصة الوقحة فى التوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام ، فيقول :

« هذه الحكاية منسوبة الى لوط النبى فى التوراة الموجودة بأيدى اليهود فلم يقدروا على جحدها ، فيلزمهم من ذلك أن الولدين (ممزريم) (يعنى أولاد زنى) اذ توليدهما على خلاف المشروع .

واذا كانت روث (راعوث) من ولد موآب ، وهى جدة داود عليه السلام ، وجدة مسيحهم المنتظر ، فقد جعلوهم جميعا من نسل الأصل الذى يطعنون فيه .

« وأيضا ، فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة ، وقد سقى خمرا حتى سكر سكرا حال بينه وبين معرفة ابنتيه ، فضاجعته احداها

---

(١) سفر التكوين ، ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨ .

واستنزلت منيه ، وقامت عنه وهو لا يشعر كما نطق كتابهم ، وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحبل ؛ لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن فى السن قد غاب حسه لفرط سكره ، ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به فى الليلة الثانية ، فعلقت أيضا ، وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن يعلق من أحدهم فى ليلة ، ويعلق منه أيضا فى الليلة الثانية .

« الا أن العداوة التى مازالت بـين بنى عمون وموآب وبـين بنى اسرائيل ، بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال ؛ ليكون أعظم الأخبار فحشا فى حق بنى عمون وموآب .

« وايضا فان عندهم أن موسى جعل الامامة فى الهارونيين ، فلما ولى طالوت ، وثقلت وطاته على الهارونيين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم انتقل الأمر الى داود ، بقى فى نفوس الهارونيين التشوق الى الأمر الذى زال عنهم ، وكان هذا عزرا خادما لملك الفرس ، حظيا لديه ، فتوصل الى بناء بيت المقدس ، وعمل لهم هذه التوراة التى بايديهم .

« فلما كان (عزرا) هارونيا ، كره أن يتولى عليهم فى الدولة الثانية داودى ، فأضاف فى التوراة فصلين طاعنين فى نسب داود : أحدهما : قصة بنات لوط ، والآخر : قصة شامار ....

« ولقد بلغ - لعمرى - غرضه ؛ فان الدولة الثانية التى كانت لهم فى بيت المقدس (بعد عودتهم من الأسر البابلى المعروف) لم يملك عليهم فيها داوديون ؛ بل كانت ملوكهم هارونيين » (١) .

وان قالوا : لا ملامة على لوط فى ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران ، وهو لا يعلم من هما ، قلنا : كيف عمل اذا رآهما حاملتين ؟ ! واذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشده ؟! واذ رآهما تربيان أولاد الزنى ؟!

---

(١) انظر للمهتدى : السموأل بن يحيى المغربى ت ٥٧٠ هـ ، كتابه القيم : « افحام اليهود » بتحقيقنا ، ونشر دار الهداية بالقاهرة ، ١٤٠٦ هـ

هذه فضائح الأبد ، وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام (١) ٠

اما لوط ، عليه السلام ، فى القرآن ، فقد فضله الله — مع اخوانه الرسل — على العالمين :

« واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » (٢) ٠

وما يدعو للدهشة والغرابة أن دعوة لوط فى جوهرها دعوة للطهر والعفاف والسمو بقومه عن وهدة التمرغ فى الشذوذ الجنسى ، والارتكاس فى وحل الرذيلة والفجور الفاحش ؛ فوصمه بنو اسرائيل بما جاء ليطهر الناس منه !!

« ولوطاً اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون ، وما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون ، فأنجيناه وأهله الا امراته كانت من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ، فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » (٣) ٠

هؤلاء المجرمون يشهدون ان لوطا كان من المتطهرين ، وبنو اسرائيل يتهمونه بأبشع أنواع الفسوق والشذوذ !!

ولقد كان لوط من الصالحين ، وآتاه الله حكما وعلما ، وأنجاه الله من القرية التى كانت تعمل الخبائث ، انهم كانوا قوم سوء فاسقين ،

« ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث، انهم كانوا قوم فاسقين ، وادخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين » (٤) ٠

---

(١) ابن حزم : الفصل ، جـ ١ ص ٢٢٤ ٠
(٢) الأنعام /٨٦ ٠
(٣) لأعراف ٨٠ — ٨٤ ٠
(٤) الأنبياء ٧٤ — ٧٥ ٠

ولقد كان لوط قاليا لفسوق قومه :

« قال انى لعملكم من القالين » (١) ٠

ويؤكد القرآن الكريم رسالة لوط ، وأن الله قد شهد فى حقه أنه كان من المحسنين (٢) ، فكيف يسعى محرفو التوراة الى وصمه عليه السلام بأبشع الرذائل !! انهم زنادقة مبالغون فى الاستخفاف بالله تعالى ورسله عليهم السلام ٠

٣ ـ اسحاق ويعقوب ، عليهما السلام ، فى التوراة والقرآن :

قد يسبق الى الخاطر أن محاولة كتبة التوراة تجريد اسماعيل من شرف التضحية والفداء ـ فى قصة الذبح ـ ومنحها الى اسحاق (٣) ، أن اسحاق عليه السلام قد نجا من محاولة التشويه والتدنيس ، التى عقدوا العزم على رمى الأنبياء جميعا بها !!!

وواقع الحال عكس ذلك قطعا ، فاسحاق ـ فى التوراة ـ رجل خب تسهل خديعته والاحتيال عليه !! ، ولكن ممن يخدع ؟ من ابنه يعقوب ٠ فينسبون الى يعقوب أنه كذب على أبيه ، واحتال ، وتخابث ، وسرق أو استلب بركة أخيه البكر عيسو التى استحقها من ابيه لبكورته طبقا للقواعد التوراتية ؛ جاء فى سفر التكوين :

« ٠٠٠ حدث لما شاخ اسحاق ، وكلت عيناه عن النظر ، انه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا بنى انى قد شخت ، ولست أعرف يوم وفاتى ، فلآن خذ عدتك ٠٠٠ اخرج الى البرية ، وتصيد لى صيدا ، واصنع لى طعاما كما أحب ، واتنى به لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت ٠

« وكانت رفقة (أم يعقوب وعيسو) سامعة اذ تكلم اسحاق مع عيسو

---

(١) سورة الشعراء / ١٦٨ ٠

(٢) هود ٧٧ ـ ٨١ ، النمل ٥٤ ـ ٥٦ ، العنكبوت ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، الصافات ١٣٣ ٠

(٣) انظر كتابنا (فى مقارنة الأديان) ٠

ابنه ، فذهب عيسو الى البرية كى يصطاد صيدا ليأتى به ، وأما رفقة كلمت يعقوب ابنها قائلة : انى سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا : ايتنى بصيد وأطعمة لآكل واباركك أمام الرب قبل وفاتى .. فالآن يا بنى اسمع لقولى : اذهب الى الغنم ، وخذ لى جديين جيدين من المعز ، فاصنعهما لأبيك كما يحب ، فتحضرها الى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .

« فقال يعقوب لرفقة أمه : هو ذا عيسو أخى رجل أشعر ، وأنا رجل املس ، ربما يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون ، وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، ... وأخذت رفقة بثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت ، وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعز ، وأعطت الأطعمة التى صنعت فى يد يعقوب ابنها .

« فدحل الى أبيه وقال : يا أبى . فقال : من أنت يا ابنى ؟ فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتنى ، قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركينى نفسك .. فقال اسحاق ليعقوب : تقدم لأجسك يا بنى : أأنت هو ابنى عيسو أم لا ؟ ، فتقدم يعقوب الى اسحاق ، فجسه ، وقال : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه ، فباركه ، وقال : كن سيدا لاخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين » (١) .

بعد أن يفرغ قارىء هذا الفصل من قراءته يخيل اليه قطعا أنه أمام قصة بوليسية مما يؤلف عن الصعاليك والشطار والعيارين ، ولا ينقدح فى خاطره قطعا أنه يقرأ وحيا اليها يتعلق بنبى ابن نبى ، كتبه نبى ، عن الله عز وجل !!

وقد علق العلامة ابن حزم على ذلك بقوله :

فى هذا الكلام فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات ، وأول ذلك :

---

(١) سفر التكوين ٢٧ : ١ ـ ٤٥ .

اطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام انه خدع أباه وغشه ، وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء ، فكيف من نبى مع أبيه النبى أيضا ؟! ! .. هذه سوءات مضاعفات .

وثانية : هى اخبارهم أن بركة يعقوب انما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتحابث ، وحاش للانبياء عليهم السلام من ذلك . ولعمرى انها لطريقة اليهود ، فما تلقى منهم الا الخبيث المخادع ، الا الشاذ .

وثالثة : وهى اخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه ، وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا .

ورابعة : وهى التى لا يشك أحد فى أن اسحاق عليه السلام اذ بارك يعقوب اذ خدعه - بزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس - انما قصد بتلك البركة عيسو ، وله دعا ؛ لا ليعقوب ، فاى منفعة للخديعة هنا لو كان لهم عقل ؟ ! .

واما وجوه الكذب فكثيرة جدا ؛ من ذلك :

نسبتهم الكذب الى يعقوب عليه السلام ، وهو نبى الله تعالى ورسوله فى أربعة مواضع : أولها : قوله لأبيه اسحاق « انا عيسو ابنك بكرك » فهذه كذبتان فى نسق ؛ لأنه لم يكن ابنه عيسو ، ولا كان بكره .

وثانيه : قوله لأبيه : صنعت جميع ما قلت لى ، فاجلس وكل من صيدى ، فهذه كذبتان فى نسق ؛ لأنه لم يكن قال له شيئا ، ولا أطعمه من صيده (١) .

وكذبة أخرى : وهى بطلان بركة اسحاق ، اذ قال له : تخدمك الأمم ، وتخضع لك الشعوب ، وتكون سيد اخوتك ، ويسجد لك بنو أمك . ومعلوم ان ذلك لم يقع والذى تحقق عكس ذلك تماما ، فى اكثر أيام بنى اسرائيل ، كما نص عليه فى كتبهم .

---

(١) انظر : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٩ (بتصرف يسير) .

ولم يقف كتبة التوراة مع نبى الله يعقوب (اسرائيل) عليه السلام عند هذا الحد ؛ لكنهم ذكروا أنه احتال على أخيه عيسو ، وابتاع منه بكوريته ، فجرده من البركة والبكورية معا (١) ، وقد صرخ عيسو متحسرا على ذلك ، فقال :

« ... أخذ بكوريتى ، وهو ذا الآن قد أخذ بركتى !!! » (٢) .

وجاء فى سفر أشعيا ، وفى سفر ميخا - من أسفار العهد القديم - أن يعقوب قد عصى الله ، وأثقل عليه بآثامه ، وأتعبه :

يزعمون أن الله قد قال ليعقوب : « أنت لم تدعنى يا يعقوب ، ... ولم تحضر لى شاة .. ، ولم استخدمك بتقدمة ، .. لكن استخدمتنى أنت بخطاياك ، وأتعبتنى آثامك » (٣) .

ويظهر كتبة التوراة يعقوب فى صورة الرجل الخب الذى يخدع ويخدع ، فقد خدعه (لابان) خاله ، وزوجه (ليئة) بدلا من (راحيل) ، وأدخله عليها دون نكاح صحيح (٤) .

وقد خدع يعقوب قلب لابان الآرامى ؛ اذ لم يخبره أنه هارب ، فهرب وكل من كان له (٥) .

وقد سرقت زوجته أصنام أبيها ، وكذبت عليه وعلى روجها (٦) .

كما ينسب كتاب التوراة حوادث زنى متكررة فى بيت يعقوب ، فقد زنى شكيم بن حمور بابنة يعقوب « دينا » (٧) . واضطجع ابنه رأوبين سفاحا مع سرية أبيه (٨) ، وكذلك يهوذا يزنى بثامار (٩) ؛ مما يعكس صورة ملطخة بالرذيلة والفجور والدعارة لبيت يعقوب عليه السلام !!

والحق ان عجب قارىء التوراة - المنسوبة الى موسى عليه السلام والتى

---

(١) سفر التكوين ٢٥ : ٣١ - ٣٩ .
(٢) سفر التكوين ٣٧ : ٣٦ .
(٣) سفر أشعيا ٤٣ : ٢٢ - ٢٤ ، وسفر ميخا ١ : ٢ - ٨ .
(٤) سفر التكوين ٢٩ : ٢٥ - ٢٦ .
(٥) سفر التكوين ٣١ .
(٦) التكوين ٣١ : ٣٤ / ٣٥ .
(٧) التكوين ٣/٣٤ .
(٨) التكوين ٢٢/٣٥ .
(٩) التكوين ٣٨ : ٦ - ١١ ، ٣٤ - ٣٥ .

يؤمن بها اليهود والنصارى جميعا ـ لا ينفد ، من الصورة الكالحة البشعة التى رسمها هؤلاء الأنذال ليعقوب عليه السلام : ان يعقوب هو (اسرائيل (١)) الذى ينتسب اليه بنو اسرائيل ، ومنهم هؤلاء الزنادقة الكفرة الذين كتبوا لهم أسفارهم تلك .

واذا كان أبوهم ـ اسرائيل ـ كاذبا محتالا سارقا ، واذا كانت بركته وبكوريته قد سلبها من أحيه بالتخابث والخديعة ، فما يبقى له من فضل وفضيلة ؟! وماذا يبقى لبنيه من بعده ؟!

اما اسحاق فى القرآن الكريم فانه قد بشر الله به ابراهيم حين أراد أن يذبح أخاه اسماعيل ، وقد اصطفاه الله لرسالته ، وهداه ، وهو « من المصطفين الأخيار » (٢) « أولى الأيد والأبصار » (٣) ، وهو « من الصالحين » (٤) .

أما يعقوب (اسرائيل) فقد اثنى الله عليه وعلى أبيه فقال :

« ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ، وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ، واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » (٥) .

فهو من العابدين الصالحين ، وهو امام يهدى بأمر الله ، وقد أوحى الله اليه فعل الخيرات ... وكان من المهتدين (٦) . يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة .

« فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا » (٧) .

---

(١) وسمى يعقوب اسرائيل لأنه تغلب على ملاك الرب ، وجاهد ملاك الرب وصمد أمامه أو جاهد الرب وصمد أمامه ، او صرع ملاك الرب .. حسبما جاء فى كتبهم من تفسير لهذا ، انظر سفر التكوين .

(٢) سورة ص ٤٨ . (٣) ص ٤٥ .

(٤) سورة الصافات ١١٢ ، الأنبياء ٧٢ .

(٥) سورة الأنبياء ٧٢ ، ٧٣ ، وانظر الآية ١٦٣ من سورة النساء .

(٦) الأنعام ٨٤ .

(٧) سورة مريم ٤٩ ـ ٥٠ .

فاسرائيل - فى القرآن - لـه لسان الصدق ، أمين على النبوة والوحى (١) ، وله فى كتب بنيه لسان الكذب والاحتيال والخديعة !! ونعوذ بالله من الخذلان ، فقد حق فيهم قول الله عز وجل :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » (٢) .

وصدق الله ، فسوف يلقون غيا .

٤ - موسى وهارون ، عليهما السلام ، فى التوراة والقرآن الكريم :

تذكر التوراة أن موسى ، عليه السلام ، ابان الخروج من مصر قد أمر بنى اسرائيل بنهب جيرانهم من المصريين ، وسلب أمتعتهم ، والتحايل على ذلك :

« ... فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ؛ بل تطلب كل امرأة من جارتها (المصرية) ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » (٣) .

وكرام الناس لا يامرون أتباعهم بالنهب والسلب والاحتيال لذلك .

وليت التوراة انتهت عند هذا الحد !! لكنها وجهت الى موسى - أعظم أنبياء بنى اسرائيل قاطبة - والى أخيه وشريكه فى الأمر هارون ، عليهما السلام ، جريمة خيانة الرب عز وجل !! وعدم تقديسه أو عدم الايمان به ايمانا عميقا !! ، وتذكر التوراة - الحالية - ذلك عن موسى صراحة دون مواربة ، وتؤكد ذلك بأن الله قد حكم على موسى وهارون بالحرمان من دخول الأرض المقدسة الموعودة عقابا لهما على اثمهما وخيانتهما الرب وسط بنى اسرائيل :

« فقال الرب لموسى وهارون :

من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التى أعطيتهم اياها » (٤) .

---

(١) سورة العنكبوت ٢٧ .
(٢) سورة مريم ٥١ .
(٣) سفر الخروج ٣ : ٢١ - ٢٢ .
(٤) سفر العدد ٢٠ : ١٢ - ١٣ .

وجاء فى سفر التثنية :

« وكلم الله موسى ... قائلا : اصعد الى جبل عفاريم فى أرض موآب الذى قبالة أريحا ، وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى اسرائيل ملكا ، ومت فى الجبل الذى تصعد اليه ، وانضم الى قومك ، كما مات هارون من قبل فى جبل هور ، وضم الى قومه ؛ لأنكما خنتمانى فى وسط بنى اسرائيل عند مربية قادش فى برية صين ؛ اذ لم تقدسانى فى وسط بنى اسرائيل ؛ فانك تنظر الأرض من قبالتها ، ولكنك لا تدخل الى هناك ، الى الأرض التى أنا أعطيها لبنى اسرائيل » (١) .

لم يكف كاتب التوراة ذلك ؛ بل نسب الى موسى عليه السلام أنه هو الذى صنع لبنى اسرائيل الحية النحاسية التى قدسها الاسرائيليون ونذروا لها ، وقدموا لها الذبائح ؛ حتى جاء حزقيا ابن آخاز ملك يهوذا فسحقها :

« وسحق (حزقيا) حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى اسرائيل كانوا الى تلك الأيام يوقدون لها ، ودعوها نحشتان » (٢) .

أما هارون شريك موسى عليهما السلام ، فقد كال له واضع التوراة ، فاوفى المكيال اذ اتهمه بخيانة الرب - كما مر - وخيانة موى أخيه ، فترك اخاه يذهب الى الجبل ليتلقى الهداية من ربه ، فاستغل الفرصة وصنع لبنى اسرائيل عجلا ذهبا صنما وأمرهم بعبادته ، وعبده معهم ، وبنى له مذبحا ، وعيد له عيدا ، وذبح له ، جاء فى سفر الخروج :

« ... ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم أصنع لنا آلهة تسير أمامنا ؛ لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه !! ، فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها الى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالازميل ، وصنعه عجلا

---

(١) سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٢ .
(٢) سفر الملوك الثانى ١٨ : ٤ .

مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى اصعدتك من أرض مصر ،
فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ، ونادى هارون وقال : غدا عيد الرب
(يعنى للعجل الصنم) فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح
سلامة » (١) .

هارون عليه السلام - فى زعم المبطلين كتاب التوراة - يصنع عجلا اله
لبنى اسرائيل ويصوره بالازميل ، والله قد أمرهم فى الوصايا العشر قائلا

« لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة » (٢) .

فلم يجد النذل واضع التوراة لموسى وهارون عليهما السلام جريما
مناسبة يفتريها عليهما ، فوصمهما بخيانة الرب والتقصير فى تقديسه أمام
شعب اسرائيل ، وصنع العجل الصنم ، والحية النحاسية ليتعبدا بها بنى
اسرائيل !!

أما صورة موسى عليه السلام ، فى القرآن الكريم فابرز قسماتها الجلال
والبهاء والرسالة والنبوة والوحى وكلام الله عز وجل . وشتان شتان بين
صورته فى التوراة التى تنسب - زورا وبهتانا - اليه ، وبين صورته فى
القرآن الحكيم . فهو - فى القرآن - قد جمع الله له النبوة والرسالة ، وهو
من أولى العزم من الرسل ، فهو من الخمسة الكبار فى جلدهم وصبرهم
واحتمالهم وطاعتهم ... صبر على فرعون المتأله الجبار ، وصبر على
قومه ذوى اللجاج والعناد والفساد والافساد ، ولقد أفاض القرآن فى سوق
قصته العجيبة ووصف سجاياه الكريمة (٣) ما لم يفض به فى قصة رسول آخر .

---

(١) سفر الخروج : الاصحاح الثانى والثلاثين كله .
(٢) سفر الخروج ١٧/٣٤ .
(٣) انظرها فى سورة البقرة ٥١ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨٧ ، ٩٢
، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، آل عمران ٨٤ ، النساء ١٥٣ ، ١٦٤
المائدة ٢٠ ، ٢٦ ، الأنعام ٨٤ ، ١٥٤ ، الأعراف ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٦٠
يونس ٧٥ ، ٨٩ ، هود ١٧ ، ٩٦ ، ١١٠ ، براهيم ٥ ، ٦ ، ٨ ، الاسراء
٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، الكهف ٦٠ ، ٦٦ ، مريم ٥١ ، طه ٩ ، ٩٨ ، الأنبياء
=

وهو أعظم أنبياء بنى اسرائيل الذى أنزل الله عليه التوراة والصحف ، وآتاه الله الكتاب والفرقان والبينات ، وآتاه الله سلطانا مبينا ، وهو كليم الله كلمه سبحانه مباشرة تكريما له وتشريفا : « وكلم الله موسى تكليما » ، وقد اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه وآياته وسلطان مبين .

« قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » (١) .

هذه صورة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم ؛ صورة الجلال والكمال والرفعة والطاعة لله والأمانة على كلامه ووحيه .

وليس بغريب على بنى اسرائيل الذين وصموا أباهم بكل خسيسة ، أن يصموا أعظم رسلهم موسى عليه السلام الذى قادهم فى خروجهم من مصر ، وخلصهم من عبوديتهم لفرعون وعذابه المهين .

أما هارون فكان نبيا من انبياء الله أوحى اليه مع أخيه :

« واوحينا الى موسى واخيه » (٢) .

بعثه الله الى فرعون مع موسى : **« ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا » (٣) .**

وقد شد الله به أزر موسى أخيه واشركه فى أمر رسالته :

« واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى » (٤) .

=

٤٨ ، الحج ٤٤ ، المؤمنون ٤٥ ، ٤٩ الفرقان ٣٥ ، وشعراء ١٠ ، ٦٦ ، النمل ٧ ، ٩ ، ١٠ ، القصص ٣ ، ٤٨ ، ٧٦ ، العنكبوت ٣٩ ، السجدة ٢٣ ، الأحزاب ٧ ، ٦٩ ، الصافات ١١٤ ، ١٢٠ غافر ٢٣ ، ٣٧ ، ٥٣ ، فصلت ٤٥ ، الشورى ١٣ ، الزخرف ٤٦ ، الأحقاف ١٢ ، ٣٠ ، الذاريات ٣٨ ، النجم ٣٦ ، الصف ٥ ، النازعات ١٥ ، الأعلى ١٩ .

(١) سورة الأعراف ١٤٤ .

(٢) سورة يونس ٨٧ .

(٣) سورة يونس ٧٥ .

(٤) سورة طه ٢٩ - ٣٢ .

وقد برأ القرآن الكريم ساحة هارون ، فذكر أن الذى صنع لهم العجل هو السامرى ؛ أما هارون النبى فقد نهاهم وحذرهم ، وبذل جهده فى منعهم حتى كادوا أن يفتكوا به ويقتلوه .

« قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامرى » .

« فكذلك القى السامرى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى » .

« ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعون واطيعوا امرى . قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » .

« قال : فما خطبك يا سامرى . قال : بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » (١) .

وهارون فى القرآن الكريم من المؤمنين (٢) المحسنين (٣) ، وليس من الخائنين للرب كما فى التوراة الحالية المزورة التى تذكر أيضا أن هارون ومريم أخته قد قاما معاندين لموسى من اجل امراته الكوشية :

« وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها ؛ لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟ ! ألم يكلمنا نحن أيضا ... ؟ ! الخ » (٤) .

٥ – داود عليه السلام فى التوراة والقرآن :

لم يكن داود – عليه السلام – فى نظر كتاب أسفار العهد القديم – اسرائيليا خالصا ؛ فهو ينحدر – من جهة إمه من مؤآب ، ونقاء النسب من جهة الأم خصوصا قضية بالغة الأهمية فى التراث اليهودى ؛ فلا يعتبر يهوديا خالصا ، أو لا يعد يهوديا مطلقا من كانت أمه غير يهودية ، وجدة داود عليه السلام (راعوث) مؤابية كما ذكر من قبل .

---

(١) انظر القصة كاملة فى سورة طه ، الآيات من ٨٤ – ٩٧ .
(٢) الصافات ١٢٢ . (٣) الصافات ١٢١ .
(٤) سفر العدد ١٢ : ١ ، وسفر الخروج ٢ : ١٦ – ٢٢ .

ويظهر أن واضعى أسفار العهد القديم كانوا فى غاية الحرص على اثبات ذلك وتقريره ، وقد دفعهم حرصهم على كتابة سفر قائم براسه ووقفه على بيان هذا النسب وتفصيله (١) ٠ وقد عرفنا من حديث التوراة عن لوط - فى سفر التكوين - أن موآب - أصل الموآبيين - فرخ زنى ، فهو قد نتج من مضاجعة بنت لوط البكر أباها لوطا النبى - حاشاه - بعد أن سقته الخمر ، فأفقدته وعيه ، فواقعته !!

وخلاصـة القول تنحصر فى أن نسب داود عليه السـلام مطعون فى اسرائيليته ؛ بل مطعون فى شرفه وحصانته فى ذات الوقت !!

ويبدو جليا أن النذل الموسخ واضع أسفار العهد القديم الحالية ، يلح الحاحا ، ويتهافت تهافتا على تلطيخ شرف داود عليه السلام الذى جمع الله له النبوة والملك معا ، فوصمه باحط المناكر وأرذلها دركة ولم يكتف بما مر من اتهامه بانه سليل زنى ، فحدث عن بيت داود ، وصوره على أنه بيت زنى وفسوق ودعارة وفجور !!! ، لا على أنه بيت نبوة وحكم وملك ٠٠٠ فهاهم اولاده يزنون باخواتهم ، ويزنون بنســاء ابيهم علانيــة امام أعين جميع الشعب !! فامنون ابنه يزنى باخته ثامار (٢) ، وبشالوم ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك ، فيدخل على نساء أبيه أمام جميع اسرائيل !! (٣) ٠

هذا عن بيت داود عليه السلام ، اما هو نفسه فان مؤامرة العهد القديم عليه أدهى وأمر ، وأشنع وافحش واواضر ، فهو فى نظر بنى اسرائيل ٠٠٠ ماذا اقول ؟ ! ان لسانى لينعقد ، وان قلمى ليكاد يقفز من يدى ، وافضل من أن اقول شيئا أن تقرأ هذا النص الذى أورده سفر صموئيل الثانى ، وقد نقلته لك كاملا :

« ٠٠٠ وأما داود فاقام فى اورشليم (وقد أرسل جيشه بقيادة موآب

---

(١) هو سفر راعوث ، وعدد اصحاحاته (فصوله) أربعة ، ويشغل من ص ٤٢٠ - ٤٢٥ فى طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠ م ٠
(٢) سفر صموئيل الثانى ١٣ : ١ - ٢٢ ٠
(٣) سفر صموئيل الثانى ١٦ : ٢٠ - ٢٣ ٠

ومعه الشعب الاسرائيلى للجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائهم بنى عمون) وكان فى المســاء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا .

فارسل داود ، وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى ؟ . فأرسل داود رسلا ، وأخذها ، فدخلت اليه ، فاضطجع معها ، وهى مطهرة من طمثها !! ثم رجعت الى بيتها .

وحبلت المرأة !! ، فأرسلت ، وأخبرت داود ، وقالت : انى حبلى .

فأرسل داود الى يوآب يقول : أرسل الى أوريا الحثى . فأرسل يوآب أوريا الى داود . فأتى أوريا اليه ، فسأل داود عن سلامة يوآب ، وسلامة الشعب ونجاح الحرب !!!

وقال داود لأوريا : أنزل الى بيتك واغسل رجليك .

فخرج أوريا من بيت الملك ، وخرجت وراءه حصة من عند الملك .

ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل الى بيته !! فاخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا الى بيته . فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟ فلماذا لا تنزل الى بيتك ؟

قال أوريا لداود : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى ، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر !!

وفى الصباح كتب داود مكتوبا الى يوآب وأرسله بيد أوريا ، وكتب فى المكتوب يقول :

أجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشـديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت !! .. (ففعل يوآب) .. ، ومات أوريا الحثى !! ...

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ، ولمـا مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيته (١) ..

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١١ : ١ - ٢٧ .

وعزى داود بتشبسع ، .. ودخل اليها ، واضطجع معها ، فولدت ابنا ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه (١) . وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب » (٢) .

فالاغتصاب ، والزنى ، والخيانة ، وفقدان المروءة ، والتحايل والتخابث والخداع لتغطية جريمة السفاح ، ثم قتل اوريا الحثى زوج المرأة ، كل ذلك مناكر خسيسة يترفع عنها آحاد الناس وعامتهم ، فضلا عن كرامهم وخيارهم وصفوتهم .. فضلا عن سادتهم وأنبيائهم ورسلهم !!

وان أوريا الحثى زوج بتشبع فى رأى بنى اسرائيل الذين وضعوا اسفار العهد القديم ، أشرف ، وأوفر نبلا ، وأكثر مروءة ، وأحسن وفاء من داود ؛ اذ لم يسمح له خلقه وشهامته واخلاصه أن يذهب الى بيته ويستمتع بزوجته ، بينما جيش اسرائيل - ومعهم تابوت العهد - فى الخيام والخنادق يحاربون . اما داود - عندهم - فرجل غير عابىء بذلك ، غير مستشعر لأدنى مسئولية ، همه ملذاته ونزواته !!

وانتهى كاتب هذا السفر الى غايته التى رمى اليها ، وهى أن الرب قد قبح فى عينيه جدا ما فعله داود !! ، ومن ثم فقد أرسل ناثان اليه ليوبخه ويقرعه ويزجره زجرا شديدا ، ويضرب له مثل النعاج ، ويتوعده :

« فارسل الرب ناثان الى داود ، فجاء اليه ، وقال له :

كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غنى ، والآخر فقير ، وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جدا ، وأما الفقير فلم يكن له شىء الا نعجة واحدة صغيرة ...

« فجاء ضيف الى الرجل الغنى ، فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيىء للضيف الذى جاء اليه ، فاخذ نعجة الرجل الفقير ، وهيأ للرجل الذى جاء اليه .

« فحمى غضب داود وقال : حى هو الرب ؛ انه يقتل الرجل الفاعل ذلك ، ويرد النعجة أربعة أضعاف ؛ لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق .

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١٢ : ٢٤ .
(٢) سفر صموئيل الثانى ١١ : ٢٧ .

« فقال ناثان لداود : أنت هو الرجل ، هكذا قال الرب اله اسرائيل : انا مسحتك على اسرائيل ، وأنقذتك من يد شاول ، واعطيتك بيت سيدك . ونساء سيدك فى حضنك ، وأعطيتك بيت اسرائيل ويهوذا ، وان كان ذلك قليلا كنت أزيدك ... لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه ؟؟!! ، قد قتلت أوريا الحثى بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة .

« والآن . لا يفارق السيف بيتك . وآخذك الى الأبد : لأنك احتقرتنى .. هانذا أقيم عليك الشر من بيتك . وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس !! » (١) .

يرمى كاتب هذا السفر الى تأريث عداوة اسرائيل لبيت داود ، وأن يجعل ذلك حكما الهيا ، وأن يهيج عليهم ، ويؤصل ذلك من الكتاب المقدس !!

أما داود — فى زعمه — فلم ينزجر من كلام الرب وتهديده ووعيده ، بل تمادى فى الغى — والعياذ بالله — وعزى بتشبع ، ودخل عليها ، واضطجع معها ، فولدت له ابنا ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه (٢) .

فسليمان عليه السلام — فى هذا الكتاب الرقيع — ابن هذه المرأة !! التى قتل أبوه رجلها وزنى بها !!

هذا عن داود فى شبابه !! ، اما عندما « شاخ الملك داود ، وتقدم فى الأيام ، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك عن فتاة عذراء ، فلتقف أمام الملك ، ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع فى حضنك ، فيدفأ مولانا الملك ، ففتشوا عن فتاة جميلة فى جميع تخوم أسرائيل ، فوجدوا ابيشج الشمونية ، فجاءوا بها الى الملك ، فكانت حاضنة الملك !! » (٣) .

هذا ، ولم يكن داود — فى العهد القديم — مشفقا بالضعفاء والمعوقين ، بل كان مبغضا لهم ؛ بل اقصاهم من مدينة أورشيلم (٤) .

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١٢ : ١ — ١١ .
(٢) سفر صموئيل الثانى ١٢ : ٢٤ .
(٣) سفر الملوك الأول ١ : ١ — ٤ . (٤) صموئيل الثانى ٥ : ٨ .

وتقابلك فى القرآن الكريم صورة لداود عليه السلام - مقابلة لهذه الصورة التوراتية الدنسة . فالصورة القرآنية لداود طاهرة القسمات ، وضيئة الملامح .. فهو النبى الأواب ذو الأيد ، **« واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب » (١) .**

قال قتادة : اعطى داود قوة فى العبادة ، وفقها فى الاسلام ، وقد ذكر أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر (٢) ، وانظر ما ورد فى البخارى عن عبادة داود ، وحب محمد صلى الله عليه وسلم لها (٣) .

ولقد كان دواود بطلا مقداما فقد قتل عدو الله الجبار جالوت ، وقد آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء .

« وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » (٤) .

وقد أنزل الله عليه زبورا « وآتينا داود زبورا » (٥) .

وقد آتى الله نبيه داود حكما وعلما ، وسخر الجبال يسبحن معه والطير مسخر له (٦) ، وقد فضله الله على كثير من عابده المؤمنين (٧) .

« ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبى معه والطير ، والناله الحديد أن اعمل سابغات ، وقدر فى السرد ، واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير » (٨) .

« اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب ، انا سخرنا الجبال معه يسجن بالعشى والاشراق ، والطير محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (٩) .

---

(١) سورة ص ١٧ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤٩ ، وانظر تفسير القرطبى ص ١٥٨ ج ١٥ .
(٣) فتح البارى ج ٦ ص ٤٥٥ .
(٤) الأنبياء ٧٨ / ٨٠ .
(٥) سورة البقرة ٢٥١ .
(٦) النمل ١٥ - ١٦ .
(٧) سورة النساء ١٦٣ .
(٨) سورة سبا ١٠ - ١١ .
(٩) ص ١٧ - ٢٠ .

أما مثل النعاج الذى ضرب لداود فى القرآن الكريم فى سورة (ص) (١) وقصة تسور المحراب ، فلا يسوغ فى العقول الصريحة والفطن المستقيمة أن تفسر هذه الآيات بما جاء فى العهد القديم مما سقناه من ان داود قد اعتدى على زوجة جنديه أوريا الحثى ، ثم قتله وضمها الى نسائه ، ثم انجب منها سليمان عليه السلام .

كيف يسوغ هذا من داود وهو الأواب ، ذو الأيد ، الذى أعطاه الله فضلا وزبورا وحكمة وعلما وفصل خطاب ؟!

كيف يسوغ هذا منه وهو الذى له عند الله زلفى وحسن مئاب ؟ ! وهو الذى سخر الله معه الكون يسبح بتسبيحه ؟ ! هذا لا يجوز الا فى عقل واضع الكتاب المذكور ؛ لنذالته ورقاعته ، وسوء طويته ، وفساد فطرته ، وخبث غرضه .

ولقد دست هذه القصة الاسرائيلية فى بعض كتب التفسير ، وينبغى أن نذكر هنا ما كتبه العلامة الحافظ ابن كثير :

« وذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها ماخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن ابى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ، ويزيد وان كان من الصالحين الا أنه ضعيف عند الأئمة .

الأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها الى الله عز وجل ، فان القرآن حق ، وما تضمنه فهو حق أيضا » (٢) .

هذا ، وقد جاء ذكر داود عليه السلام فى عدة مواضع من القرآن الكريم (٣) ، كلها مقرونة بالثناء والتبجيل والاكرام له من ربه عز وجل .

---

(١) سورة ص ٢١ ـ ٢٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٧ ص ٧١ .

(٣) انظر : سورة البقرة ٢٥١ ، النساء ١٦٣ ، المائدة ٧٨ ، الأنعام ٨٤ الاسراء ٥٥ ، الأنبياء ٧٨ ـ ٨٠ ، النمل ١٥ ـ ١٦ ، سبأ ١٠ ـ ١١ ص ١٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ .

والحق أن ما جاء فى هذه الكتب - التى يقدسها اليهود والنصارى - عن رسل الله الكرام ، لهو خير دليل على تحريف هذه الكتب وتزويرها ، لأنه قد ثبت أن هؤلاء أنبياء ، والأنبياء لا تكون أخلاقهم كما جاء فى هذه الكتب قطعا ؛ فما جاء فيها بشأن الأنبياء - موضوع محرف بالضرورة الملزمة (١) .

(١) انظر لنا : (فى مقارنة الأديان) ص ١٩١ - ٢٣١ .

الأصـــل الخامس

الإيمـــان باليوم الآخر

الأصـــل الخامس : الايمان باليوم الآخر ٠

المراد باليوم الآخر :

يطلق « **اليوم الآخر** » ويراد به عدة **امور تشمل : افناء هذا العالم ، ثم بعث من كانوا أحياء وماتوا الى الحياة مرة أخرى ، ثم ما اخبر عنه القرآن الكريم والسنة المطهرة من حشر ، وحساب وصحف ، ووزن أعمال ، وصراط ، وحوض ، وشفاعة ، وثواب فى الجنة ، وعقاب فى النار والعياذ بالله ٠ كما يشمل يوم القيامه : ما يكون بعد الموت مـن فتنـة القبر ، وعذابه ، أو نعيمه** ٠ وقد استغرب الملحدون وانكروا **أصل هذه الامـور** وهو بعث **الأموات** من قبورهم مرة أخرى ٠ ومن ثـم دلل القرآن عـلى امكان البعث بادلة قاطعة باهرة ٠

وهذه الأمور التى يطلق عليها « **اليوم الآخر** » : **أمور سمعية ، أى اخبرنا** بها الله تعالى فى القرآن الكريم ، أو فى السنة المطهرة ، وامرنا الله تعالى أن نؤمن بها ايمانا صادقا جازما ٠ وأن نعقـد قلوبنا عـلى التصديق بها ، والعمل من أجلها ٠ فيجب على كل مؤمن بالله تعالى : الايمان بكل ما ورد ـ عن اليوم الآخر ـ طبقا لما جاء فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة دون تزيد ودون نقصان ، ودون غلو أو تفريط ، وبلا تعمق فى البحث عن الكيفيات والحقائق ، وعدم قياس تلك الأمـور الغيبية عـلى ما نعرفه فى حياتنا الدنيا من أمور محسوسة مشـاهدة ٠٠٠ ، انما عـلى المؤمن أن يصدق ويسلم ، ويعتقد ، ويؤمن ، وأن ينظر فى الأدلة الشرعية العقلية ، ولا يكلف نفسه مالا تستطيعه من كيفيات وحقائق : « فكل ذلك كائن على ما جاء به الخبر ، ووعد الله صدق ، وقوله حق ، وأما ما وراء ذلك مما لم يخبر الله عز وجل ، عنه فامره اليه ، وهو أعلم بما هـو فاعله » (١) ٠

---

(١) الحليمى : المنهاج ص ٣٣٧ جـ ١ ٠

اليوم الآخر فى القرآن الكريم (١) :

لقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر ، واهتم بتقريره ، ونبه اليه ، واكد وقوعه ، ودلل على ذلك ببراهين يقينية - ومن بين مظاهر هذا الاهتمام القرآنى العظيم باليوم الآخر :انه يقرن ويربط الايمان بالله بالايمان باليوم الآخر فى آيات كثيرة جدا ، منها :

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر » (٢) ٠

« من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) ٠

« ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر » (٤) ٠

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخير » (٥) ٠

« اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » (٦) ٠

ولئن كان الايمان بالله يجيب على السؤال الفطرى الضرورى عن مصدر الوجود ، فان الايمان باليوم الآخر ، يقدم اجابة يقينية ثابتة عن السؤال حول المصير : الى أين ؟ ما النهاية ؟!

لقد اكثر القرآن من ذكر اليوم الآخر ، حتى أنه لا تكاد تخلو سورة

---

(١) لقد انطلق علماؤنا من اهتمام القرآن الكريم باليوم الاخر ، واقتدوا به ، فوضعوا مؤلفات كثيرة مستقلة عن اليوم الآخر ، لم يصلنا منها الا أقلها مثل : كتاب القرطبى المفسر (التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة) وطبع أخيرا فى دار الفكر ، ومنها : (كتاب البعث والنشور) للحافظ البيهقى ، وقد نشره الأخوان الدكتور عبد الفتاح الغاوى ، والدكتور احمد يوسف نشره دار العروبة بالكويت ، كما درسه علماؤنا فى أبواب ضمن كتبهم مثل الحليمى ، وابن أبى العز ، والأشعرى ، والباقلانى ، والماتريدى ، والجوينى ، والغزالى ، وابن تيمية ، ومن علمائنا المعاصرين : السيد سابق ، وأبو بكر الجزائرى ، والدكتور نعيم ياسين ، وغيرهم ٠

(٢) البقرة ١٧٧ ٠
(٣) البقرة ٦٢ ٠
(٤) البقرة ٢٣٢ ٠
(٥) التوبة ٢٩ ٠
(٦) العنكبوت ٣٦ ٠

الا وفيها حديث عن اليوم الآخر (١) ، وما سيقع فيه من أحاديث وأحوال بأساليب متنوعة كثيرة جدا ، فقد فصل الله القول فيه تفصيلا وصرفه تصريفا . وما ذلك الا اشعارا بأهميته ، وضرورته (٢) .

ومما يسترعى الانتباه ويستوقف النظر كثرة ما سماه الله من الأسماء التى يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من حوادث عظمى ، ووقائع كبرى وأهوال وأحوال ، ومن أسمائه فى القرآن الكريم :

القيامة ، والساعة ، والآخرة ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، ويوم الخلود ، ويوم الخروج ، ويوم الحسرة ، ويوم التناد ، والآزفة ، والطامة ، والصاخة ، والحاقة ، والغاشية ، والواقعة ، والقارعة ، والبعث ، والنبأ العظيم ، الى غير ذلك من أسماء (٣) .

لماذا اهتمام القرآن باليوم الآخر ؟

يذكر الامام الحليمى أن : « فى اعتقاده - يعنى اليوم الآخر - وانشراح الصدر به ، ما يبعث على (طلب) فضل الهبة من الله تعالى ، وقلة الركون الى الدنيا ، والتهاون بأحزانها ومصائبها ، والصبر عليها ، وعلى مضض الشهوات ؛ احتسابا وثقة بما عند الله تعالى من حسن الجزاء والثواب (٤) .

ويهتم القرآن الكريم بقضية البعث : لأنها - كما يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله - : قاعدة أساسية فى العقيدة الاسلامية ... ، قاعدة تقوم عليها العقيدة ، ويقوم عليها التصور الكلى لمقتضيات العقيدة ؛

---

(١) راجع كتاب الاستاذ الشهيد سيد قطب (مشاهد القيامة فى القرآن الكريم) ط : الشروق .

(٢) راجع كتابنا : القرآن والكون .

(٣) راجع كتاب الشيخ سيد سابق (العقائد الاسلامية) ص ٢٦١ - ٢٦٤ طبعة دار النصر ١٩٦٧ م وانظر كتاب (الايمان) للدكتور نعيم ياسين ، فقد لخص فيه القول فى هذا الركن تلخيصا جيدا ص ٩٩ وما بعدها .

(٤) المنهاج جـ ١ ص ٣٣٦ .

فالمسلم مطلوب منه أن يقوم على الحق ليدفع الباطل ، وأن ينهض بالخير ليقضى على الشر ، وأن يجعل نشاطه كله فى الأرض عبادة لله - بالتوجه فى هذا النشاط كله لله . ولا بد من جزاء العمل ، وهذا الجزاء قد لايتم فى رحلة الأرض ، فيؤجل الحساب الختامى بعد نهاية الرحلة كلها ... فلابد اذن من عالم آخر .. ولابد اذن من بعث للحساب فى العالم الآخر ، وحين ينهار أساس الآخرة فى النفس ، ينهار معه كل تصور لحقيقة هذه العقيدة وتكاليفها ، ولا تستقيم هذه النفس على طريق الاسلام ابدا (١) .

معنى ذلك أن للايمان باليوم الآخر أثرا عظيما فى توجيه سلوك الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، ذلك أن الايمان به ، وبما فيه من حساب وميزان ، وثواب وعقاب ، وفوز وخسران ، وجنة ونار ، له أعمق الأثر واشده على سير الانسان ، وانضباطه ، والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل . وشتان ما بين اثنين : أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على عمل او قول ، ولا يقيده غير مصلحته الذاتية . وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الانسان امام أعدل الحاكمين فيثاب على الخير ، ويعاقب على الشر ؛ فلا ريب أن الأول منفلت من اى ضابط فيما عدا الشهوة والهوى ،والغاية عنده تبرر أية وسيلة واى خلق ، واى عمل . أما الآخر فهو منضبط فى حدود الحق والخير والصلاح والتقوى رجاء ثواب الله تعالى فى الآخرة (٢) .

وكما ربط القرآن بين الايمان بالله والايمان باليوم الآخر ، قرن - فى غير ما آية - العمل الصالح بالايمان باليوم الآخر ؛ اشعارا بوثاقة الارتباط بينهما ، وأن أحدهما دافع وحافز للآخر ، والعمل الصالح هو الثمرة المباركة لهذه الايمان ، قال تعالى :

---

(١) سيد قطب ، الظلال ، جـ٦ ص ٢٣٥٨ ، طبعة الشروق .

(٢) د . نعيم ياسين ص ٩١ - ٩٣ د . عبد الحميد مدكور : (مذكرات فى علم الكلام) ، وعباس العقاد : (الفلسفة القرآنية) ص ٢١٠ ، ووحيد الدين خان : (الاسلام يتحدى) ص ٨٣ - ٨٤ .

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » (١) .

« والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون »(٢).

كما يقرن القرآن العمل السيء بالكفر باليوم الآخر فى غير ما آية ، يقول تعالى :

« ارايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » (٣) .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » (٤) .

عقيدة البعث عقيدة الرسل كلهم من آدم الى محمد :

ولما كان منكرو اليوم الآخر كثيرين ، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، - بعث هو والساعة كهاتين ، وكان هو الحاشر المقفى ، بيّن تفصيل الآخرة بيانا لا يوجد فى شىء من كتب الأنبياء ؛ حتى ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم انه لم يخبر بالبعث والمعاد الا محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا غير صحيح ؛ لأن القيامة معروفة عند الأنبياء من آدم ، الى نوح ، الى ابراهيم ، وموسى وعيسى وغيرهم ، عليهم السلام . بل ان الله قد أخبر بها من حين أهبط آدم (٥) ، فقال تعالى :

« قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون ، ومنها تخرجون » (٦) .

ونوح عليه السلام قال : « والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا » (٧) .

وقد اخبر به كل رسل الله تعالى ، بل ان النذارة بلقاء هذا اليوم كانت من صميم رسالة جميع الرسل عليهم السلام ، وقد أخبر الله عن

---

(١) التوبة ١٨ .
(٢) الأنعام ٩٢ .
(٣) الماعون : أول السورة .
(٤) المجادلة ٢٢ .
(٥) شرح الطحاوية ص ٣٩٧ .
(٦) الأعراف ٢٤ - ٢٥ .
(٧) نوح ١٧ - ١٨ .

أهل النار انهم اذا قال لهم خزنتها : « الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ! » (١) •

الغناء والاعادة ممكنان عقليان :

قد ثبت بالبراهين العقلية والمادية الحسية معا حدوث العالم ؛ فالتغير الجارى والمستمر على الوجود دليل على حدوثه ، وان حدوثه دليل على جواز فنائه وعدم استحالة ذلك •

كما أن قانون الطاقة المتاحة ـ وهو قانون علمى ثابت مبرهن ـ يقطع بان الحرارة تنتقل دائما من وجود حرارى الى آخر غير حرارى •• واستمرار انتقال الحرارة من الاجسام الحارة الى غير الحارة ، سيترتب عليه أن : تتساوى حرارة جميع الموجودات ؛ بحيث لا تبقى اية طاقة مفيدة للحياة والعمل ؛ فتنتهى العمليات الكيماوية الطبيعية ، وعندها تنتهى الحياة تلقائيا •• فهذا القانون يبطل بقاء العالم بلا انتهاء •• أى أن هذا برهان علمى على انتفاء أبدية هذا العالم وانه سيفنى ، ولابد • وهو فى نفس الوقت برهان على عدم أزلية العالم ، اذ أن هذه الطاقة لم تز لباقية ، وكذلك المواد المشعة ـ التى يتناقص اشعاعها ـ لم يزل اشعاعها ـ رغم التناقص ـ باقيا ، فلو كان هذا العالم بلا بداية ، اى أزليا ، لكان اشعاعه قد انتهى منذ زمن بعيد •

واثبات المعاد لا يوجب تناقضا عقليا ، وكل ما لا يوجب تصور وقوعه تناقضا عقليا ، فهو من قبيل الجائز الممكن ، فتصور وقوع المعاد جائز عقلى ، غير واجب أو مستحيل فى العقل الخالص •

أدلة الايمان بالبعث (★) :

الايمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة ، والعقل والفطرة

(★) قد ظهر لنا من خلال سؤال ابراهيم عليه السلام ربه أن يريه : (كيف يحيى الموتى) أن أمر البعث او (احياء الموتى) يحتاج المؤمن =

(١) الزمر ٧١ •

السليمة ، فاخبر الله سبحانه عنه فى كتابه العزيز ، وأقام الدليل عليه ، ورد على منكريه فى غالب سور القرآن (١) . بل ان كل رسول من رسل الله قد أنذر قومه لقاء هذا اليوم .

قـال تعالى :

« **الله لا اله الا هو ليجمعنكم ليوم الجمع لا ريب فيه** » (٢) .

« **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيد** » (٣) .

بل قد امر الله نبيه محمدا أن يقسم به على وقوع البعث :

« **وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة . قل : بلى وربى لتاتينكم عالم الغيب** » (٤) .

« **زعم الذين كفروا الن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن** » (٥) .

ولئن كان الايمان بالبعث دعوة الرسل جميعا ، فان من يكذب به ، يكذب بالرسل جميعا ، ويكفر بالله رب العالمين .

والمنكرون للبعث ليس لهم دليل على انكارهم ؛ ذلك انه أمر من أمور الغيب الذى لا يعلمه الا الله ، وأمور الغيب عامة لا يملك احد اثباتها أو انكارها الا بطريق واحد ، لا ثانى له ؛ هو الوحى ؛ اخبار الله عالم

=

به الى طمأنينة القلب . (قال : أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) .

فابراهيم عليه السلام ، طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، وهو مؤمن بذلك مصدق به معتقد له ، لكن قلبه بحاجة الى اطمئنان .. وفى ضوء ذلك نفهم سر اهتمام القرآن بامر البعث ، واحياء الموتى ، وتصريف البراهين ، وتكثيف الأدلة ، وحشدها ، للكفار النفاة والمؤمنين معا .

(١) عقيدة المؤمن ص ٢٢٣ .
(٢) النساء ٨٧ .
(٣) النساء ١٣٦ .
(٤) سبا ٣ .
(٥) التغابن ٧ .

العيب ، به . واذا كان ذلك كذلك ، فان الرسل ـ الذين قامت البراهين والحجج على تلقيهم من عند الله مجمعون على الاخبار به ، فانكاره اذا مكابرة وعناد لا يستند الى عقل ، ولا يرتكز على دليل . وكل ما عند منكرى البعث ـ على كثرتهم الكاثرة ـ شبهات وشكوك ، واستبعاد واستغراب واستعظام لأمر البعث بعد الموت ، وقد دحض القرآن هذه الشبهات وردها ، وكشف تهافتها ووهاءها وسقوطها فى آيات كثيرة عديدة ، قال منكرو البعث كما أخبر الله عنهم :

« أاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد » (١) .

« وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (٢) .

« وقالوا أاذا كنا رفاتا أانا لمبعوثون خلقا جديدا » (٣) .

وقد جاءت أدلة القرآن على البعث والمعاد أو الحياة الآخرة أدلة براهنية يقينية واضحة سهلة ملزمة ، لا يملك المتلقى حيالها غير التسليم والاذعان ؛ من هذه الأدلة :

١ ـ **الاحالة على القدرة** : أى ان الذى خلق هذه العوالم التى لا تحد ولا تحصر ولا تعد ، فى عظمتها ، واتقانها ، وتوازنها ، وخلوها من العيب والأمت والنقص والفطور لقادر ، عقلا ، على اعادة حياة الناس بعد موتهم وفناء أجسامهم ، قال تعالى :

« لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٤) .

« أانتم اشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها .... الآيات » (٥) .

« أو لم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض ، ولم يعى بخلقهن ، بقادر على أن يحيى الموتى انه على كل شىء قدير » (٦) .

---

(١) ق / ٣ .
(٢) الجاثية / ٢٤ .
(٣) الاسراء / ٤٩ .
(٤) المؤمن / ٥٧ .
(٥) النازعات ٢٧ ـ ٣٢ .
(٦) الأحقاف ٣٣ .

٢ ـ **المعارضة بالابتداء** : أى أن الشىء اذا لم يكن ، ثم كان ، واعدم ، كان اعادته أيسر وأهون على من بداه أول مرة ، ثم اعدمه وافناه ، يقول تعالى :

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ! أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟! بلى . وهو الخلاق العليم » (١) .

يعلق الحليمى على هذين الدليلين قائلا :

« وكل واحد منهما يلزم منكرى البعث أشد اللزوم ؛ **اما أحدهما** : فلأن الانسان أحد الحيوانات ، فينبغى أن يكون خلق الأرض نفسها بما يحيط بها من السموات أكبر من خلق الانسان مبتدأ ومعادا . فاذا كان الله قد خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهما ، فأولى أن يقدر على خلق الانسان مبتدأ ومعادا .

وأما الآخر : فلأن الاعادة ليس منها الا ما فى الابتداء ، فاذا جاز أن يخلق آدم من حما مسنون ، ثم جعله صلصالا كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح ، فجعله لحما ودما وعظاما وعروقا وأعصابا ، فلم لا يجوز أن يجعل الأموات منه ومن ولده ترابا ، ثم يخلقهم منه مرة أخرى بشرا كما خلق آدم أولا .

ويرى الحليمى أن هاتين الحجتين على من اعترف بالبارى جل جلاله وابتدائه الخلق ، وأما من بلغت به (الزناخة) أن يجحد البارى جل جلاله فانما يكلم فى اثباته أولا (٢) .

وقد لفتت هذه الآيات الكريمة نظر العلماء (٣) الى ما فيها من

---

(١) يس ٧٨ ـ ٨١ .

(٢) المنهاج ص ٣٤٧ ويلاحظ أن الحليمى يعلق ـ فى الدليل الثانى ـ على آية واحدة فقط هى : **(قل يحيها الذى انشاها أول مرة)** .

(٣) انظر تعليق الكندى الفيلسوف (الرسائل) بتحقيق الدكتور ابو ريدة ، وقد نقلناه فى كتابنا : (تاملات حول وسائل الادراك فى القرآن) .

ايجاز مع وضوح الأدلة ، وصحة البراهين ، يقول شارح الطحاوية معلقا عليها :

« فلو رام أعلم البشر ، وأفصحهم ، وأقدرهم على البيان ، ان يأتى بأحسن من هــذه الحجة ، أو بمثلها ، بألفاظ تشابه هــذه الألفاظ ـ فى الايجار ووضوح الأدلة ، وصحة البرهان ، لما قدر ؛

فانه سبحانه ـ افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد ، اقتضى جوابا ، فكان فى قوله : (ونسى خلقه) : ما وفى بالجواب ، واقام الحجة ، وازال الشـــبهة ٠

ولمـــا أراد الله سبحانه تأكيد الحجة ، وزيادة تقريرها ، قال : (قل يحييها الذى أنشاها اول مرة) ، فاحتج بالابداء على الاعادة ، وبالنشاة الأولى على النشاة الآخرى ؛ اذ كل عاقل يعلم علما ضروريا أن من قدر على هذه ، قدر على هذه ، وانه لو كان عاجزا عن الثانية ، لكان عــن الأولى أعجز واعجز ٠

ولمـــا كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق ، وعلمه بتفاصيل خلقه ، اتبع ذلك بقوله : (وهو بكل خلق عليم) ٠ فهو عليم بتفاصــيل الخلق الأول وجزئياته ، ومواده ، وصورته ، فكذلك الثانى ٠ فاذا كان تام العلم ، كامل القدرة ، كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم ؟!

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة ، وبرهان ظاهر ، يتضمن جوابا عــن سؤال ملحد آخر ـ يقول : العظام اذا صارت رميما ، عادت طبيعتها باردة يابسة ، والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة ـ بمـــا يدل على أمر البعث ؛ ففيه الدليل والجواب معا ، فقال : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) ٠ فأخبر سبحانه باخراج هذا العنصر ، الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة ، من الشجر الأخضر الممتلىء بالرطوبة والبرودة ٠ فالذى يخرج الشىء من ضده ، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ، ولا تستعصى عليه ، هو الذى يفعل ما انكره الملحد ودفعه ، من احياء العظام وهى رميم ٠

ثم اكد هذا باخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم ، على الأيسر الاصغر ، فان كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل ، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر · فمن قدر على حمل قنطار ، فهو على حمل اوقية اشد اقتدارا ، فقال : **(اوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم)** فاحبر أن الذى أبدع السموات والأرض - على جلالتها ، وعظم شانهما ، وكبر أجسامهما وسعتهما ، وعجيب خلقهما ، اقدر على أن يحيى عظاما قد صارت رميما ، فيردها الى حالتها الاولى ···· ، ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آحر ، هو أنه ليس فعله بمنزلة غيره ، الذى يفعل بالآلات والكلفة ، والنصب والمشقة ، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل ، بل لابد معه من آلة ومعين ، بل يكفى فى خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه بنفس ارادته وقوله للمكون : **(كن)** ، **فاذا هو** كائن كما شاءه واراده ·

ثم ختم هذه الحجة باخباره أن ملكوت كل شيء بيده (١) ، فيتصرف فيه بفعله وقوله **(واليه ترجعون)** ·

٣ - الاحتجاج بما يشاهد من احياء الله تعالى الأموات ، وهو واقع فى ثلاثة أشياء ؛ **احدهما** : الأرض تكون حية تنبت وتثمر ، وتموت فتصير الى الا تنبت وتبقى خاشعة هامدة ·· أما حياتها فبالماء ينزل عليها ، فتحيا ، وعلامة حياتها أن تهتز - تتحرك وتربو - وتنبت الزرع · والله عز وجل هن الفاعل للأمرين والمصرف لها على الحالين ، فاذا قدر على ذلك لم يعجزه أن يميت الانسان ، أو يسلبه معانى الحياة ثم يعيدها اليه ويجعله كما كان ·

والثانى : أن الله احتج على عباده بقوله : **(كنتم امواتا فاحياكم)** (٢) يعنى نطفا فى الأصلاب والأرحام ، فجعلكم منها بشرا تنتشرون وقال : « **الم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه**

---

(١) شرح الطحاوية ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط ص ٤٠٠ - ٤٠١ ·
(٢) بقرة ٢٨ ·

الزوجين الذكر والأنثى ، اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى » (١) ٠

فاعلمهم انه اذا أخرج النطفة من صلب الأب قد صارت ميتة ، ثم انه عز وجل يجعلها حية ، فيخلق من خلق منها ، ويركب الحياة فيه ، **فهذا احياء ميت فى المشاهدة** ٠ فمن يقدر على هذا لا يعجز عن أن يميت هذا الخلق ، ثم يعيده حيا ٠

والثالث : قوله عز وجل : (**ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت**) (٢) فان الحب والنوى اذا جفا ويبسا ، كانا ميتين لا يتحركان ولا ينموان ، ثم انهما اذا أودعا الأرض الحية فلقهما الله تعالى ، وأخرج منهما ما يشاهد من النخيل والزرع حيا ينشا ويثمر الى أن يبلغ غايته (٣) ٠

٤ ـ الاستدلال بنوم الانسان والحيوان واستيقاظهما ، فالنوم موت أصغر ، والاستيقاظ بعث أصغر ان جاز لنا هذا التعبير ـ فكما تتم عملية النوم للانسان والحيوان ، ثم تتم عملية الاستيقاظ ، كذلك تتم عملية الموت ثم البعث ، قال تعالى : **« وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ، ليقضى اجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون »** (٤) ٠

٥ ـ أنه ضرورة اذ به يصبح للخلق معنى وحكمة ، وبه يظهر أن الله لم يخلقنا عبثا ولم يتركنا سدى ٠ لأن الانسان ان لم يجز على كل أعماله فى هذه الحياة قبل موته فى هذه الدار ، وجب أن يكون فى دار أخرى بعد الموت ٠٠ ولأن الله لا يعبث ، فقد أمر الناس ونهاهم ، وكلفهم ، وشرع لهم فهو لم يخلقهم سدى ، فلابد من المعاد اليه ليجزى الناس بما كانوا يعملون ، ويوفى لهم أجورهم ٠٠ وان احساس الانسان بانه لم يخلق عبثا ، ولم يترك سدى ، يثمر فى نفسه شعورا بأن له قيمة وأن لحياته معنى ومغزى وأنه مسئول ، فهو ليس ذرة شاردة فى هذا الوجود كما صوره بعض قصار النظر من الفلاسفة ٠

---

(١) القيامة ٤٠ ٠

(٢) الأنعام ٩٥ ٠

(٣) الأنعام ٦٠ ٠

(٤) المنهاج ص ٣٥٠ ٠

« افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » (١) .

« ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٢) .

ويرى الحاكم الحليمى أن الله سبحانه قد « دل بهاتين الآيتين على أن البعث واجب فى حكمته ، كما دل بغيرها على أنه جائز فى قدرته » (٣) .

والناس يعيشون فى هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتا كبيرا فى أرزاقهم ، وآجالهم ، وصحتهم وسقمهم ، وأعمالهم ، وفى سعادتهم وشقاوتهم ، فمنهم الظالم الغشوم ، ومنهم المظلوم المهصوم ، ومنهم الصحيح السليم ، ومنهم المريض السقيم ، ومنهم الغنى الثرى ، ومنهم الفقير المعدم ، ومنهم العزيز ، ومنهم الذليل ، ومنهم المحسن ومنهم المسىء ، الى آخر هذا التفاوت والاختلاف .

فلو انهم يموتون ولا يبعثون ، ولا يثابون أو يعاقبون ، لكان ذلك مجانبا للحكمة ، مجانبا للعدل ، والرحمة ، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء ، وحكم بهما ، فهما كائنان لا محالة ، فقد امر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقسم به عليهما (٤) :

تفاصيل احداث اليوم الآخر :

المؤمن بالله واليوم الآخر ، عليه أن يصدق بكل ما ذكر فى القرآن الكريم والسنة المطهرة من أحوال ووقائع تقع فى اليوم الآخر أو تمهد له ، لا يزيد عليها ولا ينقص منها .

عليه أن يؤمن باشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى التى ذكرت فى القرآن والسنة ، وان يؤمن بما يكون فى القبر مما ورد فى السنة ، وكذلك

---

(١) المؤمنون ١٥٠ .
(٢) القيامة ٣٦ .
(٣) المنهاج ص ٣٥٤ جـ ١ .
(٤) سورة التغابن ٧ ، وانظر عقيدة المؤن ص ٣٣٠ وقارن : د . مدكور : مذكرات ، ووحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، السيد سابق : العقائد الاسلامية ، ونعيم ياسين : الايمان .

الحشر ، والشفاعة ، والحساب ، والصحف ، والميزان ، والصراط ، والجنان وما أعده الله للمؤمنين فيها ، والنيران وما اشتملت عليه .. وباختصار على من يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يعتقد ويصدق بكل ما جاء به الوحى من تفصيلات أحوال اليوم الآخر ، وأن يلتزم باعلام الله واعلام رسوله ، فيقف حيث وقف به ، ولايكلف نفسه ما لم يكلفه الله به ؛ وعن هذه الأحوال وتفاصيلها وأدلتها الشرعية يمكن التزود من مصادر موثوقة عديدة أهمها كتب التفسير والحديث والعقيدة (١) .

---

(١) للتوسع انظر : تفسير ابن كثير والظلام ، وفتح البارى ، وشرح النووى على مسلم ، منهاج الحليمى ، وكتاب البعث والنشور للبيهقى ، والتذكرة للقرطبى ، وفتاوى ابن تيمية ، وكتب ابن القيم ، وشرح الطحاوية .

الأصـــل السادس

الإيمـــان بالقدر

الايمــان بالقــدر

الايمان بالقدر هو الركن السادس من أركان العقيدة كما جاء فى حديث جبريل عليه السلام (١) . والقدر سر عظيم هائل لأنه - فى حقيقته - يقوم على اخلاص التوحيد لله ؛ فالقدر يعنى : أن يوحد المؤمن الرب الخالق الفاعل المريد ، فيقر له بالخلق والأمر ، وان يوحد الوهيته ؛ فيطيع امره ، ويجتنب نهيه ، واثقا بحكمته وعدله وعلمه فالايمان بالقدر : ايجابية تامة فى العمل ، وتسليم كامل بحكمة الله وعدله وعلمه ؛ يورث المؤمن به الرضى والطمانينة نفسا وقلبا وعقلا .

وقبل أن نسترسل فى الحديث نذكر بان من يبحث فى حقيقة القدر يجب أن يستحضر فى ذهنه : أن الله تعالى : فعال لمـا يريد ، وانه لا يسال عما يفعل ، وانه حكيم لا يعبث ، وأنه عادل لا يظلم ، وانه غفور رحيم ، وان له الأولى والآخرة ، وان الكل عبيد له ، ناصيتهم بيده ، له الخلق والأمر والحـكم جميعا .

ما المقصود بالقضاء والقدر ؟

« القدر : اسم لمـا صدر مقدرا عن فعل القادر ، يقال : قدرت الشىء وقدرته بالتخفيف والتشديد ، فهو قدر ، أى : مقدور ومقدر ، كما يقال : هدمت البناء فهو هدم ، أى : مهدوم ، وقبضت الشىء ، فهو قبض أى : مقبوض .

فالايمان بالقدر : هــو الايمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من

---

(١) عندما سال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان ؟ فقال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ، وروى البخارى مثله عن ابى هريرة .

أكساب الخلق ، وغيرها من المخلوقات ، وصدور جميعها عن تقدير منه ، وخلق لها خيرهـا وشرها (١) ٠

وأما قول الله عز وجل : « انا كل شيء خلقناه بقدر » (٢) ، فمعناه : انا كل شيء خلقناه بحسب ما قدرناه قبل أن نخلقه ، اذ كان علمنا به سابقا له ، فأثبتنا منه ما علمناه في أم الكتاب ، وبينا ما هو كائن منه قبل أن يكون ٠ فاذا كان ، كان بحسب ذلك الذى قدرناه ، وفى الوقت الذى قدرناه (٣) ٠

وقد رأى أكثر العلماء أن (القضاء والقدر) بمعنى واحد ، ورأى بعضهم أن القدر علم الله بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل ٠

والقضاء : ايجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وارادته (٤) ٠

وقد عرفهما (الشيخ سيد سابق) تعريفا واحدا ، فقال : « هـو النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والسنن التى ربط بها الأسباب بمسبباتها » (٥) ٠

ويذكرهما الشيخ الجزائرى بمعنى واحد ، فيقول : ومن هنا صح لنا ان نعرف القدر والقضاء بأنهما : علم الله تعالى الأزلى بكل ما أراد ايجاده من العوالم ، والخلائق ، والأحداث ، والأشياء وتقدير ذلك الخلق ، وكتابته فى الذكر الذى هو اللوح المحفوظ (والامام المبين) كما هـو ، حين يقضى بوجـوده فى كميته ، وكيفيته ، وصفته ، وزمانه ، ومكانه ، واسبابه ، ومقدماته ، ونتائجه ، بحيث لا يتاخر شيء من ذلك عن ابانه ،

---

(١) البيهقى : الاعتقاد والهداية ، ص ٨٣ ٠

(٢) النســاء ٧٩ ٠

(٣) الحليمى فى المنهاج ص ٣٢٨ جـ ١ ٠

(٤) يرى محيى الدين بن عربى أن القضاء : هو حكم الله الذى ينفذ فى الأشياء أما القدر : فهو ما يترتب على وجود شيء معين من آثار تنتقل منه الى شيء أو الى أشياء أخرى ، الفتوحات المكية جـ ٣ ص ١١٢ ، انظر رسالتنا عن الأسباب والمسببات ص ٣١٥ وما بعدها ٠

(٥) العقائد الاسلامية ص ٩٥ ٠

ولا يتقدم عما حدد له من زمان ، ولا يتبدل فى كميته **بزيادة أو نقصان** ، ولا يتغير فى هيئة ، ولا صفة ، بحال من الأحوال ، **وذلك** :

أولا : لسعة علم الله تعالى الذى علم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان ، كيف كان يكون ، وعظيم قدرته ، عز وجل التى لا يحدها شىء ، ولا يعجزها شىء ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وثانيا : لربطه تعالى الوجود كله بقانون السنن الذى يحكم كل أجزاء الكون علوية وسفلية على حد سواء ، هذان هما القضاء والقدر اللذان لا ينكرهما الا مكابر جاحد ، أو جاهل معاند ، اذ هما يتجليان فى شكل قوانين ثابتة تشمل كل كائن فى هذا الوجود من الفلك الى النور والحلك ، ومن الانسان الى الحيوان ، ومن النبات الى الجماد (١) ولنستمع بقلوب واعية الى الخلاق العليم وهو يقول :

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ، ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٢) .

« والأرض مددناها ، والقينا فيها رواسى ، وانبتنا فيها من كل شىء موزون ، وجعلنا فيها معايش ومن لستم له برازقين ، وان من شىء الا عندنا خزائنه ، وما ننزله الا بقدر معلوم » (٣) « انا كل شىء خلقناه بقدر » (٤) « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » (٥) « وكان أمر الله قدرا مقدورا » (٦) « والذى قدر فهدى » (٧) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كتب ربكم مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض ، بخمسين الف سنة ، وكان عرشه على الماء » (٨) .

---

(١) الجزائرى / عقيدة المؤمن ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .
(٣) الحديد ٢٢ .
(٢) الحجر ١٩ - ٢١ .
(٤) القمر ٤٩ .
(٥) الفرقان ٢ .
(٦) الأحزاب ٣٨ .
(٧) الأعلى ٣ .
(٨) رواه مسلم .

ويروى ان الوليد دخل على ابيه عبادة بن الصامت ، وهو مريض ، فقال له : يا أبت أوصنى واجتهد ، فقال : انك لن تجد طعم الايمان ، ولن تبلغ حقيقة الايمان حتى تؤمن بالقدر ؛ خيره وشره ، قلت : كيف لى أن أعلم خيره وشره ؟ قال : تعلم أن ما اخطاك لم يكن ليصيبك ، وان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول شىء خلقه الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، فجرى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » (١) ٠

النهى عن التعمق والتنقير عن القدر وحقيقته وسره :

على المؤمن أن يعتقد أن الايمان ركن من اركان العقيدة وأصل من أصول الايمان ، وأنه أمر غيبى ، نتلقى خبره عن الوحى ، فما علمناه عن الوحى (القرآن والسنة) من أمر القدر ، هو الذى يلزمنا العلم به والتصديق والاعتقاد فيه ، دون بحث فى تفاصيل لم يرد بها الوحى ، أو تزيد وافتئات ، أو تفريط وتقصير ، ولنعلم أن الله تعالى اخبرنا من امور الغيب على قدر ما يتوقف عليه صلاح أمرنا من ناحية ، وعلى قدر استطاعتنا ادراكه والاحاطة به من ناحية اخرى ٠

وبالجملة يقال : ان الايمان بالقدر مبنى على الايمان بالله وتوحيده ، فمن آمن بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، استجاب لأمره واجتنب نهيه ، ومما أمر الانسان به الايمان بالقدر ، ومما نهى عنه الغلو والتنقير والتعمق فى البحث عن سره وكنهه وحقيقته ٠

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا ذكر القدر فامسكوا » (٢) ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر ، قال : فكأنما تفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب ، قال : فقال لهم : مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم » (٣) ٠

---

(١) رواه ابو داود والترمذى واحمد ٠
(٢) رواه الطبرانى باسناد حسن ٠
(٣) رواه احمد وابن ماجه ٠

ويذكر محمد بن الحسين الآجرى : فان سائلا سال عن مذهبنا فى القدر ؟ فالجواب فى ذلك : أنا ننصح للسائل ، ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر ، لأن القدر سر من سر الله عز وجل ، بل الايمان بما جرت به المقادير من خير أو شر : واجب على العباد أن يؤمنوا به ، ثم لا يامن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد ، فيضل عن طريق الحق (١) .

ويرى الامام الطحاوى أن « أصل القدر سر الله تعالى فى خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبى مرسل . والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك ، نظرا وفكرا ووسوسة ، فان الله تعالى عمى القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى : « لا يسال عما يفعل وهم يسالون » فمن سال : لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين . فهذا جملة ما يحتاج منه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى ، وهى درجة الراسخين فى العلم ، لأن العلم علمان ؛ علم فى الخلق موجود ، وعلم فى الخلق مفقود ، فانكار العلم الموجود كفر ، وادعاء العلم المفقود كفر ، ولا يثبت الايمان الا بقبول العلم الموجود ، وترك طلب العلم المفقود » (٢) .

ربط القدر بالأسباب والمسببات :

أما ابن رشد فيرى ان مسالة القدر من اعوص المسائل الشرعية (٣) . ويقدم ابن رشد تصورا لمسالة القدر أسسه على مبدأ السببية ، فقال : يظهر أن الله تبارك وتعالى قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هى أضداد ، لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء لا يتم الا بمواتاة الأسباب التى سخرها

---

(١) الآجرى : الشريعة ص ١٤٩ .

(٢) أبو جعفر الطحاوى : العقيدة ، شرح وتعليق ناصر الدين الألبانى ، ط ١ سنة ١٣٩٨ هـ المكتب الاسلامى ص ٣٢ - ٣٤ .

(٣) مناهج الأدلة ، وابن رشد وفلسفته الدينية للدكتور محمود قاسم ، وانظر رسالتنا للدكتوراه عن (الأسباب والمسببات) ص ١٧٠ .

الله لنا من خارج وزوال العوائق عنها ، كانت الأفعال المنسوبة الينا تتم بالأمرين جميعا ٠

واذ كان ذلك كذلك ، فالأفعال المنسوبة الينا - أيضا - يتم فعلها بـ : ١ - ارادتنا ، و ٢ - موافقة الأفعال التى من خارج لها ؛ وهى المعبر عنها : بقدر الله ٠

وهذه الأسباب التى سخرها الله من خارج ، ليست متممة للأفعال التى نروم فعلها ، أو عائقة عنها فقط ؛ بل وهى السبب فى أن نريد احد المتقابلين ٠ فان الارادة انما هى شوق يحدث لنا عن تخيل ما ، أو تصديق بشىء ، وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا ؛ بل هو شىء يعرض لنا عن الأمور التى من خارج ٠

مثال ذلك : انه اذا ورد علينا أمر مشتهى من خارج ، اشتهيناه ، بالضرورة ، من غير اختيار ، فتحركنا اليه ، وكذلك اذا طرأ علينا أمر مهروب عنه ، من خارج ، كرهناه بالضرورة ، فهربنا منه ٠ واذا كان هذا هكذا ، فارادتنا محفوظة بالأمور التى من خارج ، ومربوطة بها (١) ٠

وخلاصة رأى ابن رشد : أن الأفعال الارادية أو الاختيارية ، التى يقوم بها الانسان ، تتوقف - ضرورة - على الأسباب الخارجية ٠ ومعنى هذا أن أفعال الانسان ليست اختيارية تماما ، ولا جبرية تماما ، وانما هى تجمع بين الجبر والاختيار ، فى آن واحد ؛ لأنها تتوقف على : ارادتنا ، وعلى الأسباب الخارجية (٢) ٠

فالنظام فى الكون - عند أبى الوليد - هو ما يطلق عليه : اسم القضاء والقدر ٠ أى علم الله بالأشياء ثم اختراعها أو ايجادها وفقا لهذا العلم ٠ يقول : « والنظام المحدود فى الأسباب الداخلة والخارجة - اعنى التى

---

(١) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٢٢٧ ، وله تلخيص كتاب الخطابة ، ص ٧٨ بتحقيق د ٠ محمد سليم سالم ، نشر الهيئة المصرية ٠

(٢) انظر لنا : (الأسباب والمسببات) ص ١٧٤ وما بعدها ٠

لا تخل - هو القضاء والقدر الذى كتبه الله على عباده ، وهو اللوح المحفوظ » (١) .

ومما يلاحظ ان كثيرا من الباحثين قد رضى بمناقشة ابن رشد وحله هذا ، يقول واحد من المعاصرين (٢) : « ونستطيع أن نتصور - مجرد تصور - ان القدر هو الأسباب التى أودعها الله سبحانه فى المخلوقات بحيث لو جرت الأسباب الى غاياتها ، لنتج عنها مسبباتها التى تلازمها ، والتى لا تتخلف أبدا » .

درجات القدر :

يقول ابن تيمية (٣) : الايمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى : الأولى : الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون - بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا - وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال ، ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق .

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون فى مواضع جملة وتفصيلا ، فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء ، واذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه ، بعث اليه ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات : كتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ، .. فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ، ومنكره اليوم قليل .

---

(١) مناهج الأدلة ص ٢٨٨ .

(٢) الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، القضاء والقدر ص ١٥٠ ط دار المعرفة ، وانظر (أبو بكر الجزائرى) والشيخ (محمد الغزالى) فى « عقيدة المسلم » ، و (الشيخ الشعراوى) فى « عقيدة المسلم » أيضا ، والدكتور محمود قاسم فى (ابن عربى) والدكتور كمال جعفر فى (التصوف) وغير ذلك .

(٣) الفتاوى جـ ١ ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وأما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الايمان بان ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وانه ما فى السموات والأرض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه ، ولا يكون فى ملكه الا ما يريد ، وانه سبحانه وتعالى على كل شىء قدير من الموجودات والمعدومات .

ومع ذلك ، فقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسله ، ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين ، والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يامر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق افعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلى والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم ارادة ، الله خالقهم ، وخالق قدرتهم وارادتهم ، كما قال تعالى : « لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين .. ».

وهذه الدرجة من القدر ، يكذب بها عامة القدرية ، الذين سماهم النبى صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ، ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن افعال الله واحكامه ، حكمها ومصالحها » (١) .

ويذكر ابو حامد الغزالى :

« ان الله قد خلق القدرة والمقدور جميعا ، وخلق المختار والاختيار جميعا ، فأما القدرة فوصف للعبد خلق للرب ، وأما الحركة فخلق للرب وصف للعبد وكسب له . ويقول : واعلم ان من ظن أن الله تعالى أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وأمر ونهى ، ووعد وتوعد ، لغير قادر مختار ، فهو مختل المزاج يحتاج الى علاج » (٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى .
(٢) احياء علوم الدين جـ ١ ص ١٢٠ ، الرسائل ص ٢٧٣ .

ويذكر الطحاوى أن : « على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه فى كل كائن من خلقه ، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ، ليس فيه ناقض ، ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير ، ولا ناقص ولا زائد من خلقه فى سماواته وأرضه ، وذلك من عقد الايمان ، وأصول المعرفة ، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته ، كما قال تعالى فى كتابه : « **وخلق كل شىء فقدره تقديرا** » (١) ، « **وكان أمر الله قدرا مقدورا** » (٢) .

فويل لمن صار لله تعالى - فى القدر - خصيما ، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما ، لقد التمس - بوهمه - فى فحص الغيب سرا كتيما ، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما » (٣) .

أما الآجرى فيذكر رايه فى القدر ، قائلا :

« **اعلموا أن مذهبنا فى القدر أن نقول : ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق النار ، ولكل واحدة منهما أهلا ، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ، ثم خلق آدم عليه السلام ، واستخرج من ظهره كل ذرية هو خالقها الى يوم القيامة ، ثم جعلهم فريقين : فريق فى الجنة وفريق فى السعير . وخلق ابليس ، وأمره بالسجود لآدم عليه السلام ، وقد علمَ أنه لا يسجد للمقدور الذى قد جرى عليه من الشقوة التى قد سبقت فى العلم من الله عز وجل . ولا معارض لله الكريم فى حكمه ، يفعل فى خلقه ما يريد ، عدلا من ربنا قضاؤه وقدره .**

وخلق آدم وحواء عليهما السلام ، للأرض خلقهما ، اسكنهما الجنة وأمرهما أن ياكلا منها رغدا ما شاءا ، ونهاهما عن شجرة واحدة لا يقربانها ، وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه باكلهما من الشجرة . فهو تبارك وتعالى فى الظاهر ينهاهما ، وفى الباطن من علمه قد قدر عليهما أنهما ياكلان منها : « لا يسال عما يفعل وهم يسالون » ، لم يكن لهما بد من

---

(١) الفرقان ٢ .
(٢) الأحزاب ٣٨ .
(٣) العقيدة الطحاوية ص ٣٣ - ٣٤ .

أكلهما ؛ سببا للمعصية وسببا لخروجهما من الجنة ، اد كانا للأرض خلقا ، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية ، كل ذلك سابق فى علمه ، لا يجوز أن يكون شىء يحدث فى جميع خلقه الا وقد جرى مقدوره به ، واحاط به علما قبل كونه ، أنه سيكون ٠

خلق الخلق كما شاء لما شاء ، فجعلهم شقيا وسعيدا ، قبل أن يخرجهم الى الدنيا ، وهم فى بطون امهاتهم ، وكتب آجالهم وارزاقهم ، وكتب أعمالهم ، ثم أخرجهم الى الدنيا ، وكل انسان يسعى فيما كتب لـه ، وعليـه ٠

ثم بعث رسله ، وانزل عليهم وحيه ، وامرهم بالبلاغ لخلقه ، فبلغوا رسالات ربهم ، ونصحوا قومهم ، فمن جرى فى مقدور الله أن يؤمن آمن ، ومن جرى فى مقدوره أن يكفر ، كفر ٠ قال تعالى : « **هو الذى خلقكم ، فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير** » ٠

أحب من أراد من عباده ، فشرح صدره للايمان والاسلام ٠ ومقت آخرين ، فختم على قلوبهم ، وعلى سمعهم وعلى ابصارهم ، فلن يهتدوا ابدا ، « **يضل من يشاء ويهدى من يشاء** » و « **لا يسال عما يفعل** » ٠

الخلق كلهم له ، يفعل فى خلقه ما يريد ، غير ظالم لهم ، جل ذكره عن أن ينسب ربنا الى الظلم ، انما يظلم من ياخذ ما ليس له بملك ٠ وأما ربنـا ، عز وجل ، فله ما فى السمـاوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وله الدنيا والآخرة ، جل ذكره ، وتقدست اسماؤه ، أحب الطاعة من عباده ، وامر بها ، فجرت ممن اطاعه بتوفيقه لهم ٠

ونهى عن المعاصى ، واراد كونها من غير محبة منه لها ولا للأمر بها تعالى الله عز وجل ، أن يامر بالفحشاء أو يحبها ، وجل ربنا وعز أن يجرى فى ملكه ما لم يرد أن يجرى ، أو شىء لم يحط به علمه قبل كونه ٠

قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وبعد أن يخلقهم ، قبل أن يعلموا قضاء وقدرا ، قد جرى القلم بامره عز وجل ، فى اللوح المحفوظ

بما يكون من بر أو فجور . يثنى على من عمل بطاعته من عبيده ، ويضيف العمل الى العباد ، ويعدهم عليه الجزاء العظيم . ولولا توفيقه لهم ، ما عملوا ما استوجبوا به منه الجزاء : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » . وكذا ذم قوما عملوا بمعصيته ، وتوعدهم على العمل بها وأضاف العمل اليهم بما عملوا ، وذلك بمقدور جرى عليهم ، يضل من يشاء ويهدى من يشاء ... قال الآجرى : هذا مذهبنا فى القدر الذى سال عنه السائل . فان قال : ما الحجة فيما قلت ؟

قيل له : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسنة أصحابه رضى الله عنهم ، والتابعين لهم باحسان ، وقول أئمة المسلمين (١) .

موقف الانسان امام الأقدار :

هنالك امران ، الأول : قدر الله اى علمه ومشيئته وكتابه ولوحه المحفوظ وامامه المبين ، ويجب على المؤمن ان يؤمن به اجمالا . أى أن يؤمن أن لله قدرا مقدورا ولا يكلف المؤمن علم ذلك ، ولا البحث فيه .

والأمر الثانى : فان الله قد أمر الناس باوامر ونهاهم عن محظورات ، وهذا ما يملكون أن يعلموه علما مستيقنا ... ان لله قدرا لا نعرف تفاصيله ولم نكلف بذلك . وان لله أوامر ونواهى ، نملك معرفتها ، ونملك الاستجابة لها وزودنا الله بالاختيار والارادة التى نطيع بها أو لا نطيع .. هذه خلاصة المسالة .

يقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال :

ان الله أمرهم باوامر ، ونهاهم عن محظورات ، وهذا ما يملكون أن يعلموه علما مستيقنا ... فاما مشيئة الله فهى غيب لا وسيلة لهم اليه . فكيف يعلمونه ؟ واذا لم يعلموه يقينا ، فكيف يحيلون عليه ، ... ان لله

---

(١) الآجرى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ : (الشريعة) ص ١٥٠ - ١٥٢ .

أوامر ونواهى معلومة علما قطعيا ، فلماذا يتركون هذه المعلومات القطعية ليمضوا وراء الحدس والخرص فى واد لا يعلمونه .

هذا هو فصل القول فى هذه القضية .. ان الله لم يكلف الناس ان يعلموا غيب مشيئته وقدره ، حتى يكيفوا انفسهم على حسبه . انما يكلفهم أن يعلموا اوامره ونواهيه ليكيفوا أنفسهم على حسبها ... وهم حين يحاولون هذا يقرر الله سبحانه أنه يهديهم اليه ، ويشرح صدورهم للاسلام ... وهذا حسبهم فى القضية ، التى تبدو عندئذ فى واقعها العملى ، يسيرة واضحة ، بريئة من غموض ذلك الجدل وتحكماته .

ان الله قادر - لو شاء - على أن يخلق بنى آدم ابتداء ، بطبيعة لا تعرف الا الهدى ، أو يقهرهم على الهدى ، او يقذف بالهدى فى قلوبهم ، فيهتدوا بلا قهر .. ، ولكنه سبحانه شاء غير هذا ! ، شاء أن يبتلى بنى آدم بالقدرة على الاتجاه الى الهدى أو الضلال ، ليعين من يتجه منهم الى الهدى على الهدى ، وليمد من يتجه منهم الى الضلال فى غيه وفى عميانه .. وجرت سنته بما شاء ....

وبعد : فلقد جاء هذا الدين ليحقق واقعا عمليا ، تحدده أوامر ونواه واضحة ، فالاحالة الى المشيئة الغيبية دخول فى متاهة ، يرتادها العقل بغير دليل ، ومضيعة للجهد الذى ينبغى أن ينفق فى العمل الايجابى الواقعى .

والقضية واضحة ، مصوغة فى أيسر صورة يدركها الادراك البشرى ، أما المعاظلة فيها والمجادلة ، فهى غريبة على الحس الاسلامى ، وعلى المنهج الاسلامى ، .. ولم ينته الجدل فيها فى أية فلسفة أو أى لاهوت (١)

---

(١) راجع كتاب الأستاذ العقاد : (الفلسفة القرآنية) ص١١١-١٤٣، الامام البخارى (خلق أفعال العباد) ، تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية ، شرح العقيدة الطحاوية ، وعقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى ، و (عقيدة المسلمم) للشيخ الشعراوى مكتبة التراث الاسلامى ص ٧ - ٣٢ ، (ايثار الحق على الخلق) لابن المرتضى اليمانى ص ٢٧٨ ،

الى نتيجة مريحة ، لأنه جدل يتناول القضية بأسلوب لا يناسب طبيعتها (١) .

اثر عقيدة القدر على المسلم :

لعقيدة القدر آثارها الايجابية العظيمة فى نفوس المؤمنين بها ، فان الذى يؤمن بالقدر ، يؤمن أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » .

ويؤمن بان « ما اخطاك لم يكن ليصبك ، وما اصابك لم يكن ليخطئك » وأنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها ، هذا الانسان هو وحده الذى يتحرر من العبودية الهابطة السافلة للعباد ، ويتخلص للعبودية الصاعدة المتسامية لرب العباد ، الذى بيده مقاليد كل شىء .. بيده الخلق والأمر .

هذه العقيدة تحرر المؤمنين ، وتنزع من قلوبهم الخوف والجبن والخور والتثاقل ، وهى تسكب السكينة فى نفوسهم ، وتغرس فيهم شجاعة لا نظير لها ولا شبيه .

والايمان بالقدر يجعل المؤمن راضيا فهو مامور اذا أصابه مصيبة مقدرة أن ينظر الى القدر ولايتحسر بتقدير لا يفيد ، ويقول قدر الله وما شاء فعل ، ولا يقول : لو أنى فعلت كذا لكان كذا ، فيقدر ما لم يقع ، يتمنى أن لو كان وقع ، فان ذلك يورث حسرة النفس وحزنا لا يفيد ، والتسليم للقدر هو الذى ينفعه ، كما قال بعضهم : ان الأمور أمران :

● أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه .

دار الكتب العلمية ، و (الوحى المحمدى) للشيخ محمد رشيد رضا ط ٩ المكتب الاسلامى ، الدكتور على المغربى : امام أهل السنة الماتريدى ص ٣٣٦ - ٣٤٤ نشر وهبة ، الدكتور عرفان عبد الحميد : الفرق والعقائد الاسلامية ، ص ٢٥١ - ٢٧٨ ، ط مؤسسة الرسالة . ولتراجع كتب علم الكلام والردود عليهم .

(١) سيد قطب : الظلال ج ٨ ص ١٢٢٧ .

● وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه (١) .

وكما أن الانسان مامور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب ، فهو مامور بذلك عندما ينعم الله عليه من فعل الطاعات ، فيشهد قبل فعلها حاجته وفقره الى اعانة الله له ، ويدعو بالادعية التى فيها طلب اعانة الله له على فعل الطاعات ، .... وهناك أدعية كثيرة تتضمن افتقار العبد الى الله فى أن يعطيه الايمان والعمل الصالح ، فهذا افتقار واستعانة بالله ، قبل حصول المطلوب . فاذا حصل بالدعاء أو بغير الدعاء ، شهد انعام ربه فيه ، وكان فى مقام الشكر والعبودية لله ، وأن هذا حصل بفضله واحسانه ، لا بحول العبد وقوته ... فيتخلص بذلك من العجب والكبر ودعوى القوة والغنى (٢) .

والحق أن آثار هذه العقيدة فى نفوس المؤمنين عظيمة القيمة ؛ منها الصبر والرضى والتسليم والسكينة ، مع الشجاعة والاقدام والتحرر من الخوف والعبودية لغير الله سبحانه . ومنها رؤية الله تعالى فى نعمه وآلائه ومعونته ووافر كرمه وبره ، مع التخلى عن مشاعر الكبر والعجب (٣) .. الخ . فالايمان بالقدر حافز قوى للايجابية والعمل ، والأخذ بالأسباب والتوكل على الله مسبب الأسباب أسبابا ، مع التجافى عن التواكل والخمول والقعود . « فالعبد مامور بأن يجاهد فى سبيل الله ، ويدفع ما قدر من المعاصى ، بما قدر من الطاعة ، فهو منازع للمقدور المحظور ، بالمقدور المامور لله تعالى . وهذا هو دين الله الذى بعث به الأولين والآخرين من الرسل ، صلوات الله عليهم » (٤) .

---

(١) ابن تيمية : الاحتجاج بالقدر ص ٢٧ طبعة أنصار السنة .

(٢) الاحتجاج بالقدر ص ٤٢ ـ ٤٥ ، وانظر مبحث اثر العقيدة فى النفس والمجتمع من هذا الكتاب .

(٣) انظر : للدكتور يوسف القرضاوى ، (الايمان والحياة) وله دراسته القيمة عن (الصبر) وللدكتور نعيم ياسين (الايمان) ص ١٥٦ ـ ١٦٦

(٤) الاحتجاج بالقدر ص ١٢ .

كلمة ختــامية

وبعـــــد :

فانى أحمد الله تعالى أن وفقنى الى كتابة هذه البحوث عن اصول الايمان الستة ، فقد كانت هذه اعز امنياتى منذ سنوات .

وقد نهجت فيها نهج القرآن الحكيم ، وتجافيت كلية عن خلافــات المتكلمين ، وخصومات المتجادلين .

وحرصت على الربط بين تقرير اصول العقائد ، والنظر فى آيـــات الله فى القرآن : (مصدر العقائد) وآيات الله فى الآفاق والأنفس ـ الكون ـ: (مصدر الأدلة على هذه العقائد الايمانية) .

وعنيت بابراز مقتضى هذه العقائد ، عند الحديث عن كل أصل ؛ خصوصا عند الحديث عن توحيد الله تعالى : فهو أصل أصول الدين .

وقد أشرت اشارات عجلى مجملة الى نواقض الايمان ؛ ولأن موضوع نواقض الايمان دقيق وخطير ، فهو بحاجة الى بسط وتفصيل ، ارجو أن افرد له بحثا قائما براسه ان شاء الله تعالى .

وكذلك شعب الايمان ، أو فروعه بحاجة الى دراسة مستوعبة ؛ ينظر فيها الى ما كتبه علماؤنا رحمهم اللـــه ، مثل كتاب : « المنهــاج فى شــعب الايمان » ، والبيهقى فى « شعب الايمان » ، وغيرهم .

هذا ،

وارجو الله تعالى ان يوفقنى لانجاز ذلك ، وأن يعيننى ، ويرزقنى الاخلاص ، وينفع بما اكتب .

والحمد لله أولا وآخرا .

المصـــادر والمراجـــع

أولا : باللغة العربية :

- ابراهيم خليل أحمد (فيلبس سابقا) : محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل مكتبة الوعى العربى .
- ابن أبى شيبة (أبو بكر) : الايمان تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى نشر دار الأرقم بالكويت .
- ابن أبى العز الدمشقى : شرح العقيدة الطحاوية تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ابن برجان الصوفى : شرح أسماء الله الحسنى رسالة ماجستير بدار العلوم .
- ابن البطريق (البطريرك سعيد) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق .
- ابن بطة العكبرى : الشرح والانابة على أصول أهل السنة والديانة تحقيق د . رضا نعسان مصطفى ، سنة ١٩٨٤ م الفيصلية بمكـــة .
- ابن تيمية : الاحتجاج بالقدر طبعة أنصار السنة .
- ابن تيمية : التوحيد تحقيق د . محمد السيد الجليند نشر مؤسسة علوم القرآن .
- ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بـدل دين المسيح نشرة المطبعـــة المدنية بمصر .
- ابن تيمية : الحسنة والسيئة « رسالة ضمن مجموع شذرات البلاتين جمع الشيخ حامد الفقى .
- ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول تحقيق د . محمد رشاد سـالم ط جـامعة الامام بالرياض .
- ابن تيمية : الرد على المنطقيين طبعة الهند .
- ابن تيمية : الرسالة التدمرية ـ المكتب الاسلامى .
- ابن تيمية : رسالة العبودية ـ المكتب الاسلامى (نشرة البانى) .
- ابن تيمية : العقيدة الواسطية وشرحها للأستاذ محمد خليل هراس توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
- ابن تيمية : الفتاوى ـ طبعة الرياض .
- ابن تيمية : الفرقان ـ طبعة مصر .

- ابن تيمية : معارج الوصول الى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول طبع السلفية سنة ١٣٨٧ هـ بمصر .
- ابن تيمية : منهاج السنة ط بولاق .
- ابن تيمية : نقض المنطق ط أنصار السنة المحمدية بمصر ، دار الجيل بلبنان .
- ابن الجوزى : الوفاء بأحوال المصطفى تحقيق مصطفى عبد الواحد نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- ابن حجر العسقلانى : فتح البارى على شرح صحيح البخارى ـ السلفية .
- ابن حزم الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل نشر دار الندوة .
- ابن خزيمة : التوحيد واثبات صفات الرب الطبعة المنيرية الأولى ، تعليق محمد خليل هراس .
- ابن رجب الحنبلى : كلمة الاخلاص وتحقيق معناها نشرة المكتب الاسلامى ط ٤ .
- ابن رشد : تلخيص كتاب الخطابة تحقيق د . محمد سليم سالم نشر الهيئة المصرية .
- ابن رشد : الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، من مجموع رسائل ابن رشد ، تحقيق د . محمود قاسم ط الأنجلو المصرية ط ٣ .
- ابن عبد الوهاب (محمد) : أصول الايمان نشر مكتبة المعارف بالرياض .
- ابن العربى (أبو بكر) : أحكام القرآن ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية .
- ابن عربى : الفتوحات المكية ـ الهيئة العامة للكتاب بتحقيق د . عثمان يحيى .
- ابن فورك : مشكل الحديث .
- ابن القيم : اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ط الحلبى بمصر سنة ١٩٦١ م .
- ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد ـ طبع جامعة الامام محمد بن سعود .
- ابن القيم : شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .
- ابن القيم : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ـ بيروت .

- ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث - بيروت .
- ابن قتيبة : دلائل النبوة - بيروت .
- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ط دار الشعب بمصر .
- ابن منده : الايمان .
- ابو ريان (د . محمد على) : موقف الاسلام من الماركسية - الاسكندرية .
- ابو زهرة (الشيخ محمد) : محاضرات فى النصرانية نشرة الرئاسة العامة للبحوث العلمية فى الرياض .
- أبو نعيم : دلائل النبوة - بيروت .
- الآجرى (محمد بن الحسن) : الشريعة تحقيق محمد حامد الفقى تصوير دار الكتب العلمية بيروت .
- أحمد عزت باشا (المشير) : الدين والعلم نشر لجنة التأليف سنة ١٩٤٨ .
- الاسكندرانى : مسالك النظر فى نبوة سيد البشر . مخطوط - تحت الطبع .
- الاسفرايين (أبو المظفر) : التبصير فى الدين تحقيق كمال الحوت - بيروت .
- الأشعرى : أصول أهل السنة والجماعة (رسالة) وهى مسماة برسالة أهل الثغر تحقيق د . محمد السيد الجلنيد ط التقدم بمصر سنة ١٩٨٧ م .
- الأشقر (عمر سليمان) : الرسل والرسالات .
- الأشقر (عمر سليمان) : عالم الملائكة ط سنة ١٩٧٩ م .
- الأصفهانى (أبو القاسم) : الدلائل - بيروت .
- الأصفهانى (الراغب) : المفردات فى غريب القرآن - بيروت .
- أمزيان (محمد) : منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية وهو رسالة ماجستير بدار العلوم سنة ١٩٨٧ م .
- الأفغانى (جمال الدين) : الرد على الدهريين - القاهرة .
- آل الشيخ (الشيخ عبد الرحمن بن حسن) : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - الرياض .
- الألوسى (د . حسام) : حوار بين المتكلمين والفلاسفة .
- الأندلسى (ابن عطية) : تفسير ابن عطية - طبعة الدوحة .
- الايجى (العضد) : المواقف فى علم الكلام ، تصوير عالم الكتب بيروت .

● أيوب (الشيخ حسن) : تبسيط العقائد الاسلامية ط دار البحوث العلمية ٠
● الباقلانى (أبو بكر بن الطيب) : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به تحقيق زاهد الكوثرى مؤسسة الخانجى سنة ١٩٦٣ م ٠
● الباقلانى (أبو بكر الطيب) : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت سنة ١٩٨٧ م ٠
● البخارى (محمد بن اسماعيل) : خلق أفعال العباد تحقيق د٠ عبد الرحمن عميرة دار المعارف السعودية ٠
● بدران (بدران محمد) : التوراة توزيع دار الأنصار بالقاهرة ٠
● بروبائيف : الاتجاه العام للفلسفة السوفيتية الالحادية ٠ نشرة سنة ١٩٣٣ ٠
● برستيد (جيمس هنرى) : تاريخ مصر ٠
● برستيد (جيمس هنرى) : فجر الضمير ٠
● برنابا : انجيل برنابا ترجمة د ٠ خليل سعادة مطبعة محمد صبيح القاهرة سنة ١٩٥٨ م ٠
● بريل (ليفى) : فلسفة أوجست كنت ترجمة د ٠ محمود قاسم الأنجلو سنة ١٩٥٢ م ٠
● البغدادى (أبو منصور) : أصول الدين ط دار الكتب العلمية بيروت ٠
● البغوى : تفسير البغوى - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ٠
● البكرى (وهيب أحمد) : بولس ودوره فى تحريف النصرانية رسالة ماجستير بكلية الدعوة بالرياض باشراف د ٠ محمد الشرقاوى ٠
● البنا (الشيخ حسن) : مجموع الرسائل نشر دار القلم بيروت ٠
● بوليتزر (جورج) : أصول الفلسفة الماركسية تعريب شعبان بركات ٠ طبع بيروت ٠
● البيهقى : الأسماء والصفات المركز الاسلامى للكتاب ٠
● البيهقى : الاعتقاد والهداية نشرة كمال الحوت عالم الكتب بيروت ٠
● البيهقى : البعث والنشور نشرة الدكتور عبد الفتاح الغاوى والدكتور أحمد يوسف دار العروبة بالكويت ٠

● البيهقى : دلائل النبوة .
● البيروتى (الطاهر) : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية نشر دار الصحوة بالقاهرة ، تقديم وتعليق د محمد عبد الله الشرقاوى .
● الترجمان : تحفة الأريب فى الرد على هل الصليب ، ط . المعارف بتحقيق د . محمود حماية .
● الجاحظ المختار : فى الرد على النصارى تحقيق د . محمد الشرقاوى نشر دار الصحوة بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م .
● الجزائرى (الشيخ أبو بكر) : عقيدة المؤمن ط دار الفكر العربى بمصر .
● نديم الجسر : قصة الايمان توزيع دار العربية .
● د . كمال جعفر : التصوف : مكتبة دار العلوم .
● الجوينى : شفاء العليل - نشرة الرئاسة العامة بالرياض .
● الجوينى : لمع الأدلة تحقيق د . فوقية حسين الدار المصرية للتاليف سنة ١٩٦٥ م .
● حجى (طارق) أفكار ماركسية فى الميزان - مدبولى .
● حجى (طارق) : الشيوعية والأديان - اتحاد البنوك الاسلامية .
● الحفنى (عبد المنعم) : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية بيروت .
● الحليمي : المنهاج فى شعيب الايمان تحقيق حلمى محمد فودة دار الفكر بيروت .
● خان (وحيد الدين) : الاسلام يتحدى نشر المختار الاسلامى .
● الخضرى (الدكتور القس حنا) : تاريخ الفكر المسيحى دار الثقافة .
● الخطيب (عبد الكريم) : القضاء والقدر ط دار المعرفة .
● الخلال : كتاب السنة .
● الدار قطنى (على بن عمر) : الصفات تحقيق عبد الله الغنيمان .
● داود (البروفيسور عبد الأحد) : محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المقدس مترجم عن الانجليزية ومنشور فى الدوحة .
● دراز (د . محمد عبد الله) : الدين بدون بيانات .
● دوبولس (بابا) : تاريخ كنيسة أنطاكية تعريب الأسقف استفانس حداد نشر النور سنة ١٩٨٤ م .
● دوكاسيه (بيير) : الفلسفات الكبرى الترجمة العربية .

- ديورانت (ول) : قيصر والمسيح ، ترجمة محمد بدران نشر جامعة الدول العربية (قصة الحضارة ١١) .
- ديورانت (ول) : مباهج الفلسفة ترجمة د . أحمد فؤاد الأهوانى الأنجلو سنة ١٩٥٦ م .
- الذهبى : العلو للعلى الغفار اختصار الشيخ ناصر الدين الألبانى المكتب الاسلامى .
- الرازى (الفخر) : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين نشرة د . على النشار دار الكتب العلمية .
- الرازى (الفخر) : شرح أسماء الله الحسنى نشر طه عبد الرؤوف سعد دار الكتاب العربى .
- الرازى (الفخر) : عصمة الأنبياء ـ بيروت .
- الرازى (الفخر) : محصل أفكار المتقدمين والمتاخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين نشر دار الكتاب اللبنانى .
- الرازى (الفخر) : مفاتيح الغيب ـ بيروت .
- رضا (محمد رشيد) : الوحى المحمدى المكتب الاسلامى .
- الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ـ بيروت .
- الرركشى : معنى لا اله الا الله تحقيق على محى الدين القرة داغى نشر الاصلاح سنة ١٩٨٢ م .
- سابق (الشيخ سيد) : العقائد الاسلامية دار النصر سنة ١٩٦٧ م ط ٢
- سبينوزا (باروخ) : رسالة فى اللاهوت والسياسة ترجمة د . حسن حنفى نشر الهيئة المصرية للكتاب .
- د . سعيد رمضان : نقض أوهام المادية الجدلية مؤسسة الرسالة .
- السموأل بن يحيى المغربى : افحام اليهود تحقيق د . محمد الشرقاوى نشر سنة ١٩٨٥ .
- السفارينى : لوامع الأنوار البهية ط دمشق .
- السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ـ الحلبى .
- السيوطى : الخصائص الكبرى ـ الحلبى .
- السيوطى : الدر المنظم فى الاسم الأعظم ضمن مجموع بعنوان رسائل الاسم الأعظم للغزالى والسيوطى وابن عربى (محى الدين) نشرة مكتبة نصير بالقاهرة بعناية بدوى طه علام .

- الشرقاوى (د · محمد عبد الله) : تأملات حول وسائل الادراك فى القرآن الكريم : الحس والعقل والقلب والفؤاد واللب نشر الرياض سنة ١٩٨٢ م ·
- الشرقاوى (د · محمد عبد الله) : الفكر الأخلاقى دراسة مقارنة مكتبة الزهراء ·
- الشروقاوى (د · محمد عبد الله) : الفلسفة العامة دراسة نقدية نشر مكتبة الزهراء ·
- الشرقاوى (د · محمد عبد الله) : فى مقارنة الأديان نشر دار الهداية ·
- الشرقاوى (د · محمد عبد الله) : القرآن والكون نشر مكتبة الزهراء ·
- الشروقاوى (د · محمد عبد الله) : مبدأ السببية رسالة دكتوراه بدار العلوم سنة ١٩٨١ م ·
- الشرقاوى (د · محمد عبد الله) : مدخل نقدى لدراسة الفلسفة نشر مكتبة الزهراء ·
- الشعراوى (الشيخ محمد متولى) : عقيدة المسلم ـ دار التراث الاسلامى ·
- الشنقيطى (محمد الأمين) : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ط الدار السلفية بالكويت ·
- الشهرستانى : الملل والنحل ، بتحقيق سيد كيلانى ـ بيروت ·
- الشوكانى : التحف فى مذاهب السلف ضمن مجموع رسائل فى العقيدة نشرة عبد الله حجاج ·
- الشوكانى : تحفة الذاكرين ـ ضمن مجموع ·
- الصابونى (اسماعيل بن عبد الرحمن) : عقيدة السلف أصحاب الحديث ضمن مجموع رسائل فى العقيدة بعنوان عقائد الفرقة الناجية اعداد عبد الله حجاج نشر شركة السلام العالمية بالقاهرة ·
- الصقلى (حماد) : مقالة عن النبوة والحاجة اليها مجلة هذه سبيلى الحولية الصادرة عن كلية الدعوة والاعلام بالرياض سنة ١٤٠٤ باشراف د · الشرقاوى ·
- الطبرى : (على بن ربن الطبرى) الدين والدولة فى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ـ بتحقيق عادل نويهض ـ ط دار الآفاق ـ بيروت ·
- الطبرى : تفسير الطبرى ـ دار المعارف ·
- الطحاوى : (أبو جعفر الطحاوى) : العقيدة · شرح وتعليق : ناصر الدين الألبانى ـ ط أولى · ١٣٩٨ ـ المكتب الاسلامى ·

● عبد الجبار : (القاضى عبد الجبار الأسدابادى) : تنزيه القرآن عن المطاعن - بيروت .

● عبد الجبار : (القاضى عبد الجبار الأسدابادى) : تثبيت دلائل النبوة - بيروت - مكتبة دار العروبة .

● عبد الحميد : د . عرفان عبد الحميد : الفرق والعقائد الاسلامية - ط : مؤسسة الرسالة .

● عبد الرازق : مصطفى عبد الرازق : الوحى - سلسلة المكتبة الفلسفية .

● عبد الوهاب : أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء - ط وهبة .

● عبد الوهاب : أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، وهبة .

اختلاف فى ترجمات الكتاب المقدس . وهبة .

● عبده : (الشيخ : محمد عبده) التوحيد .

● عبد الله بن أحمد بن حنبل : السنة - المطبعة السلفية - مكة المكرمة - ١٣٤٩ هـ .

● العجمى : (د . أبو اليزيد العجمى) فقه العقيدة عند الأئمة ، أبى حنفية ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد نشر دار الهداية .

● العجمى : (د . أبو اليزيد العجمى) الفقهاء وبحوث العقيدة الاسلامية - نشرة دار الهداية - القاهرة .

● العجمى : (د . أبو اليزيد العجمى) الانسان بين المسئولية والتكريم - ط - رابطة العالم الاسلامى .

● العسقلانى : (ابن حجر) فتح البارى .

● العقاد : عباس العقاد : الفلسفة القرآنية - دار نهضة مصر .

● العقاد : عباس العقاد : الله « كتاب فى نشأة العقيدة الدينية » - دار المعارف - ١٩٤٧ .

● العقاد : عباس العقاد : الانسان فى القرآن . دار نهضة مصر .

● عياض : القاضى عياض السفاء - بيروت .

● الغزالى (الامام أبو حامد) : احياء علوم الدين دار الندوة بيروت

● الغزالى (الامام أبو حامد) الاقتصاد فى الاعتقاد نشر مكتبة الجندى بمصر .

● الغزالى (الامام ابو حامد) : المنقذ من الضلال ـ بتحقيق د · عبد الحليم محمود · دار المعارف ·
● الغزالى (الشيخ محمد) : خلق المسلم ط الدوحة ·
● الغزالى (الشيخ محمد) عقيدة المسلم ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة ·
● الغزالى (الشيخ محمد) نظرات فى القرآن ·
● الغمراوى : د · محمد أحمد الاسلام فى عصر العلم ·
● فرغل : (د · يحيى هاشم) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الاسلامية نشرة مجمع البحوث سنة ١٩٧١ م ·
● فريزر : (جيمس) الفلكلور فى أسفار العهد القديم ترجمة د · نبيلة ابراهيم نشرة دار المعارف فى جزأين ·
● الفقى : (محمد حامد) شذرات البلاتين ط سنة ١٣٧٥ هـ بمصر وفيها كتاب رد الدرامى على المريسى ·
● الفندى : (د · أحمد جمال) : الله والكون الهيئة العامة للكتاب ·
● القاسم بن سلام : (أبو عبيد) : الايمان تحقيق وتخريج محمد ناصر الدين الألبانى نشرة المكتب الاسلامى ط ٢ ١٩٨٣ م ·
● القارى : (على) : شرح على القارى على الفقه الأكبر المنسوب لأبى حنيفة ·
● القرافى : الأجوبة الفاجرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة ·
● القرضاوى : (د · يوسف) : الايمان والحياة مؤسسة الرسالة ط الثانية عشرة سنة ١٩٨٥ م ·
● القرضاوى : (د · يوسف) : وجود الله نشرة وهبة بمصر ·
● القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة ط دار الفكر ·
● قطب : (سيد) : خصائص التصور الاسلامى ط الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ·
● قطب : (سيد) : فى ظلال القرآن ط دار الشروق ·
● قطب : (سيد) : مشاهد القيامة فى القرآن الكريم ط الشروق ·
● قطب : (سيد) : مقومات التصور الاسلامى ·
● قطب : (سيد) : اتجاهات فكرية معاصرة الشروق ·
● قطب : (محمد) الانسان بين المادية والاسلام الشروق ·
● كاريل : الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول ـ بيروت ·

- كرم : يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية بيروت ·
- الكلبى : ابن جزى الكلبى التسهيل فى علوم التنزيل بيروت ·
- كلسن : هانز كلسن النظرية البلشفية ترجمة د · حسين نصار ـ طبعة الحلبى ـ نشرة ١٩٥٤ م ·
- الكندى : أبو اسحاق الكندى : رسائل الكندى الفلسفية · بتحقيق د · محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ دار الفكر العربى ·
- كوننج : الكاردينال كوننج : التوحيد فى العالم المعاصر · نشرة القاهرة ـ ١٩٦٥ ·
- كوخ : ادريين كوح : آراء فلسفية فى أزمة العصر ترجمة : محمود محمود ـ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ·
- كريسون : اندريه كريسون : تيارات الفكر الفلسفى فى العصور الوسطى · الترجمة العربية ·
- لاروس : معجم لاروس للقرن العشرين ·
- اللا لكائى : (أبو القاسم) : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د · أحمد سعد حمدان نشر دار طيبة بالرياض ·
- لوسكى : (نيقولاى) : تاريخ الفلسفة الروسية ترجمة فؤاد كامل نشر دار المعارف بمصر ·
- لوقا : (د · نظمى) : الله مكتبة غريب ·
- لينين : المختارات دار التقدم موسكو نشر سنة ١٩٧١ م ·
- الماتريدى : أبو منصور الماتريدى : التاويلات ، التوحيد : تحقيق د · فتح الله خليف ·
- الماوردى : اعلام النبوة ـ تصوير بيروت ·
- المبارك : محمد المبارك : العقيدة فى القرآن الكريم ـ بيروت ·
- المتطبب : نصر بن يحيى المتطبب : النصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية دار الصحوة ·
- مدكور : د · عبد الحميد مدكور : مذكرة فى علم الكلام ـ دار العلوم ـ ١٩٧٥ ·
- المودودى : أبو الأعلى المودودى : مبادىء الاسلام · القاهرة ·
- موريسون : كريسى موريسون : العلم يدعو الى الايمان ـ بيروت ·

● موسى - د · محمد يوسف موسى : العقيدة وخطر الانحراف - سلسلة الثقافة الاسلامية عدد ٢٩ ·

● موسى : د · محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسانية اليه ·

● مونسما : جون كلفر مونسيما اشرف على تحرير كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم لمجموعة من أعيان الطبيعيين فى الغرب - ترجمة : د · الدمرداش سرحان - نشر مؤسسة الحلبى ·

: مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية - طبعة مكتب التربية للخليج العربى ·

● النجدى : ابن قائد النجدى : نجاة الخلف فى اعتقاد السلف - تحقيق : د · أبو اليزيد العجمى - نشرة دار الصحوة -القاهرة·

● الندوى : أبو الحسن الندوى ، رجال الفكر والدعوة فى الاسلام - بيروت ·

● الندوى : أبو الحسن الندوى ، النبوة والأنبياء - بيروت ·

● النورسى : سعيد النورسى (بديع الزمان) الانسان والايمان - تعريب احسان قاسم الصالحى - نشرة دار الأعتصام ·

● النورسى : سعيد النورسى (بديع الزمان) : حقيقة التوحيد - دار الوفا ·

● نوفل : عبد الرازق نوفل : الله والعلم الحديث - الشعب ·

● النووى : شرح صحيح مسلم · تصوير بيروت ·

● الهاشمى : (العميد الركن طه) : تاريخ الأديان وفلسفتها منشورات مكتبة الحياة سنة ١٩٦٣ ·

● الهندى : (رحمة الله الهندى) : اظهار الحق - ط قطر ·

● هوك : (سدنى) : التراث الغامض : ماركس والماركسيون ترجمة : سيد كامل زهران - الهيئة المصرية العامة ١٩٨٦ م ·

● الواسطى : أحمد بن ابراهيم : النصيحة فى صفات الرب جل وعلا نشر المكتب الاسلامى ·

● ولسون كولن : سقوط الحضارة (ترجمة) نشرة بيروت ·

● ياسين : د · محمد نعيم ياسين : الايمان م الفلاح بالكويت ·

● اليمانى : ابن المرتضى اليمانى : ايثار الحق على الخلق - دار الكتب العلمية ·

ثانيا : باللغة الأجنبية

1 — Edwyn Bevan, Hellenism and Christianity, London. First pubished in 1921.

2 — Otto Eissfeldt, The old Testament : An Introduction, Oxford, 1974.

3 — John, Hayes, An Introduction to Old Testament Study, SCM London, 1979.

4 — Roben Lane Fox, Pagans and Christians, U.S.A. 1986. Great Britain, By viking, 1987.

5 — Martin Hengel, Judaism and Hellenism, 2 Vol. S.C.M 1974.

6 — John Hick, The Myth of God Incarnate, SCM. London, 1985.

7 — Otto Kaiser, Introduction to the Old Testament, Oxford, 1973.

8 — Werner G. Kùmmel, Introduction to New Testament, Revised English Edition, 1984. U.S.A.

9 — Alister Kee, Constantine Versus Christ, SCM, 1982.

10 — Elaine Pagels. The Gnostic Cospels, New York, 1967.

11 — J. M. Robertson, Pagans Christs, Univ. Books N. Y, 1967.

12 — Emil Schurer. The History of the Jewis Peopel in the Age of Jesus Christ, Tand T Clark, 1979.

13 — Eden Spence, Early Christianity and Paganism, Hoo Vince.

14 — G. A. wells, Jesus of the Early Christians, A study in Christian Origins, G. Britain, 1971.

محتويات الكتـــاب

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع | رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع | رقم الصفحة

مؤلفات الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي.

اولاً: دراسات وبحوث.

١ ــ في مقارنة الأديان

٢ ــ الاسلام والنظر في آيات الله الكونية

٣ ــ القرآن والكون

٤ ــ مدخل نقدي لدراسة الفلسفة

٥ ــ في الفلسفة العامة: دراسة ونقد

٦ ــ الفكر الأخلاقي: دراسة مقارنة

٧ ــ تأملات حول وسائل الادراك في القرآن الكريم

٨ ــ الايمان

٩ ــ الأسباب والمسببات في الفكر الاسلامي

١٠ ــ الصوفية والعقل

١١ ــ ابن عربي: الرجل والمذهب

١٢ ــ منهج دراسة الأخلاق بين الأصالة والتبعية (بحث عن طه حسين)

ثانياً: تحقيقات علمية

١ ــ إفحام اليهود (للسموأل بن يحيى المغربي)

٢ ــ الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل (للامام ابي حامد الغزالي)

٣ ــ المختار في الرد على النصارى (للجاحظ)

٤ ــ النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية (لنصر بن يحيى المتطيب)

٥ ــ رسالة راهب فرنسا الى المسلمين وجواب ابي الوليد الباجي عليها (تحقيق)

٦ ــ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (دراسة وتعليق)

ثالثاً: تعريب

ترجمة تعليق المستشرق جيمس. مونرو على وثيقة اندلسية عن سقوط غرناطة.

تحت الطبع

ــ في مقارنة الأديان (الكتاب الثاني)

ــ تحقيق مسالك النظر في نُبوة سيد البشر (السعيد بن الحسن الاسكندراني)

ــ في الفكر الاسلامي المعاصر (تحليل وتقييم).